تاريخ الخلفاء

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذي وعد فوفى وأوعد فعفا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الشرفاء ومسود الخلفاء وعلى آله
وصحبه أهل الكرم والوفاء فهذا تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عهدنا هذا على ترتيب زمانهم الأول فالأول وذكرت في ترجمة كل منهم ما وقع في أيامه من الحوادث المستغربة ومن كان في أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة والداعي إلى تأليف هذا الكتاب أمور منها أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة ولذوي المعارف محبوبة وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان مختلطين ولم يستوفوا واستيفاء ذلك يوجب الطول والملال فأردت أن أفرد كل طائفة في كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل في التحصيل فأفردت كتابا في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وكتابا في الصحابة ملخصا من الإصابة لشيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر وكتابا حافلا في طبقات المفسرين وكتابا وجيزا في طبقات الحفاظ لخصته من طبقات الذهبي وكتابا جليلا في طبقات النحاة واللغويين لم يؤلف قبله مثله وكتابا في طبقات الأصوليين وكتابا جليلا في طبقات الأولياء وكتابا في طبقات

الفرضيين وكتابا في طبقات البيانيين وكتابا في طبقات الكتاب أعنى أرباب الإنشاء وكتابا في طبقات أهل الخط المنسوب وكتابا في شعراء العرب الذين يحتج بكلامهم في العربية وهذه تجمع عالب أعيان الأمة واكتفيت في طبقات الفقهاء بما ألفه الناس في ذلك لكثرته والاستغناء به وكذلك اكتفيت في القراء بطبقات الذهبي وأما القضاة فهم داخلون فيمن تقدم ولم يبق من الأعيان غير الخلفاء مع تشوق النفوس إلى أخبارهم فأفردت لهم هذا الكتاب ولم أورد أحدا ممن ادعى الخلافة خروجا ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور منها أنهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسى قال القاضي عبد الجبار البصرى اسم جد الخلفاء المصريين سعيد
كان أبوه يهوديا حدادا نشابة وقال القاضي أبو بكر الباقلاني القداح جد
عبيد الله الذي يسمى بالمهدى كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وسماهم جهلة الناس الفاطميين وقال ابن خلكان أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدى عبيد الله جد خلفاء مصر حتى إن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات % إنا سمعنا نسبا منكرا % يتلى على المنبر في الجامع % إن كنت فيما تدعى صادقا % فاذكر أبا بعد الأب السابع % % وإن ترد تحقيق ما قلته % فانسب لنا نفسك كالطائع % % أولا دع الأنساب مستورة % وادخل بنا في النسب الواسع %

% فإن أنساب بني هاشم % يقصر عنها طمع الطامع % وكتب العزيز إلى الأموى صاحب الأندلس كتابا سبه فيه وهجاه فكتب إليه الأموى أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لإجبناك فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب يعني أنه دعي لا تعرف قبيلته قال الذهبي المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدى ليس بعلوى وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة وقد سأله إن طبا طبا العلوى عن نسبهم فجذب نصف سيفه من الغمد وقال هذا نسبى ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال هذا حسبى ومنها أن

أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ومنهم من أظهر سب الأنبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من أمر بالسجود له والخير منهم رافضى خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة قال القاضي أبو بكر الباقلاني كان المهدي عبيد الله باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الإسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض وقال الذهبي كان القائم بن المهدي شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر ! الأنبياء وقال وكان العبيديون على ملة الإسلام شرا من التتر وقال أبو الحسن القابسي إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف ورجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت فياحبذا لو كان رافضيا فقط ولكنه زنديق وقال القاضي عياض سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد يعني خلفاء مصر على الدخول في دعوتهم أو يقتل قال يختار القتل ولا يعذر أحد في هذا الأمر كان أول دخولهم قبل أن يعرف

أمرهم وأما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز وإنما اقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم وقال يوسف الرعيني أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة وقال ابن خلكان وقد كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة حتى إن العزيز صعد يوما المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب % بالظلم والجور قد رضينا % وليس بالكفر والحماقه % % إن كنت أعطيت علم غيب % بين لنا كاتب البطاقة % وكتبت إليه أمرأة قصة فيها بالذي أعز اليهود بميشا % والنصارى بابن نسطور وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمرى وكان ميشا **1** % اليهودى عاملا بالشام وابن نسطور النصراني بمصر ومنها أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة فلا تصح إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد والصحيح المتقدم ومنها أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل إلى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم أو المهدى فعلم أن من تسمى بالخلافة مع قيامهم خارج باغ فلهذه الأمور لم أذكر أحدا من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج وإنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة إمامته وعقد بيعته وقد قدمت في أول الكتاب فصولا فيها فوائد مهمة وما أوردته من الوقائع الغريبة والحوادث العجيبة فهو ملخص من تاريخ الحافظ الذهبي والعهدة في أمره عليه والله المستعان

فصل في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وسر ذلك

قال البزار في مسنده حدثنا عبد الله بن وضاح الكوفي حدثنا يحيى بن اليماني حدثنا إسرائيل عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة قال قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا قال إني أن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب أخرجه الحاكم في المستدرك وأبو اليقظان ضعيف

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وإن أتركككم فقد تركككم من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أحمد والبيهقى في دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال لما ظهر علي يوم الجمل قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتمضى لسبيله ثم أن أبا بكر رأى من الرأى أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه

ثم إن أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضى الله فيها

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقى في الدلائل عن أبي وائل قال قيل لعلى ألا تستخلف علينا قال ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم قال الذهبي وعند الرافضة أباطيل في أنه عهد إلى على رضي الله عنه وقد قال هذيل بن شرحبيل أكان أبو بكر يتأمر على علي وصى رسول

الله صلى الله عليه وسلم وود أبو بكر أنه وجد عهدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخزم أنفه

بخزام أخرجه ابن سعد والبيهقي في الدلائل وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال علي لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا عمن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لديننا فقدمنا أبا بكر وقال البخارى في تاريخه روى عن ابن جمهان عن سفينة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان هؤلاء الخلفاء بعدى قال البخارى ولم يتابع على هذا لأن عمر وعليا وعثمان قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الجمانى حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في النباء حجرا وقال لأبي بكر ضع حجرك إلى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي قال أبو زرعة إسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقى في الدلائل وغيرهما قلت ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلى أنه لم يستخلف لأن مرادهما أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد وهذا إشارة وقعت قبل ذلك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى أخرجه الحاكم من حديث العرباض بن سارية وكقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى أبي بكر وعمر وغير ذلك من الأحاديث المشيرة إلى الخلافة

فصل في بيان أن الأئمة من قريش والخلافة فيهم

قال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا سكين بن عبد العزيز عن سيار ابن سلامة عن أبن برزة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش

ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا

أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني

وقال الترمذي حدثنا أحمد بن منيع حدثنا زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح حدثنا أبو مريم الأنصارى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك في قريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة إسناده صحيح وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا الحاكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح عن كثير بن مرة عن عتبة بن عبدان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة رجاله موثقون وقال البزار حدثنا إبراهيم بن هانىء حدثنا الفيض بن الفضل حدثنا مسعر عن سلمة بن كهيل عن أنى صادق عن ربيعة بن ماجد عن على بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها

فصل في مدة الخلافة في الاسلام

قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره قال العلماء لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقال البزار حدثنا محمد بن سكين حدثنا يحيى بن حسان حدثنا يحيى بن حمزة عن مكحول عن أبي ثعلبة عن ابي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية

حديث حسن

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن الشعبي عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الأمر عزيزا ينصرون على من ناوأهم

عليه اثنا عشر خليفة كلهم من قريش أخرجه الشيخان وغيرهما وله طرق
وألفاظ منها لا يزال هذا الأمر صالحا ومنها لا يزال الأمر ماضيا رواهما أحمد ومنها عند مسلم لا يزال أمر الناس ماضيا ماوليهم اثنا عشر رجلا ومنها عنده إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى له فيهم اثنا عشر خليفة ومنها عنده لا يزال الإسلام عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفة ومنها عند البزار لا يزال أمر أمتي قائما حتى يمضى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ومنها عند أبي داود زيادة فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال ثم يكون الهرج
ومنها عنده لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة
كلهم تجتمع الأمة عليه وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة فقال سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل قال القاضي عياض لعل المراد بالاثنى عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر

بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم قال شيخ الإسلام ابن حجر في شرح البخارى كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة كلهم يجتمع عليه الناس وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسن أمر بل قتل قبل ذلك
ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن
مروان بعد قتل ابن الزبير ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولى نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يؤمئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعدذلك لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ولما مات يزيد ولى أخوه إبراهيم فقتله مروان ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه ثم ولى أخوه المنصور فطالت مدته لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس واستمرت في ايديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك

وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد بعد أن كان في أيام بنى عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الاقطار من الأرض شرقا وغربا يمينا وشمالا مما غلب عليه المسلمون ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة ومن انفراط الأمر أنه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر العبيدى والعباسى ببغداد خارجا عمن كان يدعى الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج قال فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله ثم يكون الهرج يعنى القتل الفاشى عن الفتن وقوعا فاشيا ويستمر ويزداد وكذا كان وقيل إن المراد وجود اثنى عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير عن أبي الخلد أنه قال لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالمراد بقوله ثم يكون الهرج أي الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده انتهى قلت وعلى هذا فقد وجد من الأثنى عشر خليفة الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز هؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم إليهم المهتدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل وبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدى لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم

فصل في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية

قال الترمذي حدثنا محمد بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا القاسم ابن الفضل المدني عن يوسف بن سعد قال قام رجل إلى الحسن بن علي بعد

ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين

فقال لا تؤنبنى رحمك الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بني

أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت إنا أعطيناك الكوثر ونزلت إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أرداك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة ولكن شيخه مجهول وأخرج هذا الحديث الحاكم في مستدركه وابن جرير في تفسيره قال الحافظ أبو الحجاج المزى وهو حديث منكر وكذا قال ابن كثير وقال ابن جرير في تفسيره حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثت عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل حدثني أبي عن جدي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الحكم بن أبي العاص

ينزون على منبره نزو

3 القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس إسناده ضعيف لكن له شواهد من حديث عبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين ابن علي وغيرهم وقد أوردتها بطرقها في كتاب التفسير والمسند وأشرت إليها في كتاب أسباب النزول

فصل في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس

قال البزار حدثنا يحيى بن يعلى بن منصور حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن محمد بن عبد الرحمن العامرى عن سهيل

عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس فيكم النبوة والمملكة العامري ضعيف وقد أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة وابن عدى في الكامل وابن عساكر من طرق عن ابن أبي فديك وقال الترمذي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن ثور بن يزيد عن مكحول عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس إذا كان غداة الاثنين فأتني أنت وولدك حتى أدعو لهم بدعوة ينفعك الله بها وولدك فغدا وغدونا معه وألبستنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده هكذا أخرجه الترمذي في جامعه وزاد رزين العبدرى في آخره وأجعل الخلافة باقية في عقبه قلت هذا الحديث والذي قبله أصلح ما ورد في هذا الباب وقال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا إسحاق عن إبراهيم بن أبي النضر عن يزيد بن ربيعة عن أبي الأشعث عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت بني مروان يتعاورون

على منبرى فساءني ذلك ورأيت بني العباس يتعاورون على منبرى فسرني

ذلك وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن المظفر حدثنا عمر بن الحسن بن علي حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن صالح العدوى حدثنا ابن جعفر التميمي حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي أخبرني على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه العباس فقال ألا أبشرك يا أبا الفضل قال بلى

يا رسول الله قال إن الله افتتح بي هذا الأمر وبذريتك يختمه إسناده ضعيف وقد ورد من حديث على بإسناد أضعف من هذا أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن يونس الكديمي وهو وضاع عن إبراهيم بن سعيد الأشقر عن خليفة عن أبي هاشم عن محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس إن الله فتح هذاالأمر بي ويختمه بولدك وورد أيضا من حديث ابن عباس

أخرجه الخطيب في التاريخ ولفظه بكم يفتح هذا الأم وبكم يختم وسيأتى بسنده في ترجمة المهتدى بالله وورد أيضا من حديث عمار بن ياسر أخرجه الخطيب وقال في الحلية حدثنا محمد بن المظفر حدثنا نصر بن محمد حدثنا على ابن أحمد السواق حدثنا عمر بن راشد حدثنا عبد الله بن محمد بن صالح عن أبيه عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من ولد العباس ملوك تكون أمراء أمتي يعز الله بهم الدين عمر بن راشد ضعيف وقال أبو نعيم في الدلائل حدثنا الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد حدثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر حدثنا احمد بن راشد بن خثيم ثنا عمي سعيد بن خثيم عن حنظلة عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثتني أم الفضل رضي الله

عنها قالت مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنك حامل بغلام فإذا ولدت فأتيني به فلما ولدته أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى وألبأه 2 من ريقه وسماه

عبد الله وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس وكان رجلا لباسا فلبس ثيابه ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما بصر به قام فقبل بين عينيه

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو ما أخبرتك هو أبو

الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدى حتى يكون منهم من يصلى بعيسى بن مريم عليه السلام وقال الديلمى في مسند الفردوس أخبرنا عبدوس بن عبد الله كتابة أخبرنا الحسن بن فتحويه حدثنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرى حدثنا العباس ابن علي النسائي حدثنا يحيى بن يعلى الرازي حدثنا سهل بن تمام حدثنا الحارث ابن شبل حدثتنا أم النعمان عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا سيكون لبني العباس راية ولن يخرج من أيديهم ما أقاموا الحق وقال الدار قطنى في الأفراد حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى حدثنا محمد بن هرون السعدى حدثنا أحمد بن إبراهيم الأنصارى عن أبي يعقوب بن سليمان الهاشمي قال سمعت المنصور يقول حدثني أبي عن جدى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس إذا سكن بنوك السواد ولبسوا السواد

وكان شيعتهم أهل خراسان لم يزل الأمر فيهم حتى يدفعوه إلى عيسى بن

مريم أحمد بن إبراهيم ليس بشيء وشيخه مجهول والحديث ضعيف حتى إن ابن الجوزي ذكره في الموضوعات وله شاهد أخرجه الطبراني في الكبير عن أحمد بن داود المكى عن محمد بن إسماعيل بن عون النبلى عن الحارث بن معاوية ابن الحارث عن أبيه عن جده أبي أمه عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا الخلافة عن أم سلمة رضي الله عنها في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموه إلى المسيح وأخرجه الذيلمي من وجه آخر

وقال العقيلي في كتاب الضعفاء حدثنا أحمد بن محمد النصيبي حدثناإبراهيم ابن المستمر العروقي حدثنا أحمد بن سعيد الجبيري حدثنا عبد العزيز بن بكار ابن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن جده أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعا يلى ولد العباس من كل يوم تليه بنو أمية يومين ومن كل شهر شهرين هذا حديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وأعله ببكار

وليس كما قال فإن بكارا لم يتهم بكذب ولا وضع بل قال فيه ابن

عدي هو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم ثم قال وأرجو أنه لا بأس به ولعمري فليس معنى الحديث ببعيد فإن دولة العباسيين في حال علوها ونفوذ كلمتها في أقطار الأرض شرقا وغربا ما عدا أقصى المغرب كانت من سنة بضع وثلاثين ومائة إلى سنة بضع وتسعين ومائتين حتى تولى المقتدر وفي أيامه انخرم النظام

وخرجت المغرب بأسرها عن أمره ثم تتابع الفساد والاختلال في دولته

وبعده كما سيأتي فكانت أيام شموخ دولتهم ومملكتهم مائة وبضعا وستين سنة وهي ضعف أيام بني أمية الشامخة

فإنها كانت اثنتين وتسعين سنة منها تسع سنين الأمر فيها لابن الزبير

فصفت ثلاثة وثمانين سنة وكسرا وهي ألف شهرا سواء ثم وجدت للحديث شاهدا قال الزبير بن بكار في الموفقيات

حدثني علي ابن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه قال لمعاوية لا تملكون يوما إلا ملكنا يومين ولا شهرا إلا ملكنا شهرين ولا حولا إلا ملكنا حولين وقال الزبير في الموفقيات 4 حدثني علي بن المغيرة عن ابن

الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الرايات السود لنا أهل البيت وقال لا يجيء هلاكها إلا من قبل المغرب وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق أنبأنا أبو القاسم بن بنان أخبرنا أبو علي بن شاذان حدثنا جعفر بن محمد الواسطى حدثنا محمد بن يونس الكديمي
حدثنا عبد الله بن سوار العنبرى حدثنا أبو الأشهب جعفر ابن حيان عن
أبي رجاء العطاردى عن عبد الله بن عباس عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اللهم انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم أما شعرت أن المهدي من ولدك موفقا راضيا مرضيا الكديمي وضاع وقال ابن سعد في الطبقات حدثنا محمد بن عمر حدثنا عمر بن عقبة الليثي عن شعبة مولى ابن العباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرسل العباس ابن عبد المطلب إلى بني عبد المطلب فجمعهم عنده وكان على عنده بمنزلة لم يكن أحد بها فقال العباس يا ابن أخي إني قد رأيت رأيا لم أحب أن أقطع فيه شيئا حتى أستشيرك فقال علي ما هو قال يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم تسأله إلى من هذا الأمر من بعده فإن كان فينا لم نسلمه والله ما بقى في الأرض من طارق وأن كان في غيرنا لم نطلبها بعد أبدا قال علي يا عم وهل هذا الأمر إلا إليك وهل أحد ينازعكم في هذا الأمر فصل قال الديلمي في مسند الفردوس أخبرنا أبو منصور ابن خيرون حدثنا أحمد بن علي حدثنا بشرى بن عبد الله الرومي حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الفامي يعرف بغندر O قال قرىء على أبي شاكر مسرة بن عبد الله حدثناالحسن بن يزيد حدثنا ابن المبارك حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم بن جعفر الأنصاري حدثنا أنس بن مالك مرفوعا

إذا أراد الله أن يخلق خلقاللخلافة مسح على ناصيته بيمينه مسرة ذاهب الحديث متروك وقدورد من حديث أبي هريرة أخرجه الديلمى من ثلاث طرق عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصل في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء إلى آخر وقت أخرج السلفى في الطوريات بسنده إلى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبي صلى الله عيه وسلم قصيدته بانت سعاد رمى إليه ببردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التي هي عند الخلفاء آل العباس وهكذا قاله خلائق آخرون وأما الذهبي فقال في تاريخه أما البردة التي عندالخلفاء آل العباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار قلت فكانت التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه O أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمى طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر في إسناده ابن لهيعة وقد كانت

هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوساوركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم وأظن أنها فقدت في فتنة التتار فإنا لله وإنا إليه راجعون
فصل في فوائد منثورة تقع في التراجم ولكن ذكرها في موضع واحد أنسب
وأفيد قال ابن الجوزي
ذكر الصولى أن الناس يقولون إن كل سادس يقوم للناس يخلع قال فتأملت

هذا فرأيته عجبا اعتقد الأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم ثم قام به بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن فخلع ثم معاوية ويزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ابن مروان وابن الزبير فخلع ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد فخلع ثم لم ينتظم لبني أمية أمر فولى السفاح والمنصور والمهدى والهادي والرشيد والأمين فخلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع ثم المعتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخلع مرتين ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع هذا آخر كلام ابن الجوزي قال الذهبي وما ذكره ينخرم بأشياء أحدها قوله وعبد الملك وابن الزبير وليس الأمر كذلك بل ابن

الزبير خامس وبعده عبد الملك أو كلاهما خامس أو أحدهما خليفة والآخر خارج لأن ابن الزبير سابق البيعة عليه وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير والثاني تركه لعد يزيد الناقص وأخيه إبراهيم الذي خلع ومروان فيكون الأمين باعتبار عددهم تاسعا قلت قد تقدم أن مروان ساقط من العدد لأنه باغ ومعاوية بن يزيد كذلك لأن ابن الزبير بويع له بعد موت يزيد وخالف عليه معاوية بالشام فهما واحد وإبراهيم الذي بعد يزيد الناقص لم يتم له أمر فإن قوما بايعوه بالخلافة وآخرين لم يبايعوه وقوم كانوا يدعونه بالإمارة دون الخلافة ولم يقم سوى أربعين يوما أو سبعين يوما فعلى هذا مروان الحمار سادس لأنه الثاني عشر من معاوية والأمين بعده سادس والثالث أن الخلع ليس مقتصرا على كل سادس فإن المعتز خلع وكذا القاهر والمتقى والمستكفى قلت لا انخرام بهذا فإن المقصود أن السادس لا بد من خلعه ولا ينافى هذا كون غيره أيضا يخلع ويقال زيادة على ما ذكره ابن الجوزي ولي بعد الراشد المقتفى والمستنجد والمستضيء والناصر والظاهر والمستنصر وهو السادس فلم يخلع ثم المستعصم وهو الذي قتله التتار وكان آخر دولة الخلفاء وانقطعت الخلافة بعده إلى ثلاث سنين ونصف ثم أقيم بعده المستنصر فلم يقم في الخلافة بل بويع بمصر وسار إلى العراق فصادف التتار فقتل أيضا وتعطلت الخلافة بعده سنة ثم أقيمت الخلافة بمصر فأولهم الحاكم ثم المستكفى ثم الواثق ثم الحاكم ثم المعتضد ثم المتوكل وهو السادس فخلع وولى المعتصم ثم خلع بعده بخمسة عشر يوما وأعيد المتوكل

ثم خلع وبويع الواثق ثم المعتصم ثم خلع وأعيد المتوكل فاستمر إلى أن مات ثم المستعين ثم المعتضد ثم المستكفى ثم القائم وهو السادس من المعتصم الأول ومن المعتصم الثاني فخلع ثم المستنجد خليفة العصر وهو الحادي والخمسون من خلفاء بني العباس فوائد يقال لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد خلفاء بني العباس كلهم أبناء سرارى إلا السفاح والمهدى والأمين ولم يل الخلافة هاشمي ابن هاشمية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنه الحسن والأمين قال الصولى ولم يل الخلافة من اسمه إلا على بن أبي طالب وعلى المكتفى قال الذهبى قلت غالب أسماء الخلفاء أفراد والمثنى منهم قليل والمتكرر كثير عبد الله وأحمد ومحمد وجميع ألقاب الخلفاء أفراد إلى المستعصم آخر خلفاء العراقيين ثم كررت الألقاب في الخلفاء المصريين فكرر المستنصر والمستكفى والواثق والحاكم والمعتضد والمتوكل والمستعصم والمستعين والقائم والمستنجد وكلها لم يتكرر غير مرة واحدة إلا المستكفى والمعتضد فكررا مرة أخرى فتلقب بهما من الخلفاء العباسيين ثلاثة ولم يتلقب أحد من خلفاء بني العباس بلقب أحد من بني عبيد إلا القائم والحاكم والظاهر والمستنصر وأما المهدي والمنصور فسبق التلقب به لبني العباس قبل وجود بني عبيد قال بعضهم وما تلقب أحد بالقاهر فأفلح لا من الخلفاء ولا من الملوك قلت وكذا المستكفى والمستعين لقب بكل منهما اثنان من بني العباس

فخلعا ونفيا والمعتضد من أجل الألقاب وأبركها لمن يلقب به ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا المقتفى بعد الراشد المستنصر بعد المعتصم قال الذهبي قال ولم يل الخلافة ثلاثة إخوة إلا أولاد الرشيد الأمين والمأمون والمعتصم وأولاد المتوكل المستنصر والمعتز والمعتمد وأولاد المقتدر الراضي والمقتفي والمطيع قال وولى الأمر من أولاد عبد الملك أربعة ولا نظير لذلك إلا في الملوك قلت بل له نظير في الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم فولى الخلافة من أولاد المتوكل محمد أربعة بل خمسة المستعين والمعتضد والمستكفى والقائم والمستنجد خليفة العصر ولم يل الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر الصديق وأبو بكر الطائع ابن المطيع حصل لأبيه فالج فنزل لابنه عنها طوعا قال العلماء أول من ولى الخلافة وأبوه حي أبو بكر وهو أول من عهد بها وأول من أتخذ بيت المال وأول من سمى المصحف مصحفا وأول

من سمى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو أول من اتخذ الدرة وأول من أرخ من الهجرة وأول من أمر بصلاة التراويح وأول من وضع الديوان وأول من حمى الحمى عثمان وهو أول من أقطع الإقطاعات أي أكثر من ذلك وأول من زاد الأذان في الجمعة وأول من رزق المؤذنين وأول من أرتج عليه في الخطبة وأول من اتخذ صاحب شرطة وأول من استخلف ولي العهد في حياته معاوية وهو أول من أتخذ الخصيان لخدمته وأول من حملت إليه الرؤوس عبد الله بن الزبير وأول من ضرب اسمه على السكة عبد الملك بن مروان وأول من منع من ندائه باسمه الوليد بن عبد الملك وأول ما حدثت الألقاب لبني العباس

وقال ابن فضل الله زعم بعضهم أن لبني أمية ألقابا مثل ألقاب بني العباس قلت وكذا ذكر بعض المؤرخين أن لقب معاوية الناصر لدين الله ولقب يزيد المستنصر ولقب معاوية ابنه الراجع إلى الحق ولقب مروان المؤتمن بالله ولقب عبد الملك الموفق لأمر الله ولقب ابنه الوليد المنتقم بالله ولقب عمر بن عبد العزيز المعصوم بالله ولقب يزيد بن عبد الملك القادر بصنع الله ولقب يزيد الناقص الشاكر لأنعم الله أول ما تفرقت الكلمة في دولة السفاح أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم المنصور وهو أول خليفة استعمل مواليه في الأعمال وقدمهم على العرب أول من أمر بتصنيف الكتب في الرد على المخالفين المهدي أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف والأعمدة الهادي أول من لعب بالصوالجة في الميدان الرشيد أول من دعى وكتب للخليفة بلقبه في أيامه الأمين وأول من أدخل الأتراك الديوان المعتصم وأول من أمر بتغيير أهل الذمة زيهم المتوكل أول من تحكمت التراك في قتله المتوكل وظهر بذلك تصديق الحديث النبوي كما أخرج اتركو الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب امتي ملكهم وما خولهم الله بنوقنطوراء Aالطبراني بسند جيد عن ابن مسعود قال قال رسول الله أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة وصغر القلانس المستعين أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب المعتز أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به المعتمد أول من ولى الخلافة من الصبيان المقتدر آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال الراضي وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة خطب وصلى بالناس دائما وآخر خليفة جالس الندماء وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وخدمه وجر اياته وخزائنه ومطابخه ومشار به ومجالسه وحجابه وأموره جارية على ترتيب الخلافة الأولية وهو آخر

خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء أول ما كررت الألقاب من المستنصر الذي تولى بعد المستعصم في الأوائل للعسكري أول خليفة ولى في حياة أمه عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين ثم المتوكل ثم المنتصر ثم المستعين ثم المعتز ثم المعتضد ثم المطيع ولم يل الخلافة في حياة أبيه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزيد عليه الطائع وقال الصولى لا نعرف امرأة ولدت خليفتين إلا ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبدالملك وشاهين أم يزيد الناقص وإبراهيم ابني الوليد والخيزران أم الهادي والرشيد قلت ويزاد أم العباس وحمزة وأم داود وسليمان أولاد المتوكل الأخير فائدة المتسمون بالخلافة من العبيديين أربعة عشر ثلاثة بالمغرب المهدى والقائم والمنصور وأحد عشر بمصر المعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وكان ابتداء أمر مملكتهم سنة بضع وتسعين ومائتين وانقراضها في سنة سبع وستين وخمسمائة قال الذهبي وهي الدولة المجوسية واليهودية لا العلوية والباطنية لا الفاطمية وكانوا أربعة عشر متخلفا لا مستخلفا انتهى فائدة المتسمون بالخلافة من الأمويين بالمغرب كانوا أحسن حالا من العبيديين بكثير إسلاما وسنة وعدلا وفضلا وعلما وجهادا وغزوا وهم كثير حتى إنه اجتمع بالأندلس في عصر واحد ستة كلهم تسمى بالخلافة فائدة أفرد تواريخ الخلفاء بالتأليف جماعة من المتقدمين منها تاريخ الخلفاء لنفطويه النحوى مجلدان انتهى إلى أيام القاهر والأوراق للصولى ذكر فيه

العباسيين فقط وانتهى إليه قلت وقد وقفت عليه وتاريخ خلفاء بني العباس لابن الجوزي رأيته أيضا انتهى إلى أيام الناصر وتاريخ الخلفاء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي الكاتب أحد فحول الشعراء مات في سنة ثمانين ومائتين وتاريخ خلفاء بني العباس للأمير أبي موسى هرون بن محمد العباسي فائدة أخرج الخطيب في التاريخ بسنده عن محمد بن عبادة قال لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه والمأمون قلت وهذا الحصر ممنوع بل حفظه أيضا الصديق رضي الله عنه على الصحيح وصرح به جماعة منهم النووى في تهذيبه وعلى رضي الله عنه ورد من طريق أنه حفظه كله بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فائدة قال ابن الساعي

حضرت مبايعة الخليفة الظاهر فكان جالسا في شباك القبة بثياب بيض وعليه الطرحة وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والوزير قائم بين يديه على منبر وأستاذ الداردونه بمرقاة وهو يأخذ البيعة على الناس ولفظ المبايعة أبايع سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبا نصر محمد الظاهر بأمر الله على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد أمير المؤمنين وأن لا خليفة سواه انتهى

أبو بكر الصديق أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله ابن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة قال النووى في تهذيبه وما ذكرناه من أن اسم أبي بكر الصديق عبد الله هو الصحيح
المشهور وقيل اسمه عتيق والصواب الذي عليه كافة العلماء أن عتيقا لقب له لا اسم ولقب عتيقا لعتقه من النار كما ورد في حديث رواه الترمذي وقيل لعتاقة وجهه أي حسنه وجماله قاله مصعب ابن الزبير والليث بن سعد وجماعة وقيل لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به قال مصعب بن الزبير وغيره وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هنآة ما ولا وقفة في حال من الأحوال وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته يوم ليلة الإسراء وثباته وجوابه للكفار في ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك عياله وأطفاله وملازمته في الغار وسائر الطريق ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الاخرة ثم ثباته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته الناس وتسكينهم ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل وشرح الله صدورهم لما شرح

له صدره من الحق وهو قتال أهل الردة ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم بالأمداد ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه على المسلمين عمر رضي الله عنه وتفرسه فيه ووصيته له واستيداعه الله الأمة فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام وإعزاز الدين وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله وكم للصديق من مناقب وموافق وفضائل لا تحصى هذا كلام النووى وأقول قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ذاكرا فيه جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله وأرتب ذلك فصولا

فصل في اسمه ولقبه

تقدمت الإشارة إلى ذلك قال ابن كثير تفقوا على أن اسمه عبد الله ابن عثمان إلا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق والصحيح أنه لقبه ثم اختلف في وقت تلقيبه به وفي سببه فقيل لعتاقة
وجهه أي لجماله قاله الليث ابن سعد وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم وقال أبو نعيم الفضل بن دكين لقدمه في الخير وقيل لعتاقة نسبه أي طهارته إذا لم يكن في نسبه شيء يعاب به وقيل سمى به أولا ثم سمى بعبد الله وروى الطبراني عن القاسم بن محمد أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت عبد الله فقال إن الناس يقولون عتيق قالت إن

أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم عتيقا ومعتقا ومعيتقا وأخرج ابن منده وابن عساكر عن موسى بن طلحة قال قلت لإبي طلحة قال قلت لأبي طلحة لم سمى أبو بكر عتيقا قال كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال إنما سمى عتيقا لحسن وجهه وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق وفي لفظ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه عتيقا أخرج أبو يعلى في مسنده وابن سعد والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذا أقبل أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر وإن اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار فمن يؤمئذ سمى عتيقا وأخرج البزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن الزبير قال كان اسم أبي بكر عبد الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت عتيق الله من النار فسمى عتيقا وأما الصديق فقيل كان يلقب به في الجاهلية لما عرف منه من الصدق ذكره ابن مسدى وقيل لمبادرته إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به قال ابن إسحاق عن الحسن البصري وقتادة وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء أخرج الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم فقال لقد صدق إني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة فلذلك سمى

الصديق إسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبي هريرة أسندهما ابن عساكر وأم هانىء أخرجه الطبراني قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بذي طوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن أبي وهب عن أبي هريرة وأخرج الحاكم في المستدرك عن النزال بن سبرة قال قلنا لعلي يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر قال ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا إسناده جيد وأخرج الدراقطني والحاكم عن أبي يحيى قال لا أحصى كم سمعت عليا يقول على المنبر إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند جيد صحيح عن حكيم بن سعد قال سمعت عليا يقول ويحلف لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق وفي حديث أحد اسكن فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان وأم أبي بكر بنت عم أبيه اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب وتكنى أم الخير قاله الزهري أخرجه ابن عساكر

فصل في مولده ومنشئه

ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر فإنه مات وله ثلاثة وستون سنة قال ابن كثير وأما ما أخرجه خليفة بن الخياط عن يزيد 31 ابن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنا أكبر أو أنت قال أنت أكبر وأنا أسن منك فهو مرسل غريب جدا والمشهور خلافه وإنما صح ذلك عن العباس وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها إلا لتجارة وكان ذا مال جزيل في قومه ومروءة تامة وإحسان وتفضل فيهم كما قال ابن الدغنه

إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتحمل الكل وتعين على

نوائب الدهر وتقري الضيف قال النووي وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم وأعلم لمعالمهم فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه ودخل فيه أكمل دخول وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خر بوذ قال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحد عشر من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام فكان إليه أمر الديات والغرم وذلك أن قريشا لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم وكانت في بني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة أي لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراما أو نقضا لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة ولا ينفذ إلا بها وكانت لبني عبد الدار

فصل كان أبو بكر رضي الله عنه أعف الناس في الجاهلية

أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما قال أبو بكر

شعرا قط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت لقد كان حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال ما قال أبو بكر شعرا قط وأخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرياحي قال قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت الخمر في الجاهلية فقال أعوذ

بالله فقيل ولم قال كنت أصون عرضي واحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مضيعا في عرضه ومروءته قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبو بكر صدق أبو بكر مرتين مرسل غريب سندا ومتنا

فصل في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال لها صفى لنا أبا بكر فقالت رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك إزاره يسترخى عن حقويه

2 معروق الوجه 3 غائر العينين ناتىء الجبهة عاري الأشاجع هذه صفته وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر كان يخضب المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر فلفها بالحناء والكتمAبالحناء والكتم وأخرج عن أنس قال قدم رسول الله

فصل في إسلامه رضي الله عنه

أخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال قال أبو بكر ألست أحق الناس بها أي الخلافة ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه قال أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وأخرج ابن سعد عن أبي أروى الدوسي الصحابي رضي الله عنه قال أول من أسلم أبو بكر الصديق وأخرج الطبراني في الكبير وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الشعبي قال سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان % إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة % فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا % خير البرية أتقاها وأعدلها % إلا النبي وأوفاها بما حلا % % والثاني التالي المحمود مشهده % وأول الناس منهم صدق الرسلا % وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت على أفضل عندك أم أبو بكر وعمر قال فارتعد

% حتى سقطت عصاه من يده ثم قال ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان

يعدل بهما لله درهما كانا رأس الإسلام قلت فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب 2 % حين مر به واختلف فيما بنيه وبين

خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد على وقد قال إنه أول من أسلم خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم بل ادعى بعضهم الاجماع عليه وقيل أول من أسلم علي وقيل خديجة وجمع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال وعلى أول من أسلم من الصبيان وخديجة أول من أسلمت من النساء وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رحمه الله أخرجه عنه وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قال قلت لمحمد بن الحنفية هل كان أبو بكر أول القوم إسلاما قال لا قلت فيم علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر قال لأنه كان أفضلهم إسلاما من حين أسلم حتى لحق بربه وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه سعد أكان أبو بكر الصديق أولكم إسلاما قال لا ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ولكن كان خيريا إسلاما قال ابن كثير والظاهر أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجة زيد أم أيمن وعلى وورقة انتهى وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد قال قال أبو بكر الصديق كنت جالسا بفناء الكعبة وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدا فمر به أمية ابن أبي الصلت فقال كيف أصبحت يا باغي الخير قال بخير قال وهل وجدت قال لا فقال %كل دين يوم القيامة إلا % ما قضى الله في الحقيقة بور % أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم قال ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ويبعث قال فخرجت إلى ورقة بن نوفل وكان كثير النظر إلى السماء كثير همهمة الصدر فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث

فقال نعم يا ابن أخي إنا أهل الكتب والعلوم إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبا ولى علم بالنسب وقومك أوسط العرب نسبا قلت يا عم وما يقول النبي قال يقول ما قيل له إلا إنه لا يظلم ولا يظلم ولا يظالم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت

به وصدقته وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه عتم أي لبث قال البيهقي وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع آثاره قبل دعوته فحين دعاه كان قد سبق له فيه تفكر ونظر فأسلم في الحال ثم أخرج عن أبي ميسرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه يا محمد فإذا سمع الصوت ولى هاربا فأسر ذلك إلى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كلمت في الإسلام أحدا إلا أبى على وراجعني الكلام إلا ابن أبي قحافة فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركون لي صاحبي 1 هل أنتم تاركون لي صاحبي إني قلت

أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت

فصل في صحبته ومشاهده

قال العلماء صحب أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلى حين توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج وغزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى

ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا

وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع وله الآثار الجميلة في المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس كما سيأتي في فصل شجاعته أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا أما ترون الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأخرج أبو يعلى والحاكم وأحمد عن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يوم بدر مع المشركين فلما أسلم قال لأبيه لقد أهدفت لي يوم بدر فانصرفت عنك ولم أقتلك فقال أبو بكر لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك قال ابن قتيبة معنى أهدفت أشرفت ومنه قيل للبناء المرتفع هدف

فصل في شجاعته وأنه أشجع الصحابة رضي الله عنه

أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال أخبروني من أشجع الناس فقالوا أنت قال أما إني ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر فجعلتم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس قال علي رضي الله عنه ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجبأه

وهذا يتلتله

2 وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده عن أبي بكر قال لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أول من فاء

وسيأتي تتمة الحديث في مسند ما رواه

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اجتمع

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيبا فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين وضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا وسيأتي تتمة الحديث في ترجمة عمر رضي الله عنه وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال لما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم

فصل في إنفاقه ماله على رسول صلى الله عليه وسلم وأنه أجود الصحابة

قال الله تعالى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتسماله يتزكى إلى آخر السورة قال ابن الجوزي أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله قال ابن كثير وروى أيضا من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضى في مال أبي بكر كما يقضى في مال نفسه وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير

أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعون ألف درهم فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف كل ذلك بنفقة في الرقاب

والعون على الإسلام

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وأخرج ابن شاهين في السنة والبغوى في تفسيره وابن عساكر عن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ويقول قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربي أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض غريب وسنده ضعيف جدا وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس وأخرج الخطيب بسند واه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هبط على جبريل عليه السلام وعليه طنفسة

وهو متخلل بها فقلت له يا جبريل ما هذا قال إن الله تعالى أمر

الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض

قال ابن كثير وهذا منكر جدا وقال ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الإعراض عنهما أولى وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي قلت اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لأهلك قلت مثله وأتي أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه في شيء أبدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصري أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها فقال يا رسول الله هذه صدقتي ولله عندي معاد وجاء عمر بصدقته فأظهرها فقال يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله معاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين صدقتيكما كما

بين كلمتيكما إسناده جيد لكنه مرسل وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدايكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال جئت بأبي قحافة إلىالنبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تركت الشيخ حتى آتيه قال بل هو أحق أن يأتيك قال إنا نحفظه لأيادي

ابنه عندنا

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته

فصل في علمه وأنه أعلم الصحابة وأذكاهم

قال النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضي الله عنه في الحديث الثابت في الصحيحين والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه وروينا عن ابن عمر أنه سئل من كان يفتى الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما أعلم غيرهما وأخرج الشيخان عن أبي سعيدالخدري قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى فبكى أبو بكر وقال نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من آمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر هذا كلام النووي

وقال ابن كثير كان الصديق رضي الله عنه أقرأ الصحابة أي أعلمهم

بالقرآن لأنه صلى الله عليه وسلم قدمه إماما للصلاة بالصحابة رضي الله عنه مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره

وكان مع ذلك أعلمهم بالنسة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم وإنما لم يروعنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته

وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فلو طالت مدته لكثر

ذلك عنه جدا ولم يترك الناقلون عنه حديثا إلا نقلوه ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم وأخرج أبو القاسم البغوى عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه آله وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأى قضى به وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رؤس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به وكان الصديق رضي الله عنه مع ذلك أعلم الناس

بأنساب العرب لاسيما

قريش أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار قال كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة وكان يقول إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق وكان أبو بكر الصديق من أنسب العرب وكان الصديق مع ذلك غاية في علم تعبير الرؤيا وقد كان يعبر الرؤيا في زمن زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال محمد بن سيرين وهو المقدم في هذا العلم بالاتفاق كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن سعد وأخرج الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أؤول الرؤيا وأن أعلمها

أبا بكر

قال ابن كثير وكان من أفصح الناس وأخطبهم قال الزبير بن بكار سمعت بعض أهل العلم يقول أفصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر رضي الله عنه وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له وسيأتي من كلامه في ذلك وفي تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة في فصل مستقل ومن الدلائل على أنه أعلم الصحابة حديث صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال علام نعطى الدنية

في ديننا فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب إلى أبي بكر

فسأله عما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه كما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم

سوا بسواء أخرجه البخاري وغيره

وكان مع ذلك أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا أخرج تمام الرازي في فوائد وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وأخرج الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن

يسرح معاذا إلى اليمن استشار ناسا من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه فقال ما ترى يا معاذ قالت أرى ما قال أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يكره فوق سمائه أن يخطأ أبو بكر ورواه ابن أبي أسامة في مسنده إن الله يكره في السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض وأخرج الطبراني في الوسط عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر رجاله ثقات فصل قال النووي في تهذيبه الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله وذكر هذا أيضا جماعة منهم ابن كثير في تفسيره وأما حديث أنس جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة فمراده من الأنصار كما أوضحته في كتاب الإتقان وأما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يجمع القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على أن المراد جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضي الله عنه

فصل في أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر ثم باقي أهل أحد ثم باقي أهل

البيعة ثم باقي الصحابة هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي

وروى البخارى عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان ابن عفان رضي الله عنهم وزاد الطبراني في الكبير فيعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال كنا معاشر أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال عمر لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعته يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان فقلت ثم أنت قال ما أنا إلا رجل من المسلمين وأخرج أحمد وغيره عن علي قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الذهبي هذا متواتر عن علي فلعن الله الرافضة ما أجهلهم وأخرج الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب قال أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال إلا أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر فمن قال غير هذا فهو مفتر 1 عليه ما على المفترى

وأخرج أيضا عن ابن أبي ليلى قال قال علي لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى وأخرج عبد الرحمن بن حميد في مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبي وفي لفظ على أحد من المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وقد ورد أيضا من حديث جابر ولفظه ما طلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه أخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخر تقضى له بالصحة أو الحسن وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته وأخرج الطبراني عن سلمة بن الأكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق خير الناس إلا أن يكون نبي وفي الأوسط عن سعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن روح القدس جبريل أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون ثم عمر في رواية أنس وابن عمرو وابن عباس وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم كان أحب إلى رسول الله صلىالله عليه وسلم قالت أبو بكر قلت ثم من قالت ثم عمر قلت ثم من قالت أبو عبيدة بن الجراح وأخرج الترمذي وغيره عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأبي بكر وعمر هذان سيدا كهول

أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين وأخرج مثله عن

علي وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأخرج الطبراني في الأوسط عن عمار بن ياسر قال من فضل على أبي بكر وعمر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أزرى على المهاجرين والأنصار وأخرج ابن سعيد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم فقال قل وأنا أسمع فقال % والثاني اثنين في الغار المنيف وقد % طاف العدو به إذ صعد الجبلا % % وكان حب رسول الله قد علموا % من البرية لم يعدل به رجلا % %

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه 3 % ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت فصل روى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم الحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر وزاد فيه وأقضاهم على وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث شداد بن أوس وزاد وأبو ذر أزهد أمتي وأصدقها وأبو الدرداء أعبد أمتي وأتقاها ومعاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها

وقد سئل شيخنا العلامة الكافيجي عن هذه التفضيلات هل تنافى التفضيل السابق فأجاب بأنه لا منافاة فلصل فيما أنزل من الأيات

في مدحه أو تصديقه أو أمر من شأنه أعلم أني رأيت لبعضهم كتابا في أسماء من نزل فيهم القرآن غير محرر ولا مستوعب وقد ألفت في ذلك كتابا حافلا مستوعبا محررا وأنا ألخص هنا ما يتعلق منه بالصديق رضي الله عنه قال تعالى

ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل

الله سكينته عليه أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر وسيأتي فيه أثر عنه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه قال على أبي بكر إن النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة عليه

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالا

من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه لله فأنزل الله والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى سعى أبي بكر وأمية وابي وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال أبوه أي بنى أراك تعتق أناسا ضعافا فلو أنك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال أي أبت أنا أريد ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه فأما من أعطى واتقى إلى آخرها

وأخرج أبن أبي حاتم والطبراني عن عروة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلى آخر السورة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان وكانت له صحبة قال قال علي والذي جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر الصديق قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى وشاروهم في الأمر قال نزلت في أبي بكر وعمر وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال نزلت ولمن خاف مقام ربه جنتان في أبي بكر رضي الله عنه وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى وصالح المؤمنين قال نزلت في أبي بكر وعمر وأخرج عبد الله بن أبي حميد في تفسيره عن مجاهد قال لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه فنزلت هذه الآية هو الذي يصلى عليكم وملائكته وأخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين أن هذه الآيةنزلت في أبي بكر وعمر وعلي ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال نزلت في أبي بكر الصديق ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا إلى قوله وعد الصدق الذي كانوا يوعدون

وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ ^ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ^ فصل في الأحاديث الواردة في فضله مقرونا بعمر سوى ما تقدم أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث قال الناس سبحان الله بقرة تتكلم قال النبي صلى الله عليه وسلم فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر أي لم يكونا في المجلس شهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانها وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وذكر تمام العشرة وأخرج الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما وأخرجه الطبراني من حديث جابر ابن سمرة وأبو هريرة

وأخرج الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر

وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر وأخرجه الطبراني من حديث ابن عمر وابن عمرو وأخرج البزار والحاكم عن أبي أروى الدوسى قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذي أيدني بكما وورد أيضا من حديث البراء بن عاز أخرجه الطبراني في الأوسط وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات

أبي بكر وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سئل من كان يفتى في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما وأخرج عن القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لكل نبي خاصة من أمته وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر وأخرج ابن عساكر عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيهاالناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عنه وعن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين فاعرفوا ذلك لهم وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن أبي حازم قال جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمنزلتهما منه الساعة وأخرج أبن سعد عن بسطام بن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد بعدي وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعا حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر وأخرج عن ابن مسعود قال حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السنة وأخرج عن أنس مرفوعا إني لأرجو لأمتي في حبهم لأبي بكر وعمر ما أرجو لهم في قول لا إله إلا الله

فصل في الأحاديث الوادرة في فضله وحده سوى ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبدالله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال نعم فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي وأخرج الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمن الناس على في صحبته وما له أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لأتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس

وأبي واقد الليثي وأبي المعلى وعائشة وأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم وقد سردت طرقهم في الأحاديث المتواترة وأخرج البخاري عن

أبي الدرداء قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر فسلم وقال إنه كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى على فأقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا علىركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي مرتين فما أوذى بعدها وأخرج ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنه نحوه وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتؤذوني في صاحبي فإن الله بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولو لا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الإسلام وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال استب عقيل بن أبي طالب وأبو بكر قال وكان أبو بكر نسابا غير أنه تحرج من قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه وشكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال ألا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوالله مامنكم رجل إلا على باب بيته ظلمة إلاباب أبي بكر فإن على بابه النور فوالله لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجادلي بماله وخذلتموني وواساني واتبعني وأخرج البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من جر ثوبه ختيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر إن أحد شقي ثوبي يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست تصنع ذلك خيلاء وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم جنازة قال أبو بكر أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا قال أبو بكر أنا قال فمن عاد اليوم منكم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك وعبد الرحمن بن أبي بكر فحديث أنس أخرجه البيهقي في الأصل وفي آخره وجبت لك الجنة وحديث عبد الرحمن أخرجه البزار ولفظه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال من أصبح منكم اليوم صائما فقال عمر يا رسول الله لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطرا فقال أبو بكر ولكني حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائما فقال هل أحد منكم اليوم عاد مريضا فقال عمر يا رسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاك فجعلت طريقي عليه لأنظر كيف أصبح فقال هل منكم أحد أطعم اليوم مسكينا فقال عمر صلينا يا رسول الله ثم لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فإذا بسائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها ودفعتها إليه فقال أنت فأبشر بالجنة ثم قال كلمة أرضى بها عمر وزعم عمر أنه لم يرد خيرا قط إلا سبقه إليه أبو بكر وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت في المسجد أصلى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر فوجدني أدعو

فقال سل تعطه ثم قال من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد فرجعت إلى منزلي فأتاني أبو بكر فبشرني ثم أتى عمر فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال إنك لسباق بالخير وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه قال جرى بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها وندم فقال لي يا ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا قلت لا أفعل قال أبو بكر لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت أتلوه وجاء أناس من أسلم فقالوا لي رحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال لك ما قال فقلت أتدرون من هذا هذا أبو بكر الصديق هذا ثاني اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله عز وجل لغضبهما فيهلك ربيعة قالوا ما تأمرنا قال ارجعوا وانطلق أبو بكر رضي الله عنه وتبعته وحدي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع إلى رأسه فقال يا ربيعة مالك والصديق فقلت يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل لا ترد عليه ولكن قل قد غفر الله لك يا أبا بكر فقلت غفر الله لك يا أبا بكر قال الحسن قولي أبو

بكر رضي الله عنه وهو يبكي وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار

أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار إسناده حسن وأخرج البيهقي عن Aوأخرج عبد الله بن أحمد رضي الله عنه قال قال رسول الله إن في الجنة طيرا كأمثال البخاتي قال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول الله قال أنعم منها من Aحذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله يأكلها وأنت ممن يأكلها وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي إسناده ضعيف لكنه ورد أيضا من حديث ابن عباس وابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي الدرداء رضي الله عنهم بأسانيد ضعيفة يشد بعضها بعضا وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الملك سيقولها لك عند الموت وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم الآية قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت فقال صدقت وأخرج أبو القاسم البغوى حدثنا داود بن عمر حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديرا فقال ليسبح كل رجل إلى صاحبه قال فسبح كل رجل حتى بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر

حتى اعتنقه وقال لو كنت متخذا خليلا حتى ألقى الله لآتخذت أبا بكر خليلا ولكنه صاحبي تابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد أخرجه ابن عساكر وعبد الجبار ثقة شيخه ابن أبي ملكية إمام إلا أنه مرسل وهو غريب جدا قلت أخرجه الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة من وجه آخر موصولا عن ابن عباس وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق وابن عساكر من طريق صدقة ابن ميمون القرشي عن سليمان بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال الخير ثلثمائة وستون خصلة إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة قال أبو بكر يا رسول الله أفي شيء منها قال نعم جمعا من كل وأخرج ابن عساكر من طريق أخرى عن صدقة القرشي عن رجل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال الخير ثلثمائة وستون فقال أبو بكر يا رسول الله لي منها شيء قال كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الأنصاري عن أبيه قال إن كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالأسوار وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه أحد من الناس فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى إليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي وأخرج مثله في حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر

فصل فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب أبو بكر سيدنا وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمر رضي الله عنه قال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم وأخرج ابن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عمر رضي الله عنه قال إن أبا بكر كان سابقا مبرزا وقال عمر لوددت أبي شعرة في صدر أبي بكر أخرجه مسدد في مسنده وقال وددت أني من الجنة حيث أرى أبا بكر أخرجه ابن أبي الدنيا وابن عساكر وقال لقد كان ريح أبي بكر أطيب من ريح المسك أخرجه أبونعيم وأخرج ابن عساكر عن علي أنه دخل على أبي بكر وهو مسجى فقال ما أحد لقى الله بصحيفته أحب إلى من هذا المسجى وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثني عمر بن الخطاب أنه ما سبق أبا بكر إلى خير

قط إلا سبقه به وأخرج الطبراني في الأوسط عن علي قال والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر وأخرج في الأوسط أيضا عن جحيفة قال قال علي خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن وأخرج في الكبير عن ابن عمر قال ثلثة من قريش أصبح قريش

وجوها وأحسنها أخلاقا وأثبتا جنانا إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك أبو بكر الصديق وأبو عبدية بن الجراح وعثمان بن عفان وأخرج ابن سعد عن إبراهيم النخعي قال كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر الصديق مثل القطر أينما وقع نفع وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال نظرنا في صحابة الأنبياء فما وجدنا نبيا كان له صاحب مثل أبي بكر الصديق وأخرج عن الزهري قال من فضل أبي بكر أنه لم يشك في الله ساعة قط وأخرج عن الزبير بن بكار قال سمعت بعض أهل العلم يقول خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما وأخرج عن أبي حصين قال ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء

فصل أخرج الدينوري في المجالسة وابن عساكر عن الشعبي قال خص الله تبارك

وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس سماه الصديق ولم يسم أحدا الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود وأخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الإسلام وثانيه

في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا

فصل في الأحاديث والآيات المشيرة إلى خلافته وكلام الأئمة في ذلك

أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود ورضي الله عنه وأخرجه أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون خلفي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث إلا قليلا صدر هذا الحديث مجمع على صحته وارد من طرق عدة وقد تقدم شرحه في أول هذا الكتاب وفي الصحيحين في الحديث السابق أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب قرب وفاته وقال إن عبدا خيره الله الحديث وفي آخره ولا يبقين باب الإسد إلا باب أبي بكر وفي لفظ لهما لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر قال العلماء هذا إشارة إلى الخلافة لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين وقد ورد هذا اللفظ من حديث أنس رضي الله عنه ولفظه سدوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر أخرجه ابن عدي ومن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي وغيره ومن حديث ابن عباس في زوائد المسند ومن حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الطبراني ومن حديث أنس أخرجه البزار وأخرج الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن أبيه قال أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت

ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صلى الله عليه وسلم إن لم تجديني فأتي أبا بكر وأخرج الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال إلى أبي بكر وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيئا فقال لها تعودين فقالت يا رسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال إن جئت فلم تجديني فأتي أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه أدعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه

وسلم في مرضه الذي فيه مات ادعى لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد بعدي ثم قال دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف قالت أبو بكر قيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة

يا رسول الله إنه رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحديث متواتر ورد أيضا من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة رضي الله عنها وقد سقت طرقهم في الأحاديث المتواتره وفي بعضها عن عائشة رضي الله عنها لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر وفي حديث ابن زمعة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لا لا يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر يصلبالناس أبو بكر وفي حديث ابن عمر كبر عمر فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فأطلع رأسه مغضبا فقال أين ابن أبي قحافة قال العلماء في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة قال الأشعري قد علم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق أن يصلى بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار مع قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فدل على أنه كان أقرأهم أي أعلمهم بالقرآن أنتهى وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة منهم عمر وسيأتي قوله في فصل المبايعة ومنهم علي

وأخرج ابن عساكر عنه قال لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وإني أشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا قال العلماء وقد كان معروفا بأهلية الإمامة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان قتال بين بني عمرو بن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم وقال يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى وأخرج أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر عن حفصة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنت مرضت قدمت أبا بكر قال لست أنا أقدمه ولكن الله يقدمه وأخرج الدارقطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن يقدمك ثلاثا فأبى على إلا تقديم أبي بكر وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال أبو بكر يا رسول الله ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس قال لتكونن من الناس بسبيل قال ورأيت في صدري كالرقمتين قال سنتين وأخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون فرمى ببصرة في مؤخر القوم إلى رجل فقال ما تجد فيما تقرأ قبلك من الكتب قال خليفة النبي صلى الله عليه وسلم صديقه وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى أسأله عن أشياء فجئته فقلت له اشفني فيما اختلف الناس فيه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر فاستوى الحسن قاعدا

وقال أو في شك هو لا أبالك أي والله الذي لا إله إلا هو لقد استخلفته ولهو كان أعلم بالله وأتقى له وأشد له مخافة من أن يموت عليها لو لم يؤمره وأخرج ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال قال لي الرشيد يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق قلت يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون قال والله ما زدتني إلا غما قال يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يا رسول الله من يصلي بالناس قال مر أبا بكر يصلي بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه فقال بارك الله فيك وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة الصديق من آيات القرآن فأخرج البيهقى عن الحسن البصرى في قوله تعالى يا إيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قال هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم إلى الإسلام وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فذكر قتال أبي بكر لهم إلى أن قال فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وأخرج ابن أبي حاتم عن جويبر في قوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد قال هم بنو حنيفة قال ابن أبي حاتم وابن قتيبة هذه الآية حجة على خلافة الصديق لأنه الذي دعا إلى قتالهم وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري سمعت أبا العباس بن شريح يقول خلافة الصديق في القرآن في هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه الإدعاء أبي بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة قال فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته إذ أخبر الله أن المتولي

عن ذلك يعذب عذابا أليما قال ابن كثير ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم فالصديق هو الذي جهز الجيوش إليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان وهما فرعا الصديق وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهدي قال إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله يقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن عياش قال أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن لأن الله تعالى يقول للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصديقون فمن سماه الله صديقا فليس يكذب وهم قالوا يا خليفة رسول الله قال ابن كثير استنباط حسن وأخرج البيهقي عن الزعفران قال سمعت الشافعي يقول أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وأخرج أسد السنة في فضائله عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا ضلال وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر وأخرج الحاكم وصححه الذهبي عن مرة الطيب قال جاء أبو سفيان

ابن حرب إلى علي فقال ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها ذلا يعني أبا بكر والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا قال فقال على لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره ذلك شيئا إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا

فصل في مبايعته رضي الله عنه

روى الشيخان أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج فقال في خطبته قد بلغني أن فلانا منكم يقول لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلته وتمت ألا وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة وتخلفت الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين قلت نريد إخواننا من الأنصار فقالا عليكم ألا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت

مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت أداري منه
بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر على رسلك

فكرهت أن أغضبه وكان أعلم مني والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بداهته مثلها وأفضل منها حتى سكت فقال أما بعد فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها وكان والله إن أقدم فتضرب عنقي لا يقر بنى ذلك من إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال قائل من الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى وإما أن نخلفهم فيكون فيه فساد وأخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقالت الأنصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر فقام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول يا معشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا فترى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك

فقام زيد بن ثابت فقال أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من الهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والأنصار وصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا بالزبير فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه وقال ابن إسحاق في السيرة حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله وأخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خطب أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة

وما لي في الإمارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله فقال على والزبير ما غضبنا إلا لأنا آخرنا عن المشورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي وأخرج ابن سعد عن إبراهيم التميمي قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال أبسط يدك لأبايعك إنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لعمر ما رأيت لك فهة قبلها

منذ أسلمت أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين الفهة ضعف الرأي وأخرج ابن سعد أيضا عن محمد أن أبا بكر قال لعمر أبسط يدك لأبايعك فقال له عمر أنت أفضل مني فقال له أبو بكر أنت أقوى مني ثم كرر ذلك فقال عمر فإن قوتي لك مع فضلك فبايعه وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة فجاء فكشف عن وجهه فقال وقال فداء لك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا مات محمد ورب الكعبة فذكر الحديث قال وانطلق أبو بكر وعمر يتفاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم إلا ذكره وقال لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادي الأنصار ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء واخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال لما بويع أبو بكر رأي

من الناس بعض الانقباض فقال أيها الناس ما يمنعكم ألست أحقكم بهذا الأمر ألست أول من أسلم ألست ألست فذكر خصالا وأخرج أحمد عن رافع الطائي قال حدثني أبو بكر عن بيعته وما قالته الأنصار وما قاله عمر قال فبايعوني وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة يكون بعدها ردة وأخرج ابن إسحاق وابن عايد في مغازيه عنه أنه قال لأبي بكر ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين قال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وأخرج أحمد عن قيس بن أبي حازم قال إني لجالس عند أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر فذكر قصته فنودى في الناس الصلاة جامعة افجتمع الناس فصعد المنبر ثم قال أيها الناس لوددت أن هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها إن كان لمعصوما من الشيطان وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء وأخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال لما بويع أبو بكر قام خطيبا فقال أما بعد فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطانا يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم وأخرج ابن سعد والخطيب في رواية مالك عن عروة قال لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن وعلمنا فعلمنا فاعلموا

أيها الناس أن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وأن أقواكم عندي الضيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإذا أحسنت فأعينوني وإن أنازغت فقوموني أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم قال مالك لا يكون أحد إماما أبدا إلا على هذا الشرط وأخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك فقال ما هذا قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمر جلل فمن قام بالأمر بعده قالوا ابنك قال فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف

وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت وأخرج الواقدي من طرق عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم رضي الله عنهم أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المبنر حتى لقي الله ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله

فصل فيما وقع في خلافته

والذي وقع في أيامه من الأمور الكبار تنفيذ جيش أسامة وقتال أهل الردة وما نعى الزكاة ومسيلمة الكذاب وجمع القرآن أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكر فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة

الوحش فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبارا في الجاهلية جوازا في الإسلام بماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات مضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانقطع الوحي والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا قال عمر فوجدته في ذلك أمضمني وأحزم وآدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم وأخرج أبو القاسم البغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أشر أب النفاق وارتدت العرب وانحازت الأنصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بفنائها وفضلها قالوا أين يدفن النبي صلى الله عليه وسلم فماوجدنا عند أحد من ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسمل يقول ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه قالت واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة قال الأصمعي الهيض الكسر للعظم والاشرثباب رفع الرأس قال بعض العلماء وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة رضي الله عنهم فقال بعضهم ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها وقال آخرون بل بمسجده وقال آخرون بل بالبقيع وقال آخرون بل في بيت المقدس مدفن الأنبياء حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم قال ابن زنجويه وهذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والذي

لا إله إلا هو لولا إن أبا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلمانزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتد العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزمهوم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام وأخرج عن عروة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه أنفذوا جيش أسامة فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل فلم يبرح حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رجع إلى أبي بكر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني وأنا على غير حالكم هذه وأنا أتخوف أن تكفر العرب وإن كفرت كانوا أول من يقاتل وإن لم تكفر مضيت فإن معي سروات الناس وخيارهم فخطب أبو بكر الناس ثم قال والله لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه قال الذهبي لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم فقال والله لو منعوني عقالا أو عتاقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلىالله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال إلا بحقها قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق أخرجه الشيخان وغيرهما وعن عروة قال خرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نقعا حذاء بحد وهربت الأعراب بذراريهم فكلم الناس ابا بكر وقالوا ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء وأمر رجلا على الجيش ولم يزالوا به حتى رجع وأمر خالد ابن الوليد وقال له إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع ورجع أبو بكر إلى المدينة وأخرج الدار قطنى عن ابن عمر قال لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا وعن حنظلة بن علي الليثي أن أبا بكر بعث خالدا وأمره أن يقاتل الناس على خمس من ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعا على شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة فقاتل بني أسد وغطفان وقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون إلى الإسلام واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وفي رمضان من هذه السنة ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وعمرها أربع وعشرون سنة قال الذهبي وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب إلا منها فإن عقب ابنته زينب انقرضوا قاله الزبير بن بكار وماتت قبلها بشهر أم أيمن

وفي شوال مات عبد الله بن أبي بكر الصديق ثم سار خالد بمجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب في أواخر العام والتقى الجمعان ودام الحصار أياما ثم قتل الكذاب لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة واستشهد فيها خلق من الصحابة أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولى أبي حذيفة وشجاع بن وهب وزيد بن الخطاب وعبد الله بن سهل ومالك بن عمرو والطفيل بن عمرو الدوسي ويزيد بن قيس وعامر ابن البكير وعبد الله بن مخرمة والسائب بن عثمان بن مظعون وعباد بن بشر ومعن بن عدي وثابت بن قيس بن شماس وأبو دجانة سماك بن حرب وجماعة آخرون تتمة سبعين وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة ومولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي سنة اثنتي عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجوائي فنصر المسلمون وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى أهل النجير وكانوا قد ارتدوا وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والصعب بن جثامة الليثي وأبو مرثد الغنوي وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزا الأبلة فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صلحا وحربا وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ثم رجع فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام فكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ونصر المسلمون وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل وهشام بن العاصي في طائفة وفيها كانت وقعة مرج الصفر وهزم المشركون واستشهد بها الفضل ابن العباس في الطائفة

ذكر جمع القرآن أخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبو بكر

مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإني لأرى أن يجمع القرآن قال أبو بكر فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتوجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها وأخرج أبو يعلى عن علي قال أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين

فصل في أولياته منها أنه أول من أسلم وأول من جمع القرآن وأول من سماه مصحفا وتقدم دليل ذلك وأول من سمى خليفة

أخرج أحمد عن أبي بكر بن أبي مليكة قال قيل لأبي بكر يا خليفة الله قال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا راض به ومنها أنه أول من ولى الخلافة وأبوه حي وأول خليفة فرض له رعيته العطاء أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما استخلف أبو بكر قال لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف

للمسلمين وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق فقال عمر أين تريد قال إلى السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره ففرضا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن وأخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال زيدوني فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزاده خمسمائة وأخرج الطبراني في مسنده عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال لم احتضر أبو بكر قال يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين فإذا مت فارديه إلى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال أبو بكر لما احتضر لعائشة رضي الله عنها يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا دينارا

ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فإذا مت فأبعثني بهن إلى عمر ومنها أنه أول من اتخذ بيت المال أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي خيثمةوغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسنح ليس يحرسه أحد فقيل له ألا تجعل عليه من يحرسه قال عليه قفل فكان يعطى ما فيه حتى يفرغ فلما انتقل إلى المدينة حوله فجعله في داره فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوى بين الناس في القسم وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعله في سبيل الله واشترى قطائف أتى بها من البادية ففرقها في أرامل المدينة فلما توفى أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بهم في بيت مال أبي بكر منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا ولا دينارا ولا درهما قلت وبهذا الأثر يرد قول العسكري في الأوائل إن أول من أتخذ بيت المال عمر وإنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر رضي الله عنه وقد رددته عليه في كتابي الذي صنفته في الأوائل ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال إن أول من ولى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبي بكر ومنها قال الحاكم أول لقب في الإسلام لقب أبي بكر رضي الله عنه عتيق

فصل أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر من كان له عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم دين أوعدة فليأتنا فجئت وأخبرته فقال خذ فأخذت فوجدتها خمسمائة فأعطاني ألفا وخمسمائة

فصل في نبذ من حلمه وتواضعه

أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنة بعد ما استخلف فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال جاء رجل إلى أبي بكر فقال السلام عليك يا خليفة رسول الله قال من بين هؤلاء أجمعين وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقى لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها وهو يؤمئذ خليفة فقال عمر أنت هو لعمري وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهاني قال جاء الحسن ابن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انزل عن مجلس أبي فقال صدقت إنه مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى فقال علي والله ما هذا عن أمرى فقال صدقت والله ما أتهمك

فصل أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال استعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أبا بكر علىالحج في أول حجة كانت في الإسلام ثم حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النسة المقبلة فلما قبض رسول الله صلى

الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ثم حج أبو بكر من قابل فلما قبض

أبو بكر واستخلف عمر استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ثم لم يزل عمر يحج سنيه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج

فصل في مرضه ووفاته ووصيته واستخلافه عمر

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمد فما زال جسمه يجري حتى مات يجري أي ينقص

وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله

والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء النسة وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسم أبو بكر وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى صلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جماى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر قال دخلوا على أبي بكر في مرضه فقالوا يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك قال قد نظر إلي فقالوا ما قال لك قال قال إني فعال لما أريد

وأخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر وإن فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك فقال اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته فقال أبو بكر بالله تخوفني أقول اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت وراءك ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالاخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا فإن عدل فلذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه وقال اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم

خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت أستأجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي فقال لا نرضى إلا أن يكون عمر قال فإنه عمر وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال أي يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي لغد فإن أحب الأيام والليالي إلى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة

قال يا بنية والله ما من الناس أحد أحب إلي غني منك ولا أعز على فقرا بعدي منك وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددته واحترزته كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فأقسموه على كتاب الله فقالت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى قال ذو بطن ابنة خارجة

أراها جارية وأخرجه ابن سعد وقال في آخره ذات بطن ابنة خارجة قد

ألقى في روعي أنها جارية فاستوصى بها خيرا فولدت أم كلثوم وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله وقال آخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين

وأخرج من وجه آخر عنه قال لأن أوصى بالخمس أحب إلى من أن وصى بالربع وأن أوصى بالربع أحب إلي من أن أوصى بالثلث ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئا وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن الضحاك أن أبا بكر وعليا أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوي قرابتهما وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عائشة رضي الله عنها قالت والله ما ترك أبو بكر دينارا ولا درهما ضرب الله سكته وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت % لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى % إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر % فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد % انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على أبي بكر وهو في الموت فقلت % من لا يزال دمعه مقنعا % فإنه في مرة مدفوق

% % فقال لا تقولي هذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق

ذلك ما كنت منه تحيد % ثم قال في أي يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يوم الاثنين قال أرجو فيما بيني وبين الليل فتوفى ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن بكر بن عبد الله المزني قال لما احتضر أبو بكر قعدت عائشة رضي الله عنها عند رأسه فقالت

% وكل ذي إبل يوما سيوردها % وكل ذي سلب لا بد مسلوب

% %

ففهمها أبو بكر فقال ليس كذلك يا ابنتاه ولكنه كما قال الله وجاءت سكرة الموت % الآية وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي % وأبيض يستسقى الغمام بوجهه % ثمال اليتامى عصمة للآرامل % فقال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبادة بن قيس قال لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة اغسلي ثوبي هذين وكفنيني بهما فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب وأخرج ابن أبي الدينا عن ابن أبي مليكة أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر وكبر عليه أربعا وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصق اللحد بقبر سول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عن ابن عمر قال نزل في حفرة أبي بكر عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن أبي بكر وأخرج من طرق عدة أنه دفن ليلا وأخرج عن ابن المسيب أن أبا بكر لما مات ارتجت مكة فقال أبو قحافة ما هذا قالوا مات ابنك قال رزء جليل من قام بالأمر بعده قالوا عمر قال صاحبه

وأخرج عن مجاهد أن أبا قحافة رد ميراثه من أبي بكر على ولد أبي بكر ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياما ومات في المحرم سنته أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة قال العلماء لم يل الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر ولم يرث خليفة أبوه إلا أبا بكر وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال ولى أبو بكر سنتين وسبعة أشهر وفي تاريخ ابن عساكر بسنده عن الأصمعي قال قال خفاف

بن ندبة السلمى يبكي أبا بكر % ليس لحي فاعلمته بقا % وكل دنيا أمرها للفنا % % والملك في الأقوام مستودع % عارية فالشرط فيه الأدا % % والمرء يسعى وله راصد % تندبه العين ونار الصدا % % يهرم أو يقتل أو يقهره % يشكوه سقم ليس فيه شفا % % إن إبا بكر هو الغيث إن % لم تزرع الجوزاء بقلا بما % % تالله لا يدرك أيامه % ذومئزرناش ولاذو ردا % % من يسع كي يدرك أيامه % مجتهدا شذ بأرض فضا % فصل فيما روي عنه من الحديث المسند قال النووي في تهذيبه روي الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثا وسبب قلة روايته مع تقدم صحبته وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها

قلت وقد ذكر عمر رضي الله عنه في حديث البيعة السابق أن أبا بكر لم يترك شيئا أنزل في الأنصار أو قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم إلا ذكره وهذا أدل دليل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وروى عنه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي وابن عوف وابن مسعود وحذيفة وابن عمر وابن الزبير وابن عمرو وابن عباس وأنس وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وعقبة بن الحارث وعبد الرحمن ابنه وزيد بن أرقم وعبد الله بن مغفل وعقبة بن عامر الجهني وعمران بن حصين وأبو برزة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وأبو موسى الأشعري وأبو الطفيل الليثي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة ابنته واسماء أبنته ومن التابعين أسلم مولىعمر وواسط البجلي وخلائق وقد رأيت أن أسرد أحاديثه هنا علىوجه وجيز مبينا عقب كل حديث من خرجه وسأفردها بطرقها في مسند إن شاء الله تعالى الأول حديث الهجرة الشيخان وغيرهما

الثاني حديث البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته الدارقطنى

الثالث حديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب أحمد الرابع حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتفا ثم صلى ولم يتوضأ البزار وأبو يعلى الخامس حديث لا يتوضأن أحدكم من طعام أكله حل له أكله البزار السادس حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب المصلين أبو يعلى والبزار السابع حديث أن آخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلفي في ثوب واحد أبو يعلى الثامن حديث من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد احمد التاسع حديث أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم البخاري ومسلم

العاشر حديث من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده فمن قتله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه ابن ماجه

الحادي عشر حديث ما قبض نبي قط حتى يؤمه رجل من أمته البزار

الثاني عشر حديث ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي

ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان

الثالث عشر حديث ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن

فيه الترمذي الرابع عشر حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد أبو يعلى الخامس عشر حديث إن الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحي أبو يعلى السادس عشر اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان أبو يعلى السابع عشر حديث فرائض الصدقات بطوله البخارى وغيره الثامن عشر حديث عن ابن أبي مليكة قال كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق فيضرب بذراع ناقته ينيخها فقالوا له ألا أمرتنا بتناولكه فقال إن حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا اسأل الناس شيئا أحمد التاسع عشر حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس حين نفست بمحمد بن أبي بكر أن تغتسل وتهل البزار والطبراني العشرون سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحج أفضل فقال العج والثج الترمذي وابن ماجه الحادي والعشرون حديث أنه قبل الحجر وقال لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك الدارقطنى الثاني والعشرون حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعدالعام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث أحمدالثالث

والعشرون حديث ما بين بيتي ومنبري روضه من رياض الجنة ومنبر على ترعة من ترع الجنة أبو يعلى
الرابع والعشرون حديث انطلاقه صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي الهيثم
ابن التيهان بطوله أبو يعلى

الخامس والعشرون حديث الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والزائد المستزيد يدفي النار أبو يعلى والبزار
السادس والعشرون حديث ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به الترمذي السابع
والعشرون حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيىء الملكة وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده الثامن
والعشرون حديث الولاء لمن أعتق الضياء المقدسي في المختارة التاسع والعشرون حديث الولاء حديث لا نورث ما تركناه صدقه البخارى
الثلاثون حديث إن الله إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعلها للذي يقوم من بعده أبو داود الحادي والثلاثون حديث كفر بالله من تبرأ من
نسب وإن دق البزار الثاني والعشرون حديث أنت ومالك لأبيك قال أبو بكر وإنمايعنى بذلك النفقه البيهقي الثالث والثلاثون حديث من
أغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار البزار الرابع والثلاثون حديث أمرت أن أقاتل الناس الحديث الشيخان وغيرهما الخامس
والثلاثون حديث نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين أحمد السادس والثلاثون
حديث ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر الترمذي السابع والثلاثون حديث من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحد
محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عد لا حتى يدخله جهنم ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك من حمى الله شيئا بغير حقه
فعليه لعنة الله أحمد الثامن والثلاثون حديث قصة ما عزورجمه أحمد التاسع ولثلاثون حديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين
مرة الترمذي الأربعون حديث أنه صلى الله عليه وسلم شاور في أمر الحرب الطبراني الحادي والأربعون حديث لما نزلت من يعمل سوأ يجز
به الحديث الترمذي وابن حبان وغيرهما
الثاني والأربعون حديث إنكم تقرؤن هذه الآية
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الحديث أحمد والآربعة وابن حبان الثالث

والأربعون حديث ما ظنك بأثنين الله ثالثهما الشيخان الرابع والأربعون حديث اللهم طعنا وطاعونا أبو يعلى الخامس والأربعون حديث
شيبتني هود الحديث الدارقطنى في العلل السادس والأربعون حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل الحديث أبو يعلى وغيره
السابع والأربعون حديث قلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا
أمسيت الحديث الهيثم بن كليب في مسنده وهو عند الترمذي وغيره من مسند أبي هريرة الثامن والأربعون حديث عليكم بلا إله إلا الله
والاستغفار فإن أبليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالهواء فهم يحسبون
أنهم مهتدون أبو يعلى التاسع والأربعون حديث لمانزلت لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي
الهرم السرار البزار الخمسون حديث كل ميسر لما خلق له أحمد الأحد والخمسون حديث من كذب علي متعمدا ورد علي شيئا أمرت به
فليتبوأ بيتا في جهنم أبو يعلى الثاني والخمسون حديث ما نجاة هذا الأمر الحديث في لا إله إلا الله أحمد وغيره الثالث والخمسون أخرج
فناد في الناس من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة فخرجت فلقيني عمر الحديث أبو يعلى وهو محفوظ من حديث أبي هريرة غريب
جدا من حيث أبي بكر الرابع والخمسون حديث صنفان من أمتي لا يدخلان الجنة المرجئة والقدرية الدارقطنى في العلل الخامس والخمسون
حديث سلوا الله العافية أحمد والنسائي وابن ماجة وله من طرق كثيرة عنه السادس والخمسون حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أراد أمرا قال اللهم خر لي واختر لي الترمذي السابع والخمسون حديث دعاء الدين اللهم فارج الهم الحديث البزار والحاكم الثامن
والخمسون حديث كل جسد نبت من سحت فالنار أولبه وفي لفظ

لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام أبو يعلى التاسع والخمسون حديث ليس شيء من الجسد إلا وهو يشكو درب اللسان أبو يعلى الستون

حديث ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر فيها لكل بشر ما خلا كافر أو رجلا في قلبه شحناء الدارقطنى الأحد والستون حديث أن الدجال يخرج بالمشرق من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوهم المجال المطرقة الترمذي وابن ماجة الثاني والستون حديث أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الحديث أحمد الثالث والستون حديث الشفاعة بطوله في تردد الخلائق إلى نبي بعد نبي أحمد الرابع والستون حديث لوسلك الناس واديا وسلكت الآنصار واديا لسلكت وادي الأنصار أحمد الخامس والستون حديث قريش ولاة هذا الأمر برهم تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم أحمد السادس والستون حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بالأنصار عند موته وقال أقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم البزار والطبراني السابع والستون حديث إني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر بها حي من العرب لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر أحمد وأبو يعلى الثامن والستون حديث أن أبا بكر مر بالحسن وهو يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وقال يأبى شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي

البخارى وقال ابن كثير وهو في حكم المرفوع لأنه في قوة قوله إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن التاسع والستون حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم أيمن مسلم السبعون حديث قتل السارق في الخامسة أبو يعلى والديلمي الحادي والسبعون حديث قصة أحد الطيالسي والطبراني الثاني والسبعون حديث بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئا ولا أرى شيئا قلت يا رسول الله ما الذي تدفع قال الدنيا تطولت لي فقلت إليك عني فقالت لي

إما أنك لست بمدركي البزار هذا ما أورده ابن كثير في مسند الصديق من الأحاديث المرفوعة وقد فاته أحاديث أخرى نتبعها لتكملة العدة التي ذكرها النووي الثالث والسبعون حديث أقتلوا الفرد كائنا ما كان من الناس الطبراني في الأوسط الرابع والسبعون حديث انظروا دور من تعمرون وأرض من تسكونون وفي طريق من تمشون الديلمي الخامس والسبعون حديث أكثروا من الصلاة على فإن الله وكل بقبري ملكا فإذا صلى رجل من أمتي قال لي ذلك الملك إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة الديلمى السادس والسبعون حديث الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما والغسل يوم الجمعة كفارة الحديث العقيلي في الضعفاء السابع والسبعون حديث إنما حر جهنم على أمتي مثل الحمام الطبراني الثامن والسبعون حديث إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للآيمان ابن لال في مكارم الأخلاق التاسع والسبعون حديث بشر من شهد بدرا بالجنة الدارقطنى في الأفراد الثمانون حديث الدين راية الله الثقيلة من ذا الذي يطيق حملها الديلمى الحادي والثمانون حديث سور يس تدعى المعمة المطعمة الحديث الديلمى والبيهقي في الشعب الثاني والثمانون حديث السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ويرفع له في كل يوم وليلة عمل ستين صديقا أبو السيخ والعقيلي في الضعفاء وابن حبان في كتاب الثواب الثالث والثمانون حديث قال موسى لربه جزاء من عزى الثكلى قال أظله في ظلي ابن شاهين في الترغيب والديلمي الرابع والثمانون حديث اللهم أشدد الإسلام بعمر بن الخطاب الطبراني في الأوسط الخامس والثمانون حديث ما صيد صيد ولا عضدت عضاه ولا قطعت وشيجة إلا بقلة التسبيح ابن راهويه في مسنده السادس والثمانون حديث لو لم أبعث فيكم لبعث عمر الحديث الديلمي السابع والثمانون حديث لو أتجر أهل الجنة لاتجروا بالبز أبو يعلى الثامن والثمانون حديث من خرج يدعو إلى نفسه أو إلى غيره وعلى الناس أمام فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين فاقتلوه الديلمي في التاريخ التاسع والثمانون حديث من كتب عني علما أو حديثا لم يزل يكتب له الأجر ما بقى ذلك العلم أو الحديث الحاكم في التاريخ التسعون حديث من مشى حافيا في طاعة الله لم يسأله الله يوم القيامة عما افترض عليه الطبراني في الأوسط الحادي والتسعون حديث من سره أن يظله الله من فور جهنم ويجعله في ظله فلا يكن علىالمؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما ابن لال في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ وابن حبان في الثواب الثاني والتسعون حديث من أصبح ينوي لله طاعة كتب الله له أجر يومه وإن عصاه الديلمي الثالث والتسعون حديث ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب الطبراني في الأوسط الرابع والتسعون حديث لايدخل الجنة مفتر الديلمي ولم يسنده الخامس والتسعون حديث لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير الديلمي السادس

والتسعون حديث يقول الله إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي أبو الشيخ وابن حبان والديلمي السابع والتسعون حديث سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإزار فأخذ بعضلة الساق فقلت يا رسول الله زدني فأخذ بمقدم العضلة فقلت زدني قال لا خير فيما هو أسفل من ذلك قلت هلكنا يا رسول الله قال يا أبا بكر سدد وقارب تنج أبو نعيم في الحلية الثامن والتسعون حديث كفى وكف على في العدل سواء الديلمي وابن عساكر

التاسع والتسعون حديث لا تغفلوا التعوذ من الشيطان فإنكم إن لم تكونوا

ترونه فإنه ليس عنكم بغافل الديلمي ولم يسنده المائة حديث من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة الطبراني في الأوسط الحادي والمائة حديث من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا الطبراني في الأوسط

الثاني والمائة حديث رفع اليدين في الافتتاح والركوع والسجود والرفع

البيهقي في السنن الثالث والمائة حديث أنه صلى

الله عليه وآله وسلم أهدى جملا لأبي جهل الإسماعيلي في معجمه الرابع والمائة حديث النظر إلى علي عبادة ابن عساكر

فصل فيما ورد عن الصديق من تفسير القرآن

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال سئل أبو بكر عن آية فقال أي أرض تسعني أوأى سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله وأخرج أبو عبيدة عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله مالا أعلم

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة فقال إني سأقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال إني لأستحي أن أرد شيئا قاله أبو بكر وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الأسود بن هلال قال قال أبو بكر لأصحابه ما تقولون في هاتين الآيتين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم قالوا ثم استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة قال لقد حملتموهما على غير المحمل ثم قال قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يميلوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البجلي عن أبي بكر الصديق في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله تعالى وأخرج ابن جرير عن أبي بكر في قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالها الناس فمن مات عليها فهو ممن استقام

فصل فيما روى عن الصديق رضي الله عنه من الآثار الموقوفة قولا أو قضاء أو

خطبة أو دعاء أخرج اللالكائي في السنة عن ابن عمر قال جاء رجل إلى أبي بكر فقال أرأيت الزنا بقدر قال نعم قال فإن الله قدره علي ثم يعذبني قال نعم يا ابن اللخناء أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ أنفك وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن الزبير أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس يا معشر الناس استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطيا رأسي استحياء من الله وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن عمرو بن دينار قال قال أبو بكر استحيوا من الله فوالله إني لأدخل الكنيف فأسند ظهري إلى الحائط حياء من الله وأخرج أبو داود في سننه عن أبي عبد الله الصنابحي أنه صلى وراء أبي بكر الصديق المغرب فقرأ في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل وقرأ في الثالثة ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الاية وأخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن ابن عيينة قال كان أبو بكر إذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة الموت أهون مما قبله وأشد مما بعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصغر مصيبتكم وأعظم الله أجركم وأخرج ابن أبي شيبة والدارقطني عن سالم بن عبيد وهو صحابي قال كان أبو بكر الصديق يقول لي قم بيني وبين الفجر حتى أتسحر وأخرج عن أبي قلابة وأبي السفر قالا كان أبو بكر الصديق يقول أجيفوا الباب حتى نتسحر 1

وأخرج البيهقي وأبو بكر بن زياد النيسابوري في كتاب الزيادات عن حذيفة ابن أسيد قال لقد أدركت أبا بكر وعمر وما يضحيان إرادة أن يستن بهما وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال شهدت علي أبي بكر الصديق أنه قال كلوا الطافي من السمك وأخرج الشافعي في الأم عن أبي بكر الصديق أنه كره بيع اللحم بالحيوان وأخرج البخاري عنه أنه جعل الجد بمنزلة الأب يعنى في الميراث وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن عطاء عن أبي بكر قال الجد بمنزلة الأب ما لم يكن أب دونه وابن الابن بمنزلة الابن ما لم يكن ابن دونه وأخرج عن القاسم أن أبا بكر أتى برجل انتفى من أبيه فقال أبو بكر اضرب الرأس فإن الشيطان في الرأس وأخرج عن ابن أبي مالك قال كان أبو بكر إذا صلى على الميت قال اللهم عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة والذنب عظيم وأنت غفور رحيم وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر أن أبا بكر قضى بعاصم بن عمر ابن الخطاب لأم عاصم وقال ريحها وشمها ولطفها خير له منك وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال جاء رجل إلى أبي بكر فقال إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه فقال لأبيه إنما لك من ماله ما يكفيك فقال يا خليفة رسول الله أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك فقال نعم وإنما يعنى بذلك النفقة وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد وأخرج البخاري عن أبي مليكة عن جده أن رجلا عض يد رجل فأندر ثنيته فأهدرها أبو بكر وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عكرمة أن أبا بكر قضى في الأذن

بخمس عشرة من الإبل وقال يوارى شينها الشعر والعمامة وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمر أن الجوني أن أبا بكر بعث جيوشا إلى الشام وأمر عليهم يزيد بن أبي سفيان فقال إني موصيك بعشر خلال لا تقتلوا امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطع شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقر شاة ولا بعيرا إلا لمالكه ولا تفرقن نخلا ولا تحرقنه ولا تغلل ولا تجبن وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي برزة الأسلمي قال غضب أبو بكر من رجل فاشتد غضبه جدا فقلت يا خليفة رسول الله اضرب عنقه قال ويلك ما هي لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج سيف في كتاب الفتوح عن شيوخه أن المهاجرين بن أبي أمية وكان أميرا على اليمامة رفع إليه امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتها فكتب إليه أبو بكر بلغني الذي فعلت في المرأة التي تغنت بشم النبي صلى الله عليه وسلم فلولا ما سبقتني فيها لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر وأما التي تغنت بهجاء المسلمين فإن كانت ممن يدعى الإسلام فأدب وتعزير دون المثلة وإن كانت ذمية فلعمرى لما صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروها فأقبل الدعة وإياك والمثلة في الناس فإنها مأثم ونفرة إلا في قصاص وأخرج مالك والدارقطنى عن صفية بنت أبي عبيد أن رجلا وقع على جارية بكر واعترف فأمر به فجلد ثم نفاه إلى فدك

وأخرج أبو يعلى عن محمد بن حاطب قال جيء إلى أبي بكر برجل قد سرق وقد قطعت قوائمه فقال أبو بكر ما أجد لك شيئا إلا ما قضى فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فإنه كان أعلم بك فأمر بقتله وأخرج مالك عن القاسم بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبي بكر فشكا إليه إن عامل اليمن ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم إنهم افتقدوا حليا لأسماء بنت عميس امرأة أبي بكر فجعل يطوف معهم ويقول اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به فاعترف الأقطع أو شهد عليه فأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر والله لدعاؤه على نفسه أشد عندي عليه من سرقته وأخرج الدارقطنى عن أنس أن أبا بكر قطع في مجن قيمته خمسة دراهم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي صالح قال لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب قال أبو نعيم أي قويت وأطمأنت بمعرفة الله تعالى وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال أبو بكر أرقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وأخرج أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر قال طوبى لمن مات في النانأة أي في أول الإسلام قبل تحرك الفتن وأخرج الأربعة ومالك عن قبيصة قال جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال

المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر وأخرج مالك والدارقطني عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب فأعطى الميراث لأم الأم فقال له عبد الرحمن ابن سهل الأنصاري وكان ممن شهد بدرا وهو أخو بني حارثة يا خليفة رسول الله أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها فقسمه بينهما وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها حديث امرأة رفاعة التي طلقت منه وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير فلم يستطع أن يغشاها وأرادت العود إلى رفاعة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وهذا القدر في الصحيح وزاد عبد الرزاق فقعدت ثم جاءته فأخبرته أنه قد مسها فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول وقال اللهم إن كان أنمى بها أن ترجع إلى رفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى ثم أتت أبا بكر وعمر في خلافتهما فمعناها وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر أن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثاه بريدا إلى أبي بكر يرأس بنان بطريق الشام فلما قدم علي أبي بكر أنكر ذلك فقال له عقبة يا خليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا قال أفيستنان بفارس والروم لا يحمل إلى رأس إنما يكفى الكتاب والخبر وأخرج البخاري عن قيس بن أبي خازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال ما لها لا تتكلم فقالوا حجت مصمتة قال لها تكلمي فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت فقالت من أنت قال امرؤ من المهاجرين قالت أي المهاجرين

قال من قريش قالت من أي قريش قال إنك لسؤل أنا أبو بكر قالت ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية قال بقاؤكم عليه ما استقامت ائمتكم قالت وما الأئمة قال أو ما كان لقومك رؤس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم قالت بلى قال فهم أولئك الناس وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا قال أبو بكر ما هو قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني هذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه وأخرج احمد في الزهد عن ابن سيرين قال لم أعلم أحدا أستقاء من طعام أكله غير أبي بكر وذكر القصة وأخرج النسائي عن أسلم أن عمر أطلع على أبي بكر وهو أخذ بلسانه فقال هذا الذي أوردني الموارد وأخرج أبو عبيد في الغريب عن أبي بكر أنه مر بعبد الرحمن بن عوف وهو يماظ جارا له فقال له لا تماظ جارك فإنه يبقى ويذهب عنك الناس المماظة المنازعة والمخاصمة وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول الحمد لله رب العالمين أحمده وأستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فإنه قد دنا أجلى وأجلكم أشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لينذر من كان حيا

ويحق القول على الكافرين ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فإنه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق وإياكم وإتباع الهوى فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب وإياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاسلموا يوما بيوم وساعة بساعة وتوقوا دعاء المظلوم وعدوا أنفسكم في الموتى واصبروا فإن العمل كله بالصبر واحذروا والحذر ينفع واعملوا والعمل يقبل واحذروا ما حذركم الله من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا واتقوا وتوقوا فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الأعمال وما يكره فإني لا آلوكم ونفسي والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه ذوافل بين أيديكم تستوفوا لسلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب

يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره فإنه لا خير في خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال أوصيكم بتقوى الله وأن تمنعوا عليه بما هو له أهل وأن تخلطواالرغبة بالرهبة فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ثم أعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه فاستضيئوا بنوره وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة فإنه إنما خلقكم لعبادته ووكل بكم كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بإذن الله سابقوا في آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى أسوأ أعمالكم فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنها كم أن تكونوا أمثالهم فالوحا الوحا ثم النجاء النجاء فإن وراءكم طالبا حثيثا أمره سريع وأخرج ابن أبي الدنيا وأحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن يحيى ابن أبي كثير أن أبا بكر كان يقول في خطبته أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر وأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجاء النجاء وأخرج أحمد في الزهد عن سلمان قال أتيت أبا بكر فقلت أعهد إلي فقال يا سلمان اتق الله وأعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك أو ألقيته على ظهرك واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسى في ذمة الله تعالى فلا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك

وأخرج عن أبي بكر رضي الله عنه قال يقبض الصالحون الأول فالأول حتى يبقى من الناس حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن معاوية بن قرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في دعائه اللهم أجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك وأخرج أحمد في الزهد عن الحسن قال بلغني أن أبا بكر كان يقول في دعائه اللهم أني أسالك الذي هو خير لي في عاقبة الأمر اللهم أجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلي من جنات النعيم وأخرج عن عرفجة قال قال أبو بكر من استطاع أن يبكي فليبك وإلا فليتباك وأخرج عن عزرة عن أبي بكر قال اهلكهن الأحمران الذهب والزعفران وأخرج عن مسلم بن يسار عن أبي بكر قال إن المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في النكبة وانقطاع شسعه والبضاعة تكون في كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها في غبنه وأخرج عن ميمون بن مهران قال أتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح وأخرج البخاري في الأدب وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الصنابحي أنه سمع أبا بكر يقول إن دعاء الأخ لأخيه في الله يستجاب وأخرج عبد الله في زوائد الزهد عن عبيد بن عمير عن لبيد الشاعر أنه قدم علي أبي بكر فقال الا كل شيء ما خلا الله باطل فقال صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت عند الله نعيم لا يزول فلما ولي قال أبو بكر ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة

فصل في كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه

أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال دخل أبو بكر حائطا وإذا بدبسي في ظل شجرة فتنفس الصعداء ثم قال طوبى لك يا طير تأكل من الشجر وتستظل بالشجر وتصير إلى غير حساب يا ليت أبا بكر مثلك وأخرج ابن عساكر عن الصمعي قال كان أبو بكر إذا مدح قال اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وأخرج أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال قال أبو بكر الصديق لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن وأخرج أحمد في الزهد عن مجاهد قال كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع قال وحدثت أن أبا بكر كان كذلك وأخرج عن الحسن قال

قال أبو بكر والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد وأخرج عن قتادة قال بلغني أن أبا بكر قال وددت أني خضرة تأكلني الدواب وأخرج عن ضمرة بن حبيب قال حضرت الوفاة ابنا لأبي بكر الصديق فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة فلما توفى قالوا لأبي بكر رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة فدفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يرجع ويقول إنا لله إليه راجعون يا فلان ما أحسب جلدك يتسع لها وأخرج عن ثابت البناني أن أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر

لا تزال تنعى حبيبا حتى تكونه % وقد يرجو الفتى الرجا يموت

دونه %

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال لم يكن أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر وإن أبا بكر نزلت فيه قضية فلم يجد لها في كتاب الله أصلا ولا في السنة أثرا فقال اجتهد رأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله

فصل فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال رأت عائشة رضي الله عنها كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار فقصتها على أبي بكر وكان من أعبر الناس فقال إن صدقت رؤياك ليدفنن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثا فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة هذا خير أقمارك وأخرج أيضا عن عمر بن شرحبيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني أردفت غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ما ترى السود فيها فقال أبو بكر يا رسول الله أما الغنم السود فإنها العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الأعاجم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحرا وله عن ابن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني على بئر أنزع فيها فوردتني غنم سود ثم ردفها غنم عفر فقال أبو بكر دعني أعبرها فذكر نحوه وأخرج ابن سعدعن محمد بن سيرين قال كان أعبر هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة

فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن أبي قلابة أن رجلا قال لأبي بكر الصديق رأيت في النوم أني أبول دما قال أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض فاستغفر الله ولا تعد % فائدة % أخرج البيهقي في الدلائل عن عبد الله بن بريدة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر وعمر فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا ينوروا نارا فغضب عمر فهم أن يأتيه فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه وأخرج البيهقي من طريق أبي معشر عن بعض مشيختهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هوخير منه لأنه أيقظ عينا وأبصر بالحرب فصل أخرج خليفة بن خياط وأحمد بن حنبل وابن عساكر عن يزيد ابن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنا أكبر أو أنت قال أنت أكبر وأكرم وأنا أسن منك مرسل غريب جدا فإن صح عد هذا الجواب من فرط ذكائه وأدبه والمشهور أن هذا الجواب للعباس وقد وقع ايضا لسعيد بن يربوع أخرجه الطبراني ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أينا أكبر قال أنت أكبر وأخبر مني وأنا أقدم وأخرج أبو نعيم أن أبا بكر قيل له يا خليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر قال إني أرى مكانهم ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا وأخرج أحمد في الزهد عن إسماعيل بن محمد أن أبا بكر قسم قسما فسوى فيه

بين الناس فقال له عمر تسوى بين أصحاب بدر وسواهم من الناس فقال أبو بكر إنما الدنيا بلاغ وخير البلاغ أوسعه وإنما فضلهم في أجورهم فصل أخرج أحمد في الزهد عن أبي بكر بن حفص قال بلغني أن أبا بكر كان يصوم الصيف ويفطر الشتاء وأخرج ابن سعد عن حيان الصائغ قال كان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله فائدة أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة قال لا نعلم أربعة أدركوا النبي

صلى الله عليه وسلم وأبناءهم إلا هؤلاء الأربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر الصديق وابنه عبد الرحمن وابو عتيق بن عبد الرحمن واسمه محمد وأخرج ابن منده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت ما اسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو ابي بكر فائدة أخرج ابن سعد والبزار بسند حسن عن أنس قال كان أسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وسهيل بن عمرو ابن بيضاء فائدة أخرج البيهقي في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما كان عام الفتح خرجت ابنة لأبي قحافة فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من ورق فاقتطعه إنسان من عنقها فلما دخل رسول الله صلى الله عيه وسلم المسجد قام أبو بكر وقال أنشد بالله والإسلام طوق أختي فوالله ما أجابه أحد ثم قال الثانية فما أجابه أحد ثم قال يا أخته احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل فائدة رأيت بخط الحافظ الذهبي من كان فرد زمانه في فنه أبو بكر الصديق في النسب عمر بن الخطاب في القوة في أمر الله عثمان بن عفان في الحياء علي في القضاء أبي بن كعب في القراءة زيد بن ثابت في الفرائض ابو عبيدة بن الجراح في الأمانة ابن عباس في التفسير أبو ذر في صدق

اللهجة خالد بن الوليد في الشجاعة الحسن البصري في التذكير وهب بن منبه في القصص ابن سيرين في التعبير نافع في القراءة أبو حنيفة في الفقة ابن إسحاق في المغازي مقاتل في التأويل الكلبي في قصص القرآن الخليل في العروض فضيل بن عياض في العبادة سيبويه في النحو مالك في العلم الشافعي في فقه الحديث أبو عبيدة في الغريب علي بن المديني في العلل يحيى بن معين في الرجال ابو تمام في الشعر أحمد بن حنبل في السنة البخارى في نقد الحديث الجنيد في التصوف محمد بن نصر المروزي في الأختلاف الجبائي في الاعتزال الأشعري في الكلام محمد بن زكريا الرازي في الطب أبو معشر في النجوم إبراهيم الكرماني في التعبير ابن نباتة في الخطب أبو الفرج الأصبهاني في المحاضرة أبو القاسم الطبراني في العوالي ابن حزم في الظاهر أبو الحسن البكري في الكذب الحريري في مقاماته ابن منده في سعة الرحلة المتنبي في الشعر الموصلي في الغناء الصولى في الشطرنج الخطيب البغدادي في سرعة القراءة علي بن هلال في الخط عطاء السليمي في الخوف القاضي الفاضل في الإنشاء الأصمعي في النوادر أشعب في الطمع معبد في الغناء ابن سينا في الفلسفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوى الفاروق اسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة قاله الذهبي وقال النووي ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وكان من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم

بعثوه سفيرا أي رسولا وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا وأسلم قديمابعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة وقيل بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة وقيل بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون قال وهو أحد السابقين الأولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا روى عنه عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبو ذر وعمرو بن عبسة وابنه عبد الله وابن عباس وابن الزبير وأنس وابو هريرة وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري والبراء بن عازب وابو سعيد الخدري وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم أقول وأنا ألخص هنا فصولا فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته

فصل في الأخبار الواردة في إسلامه

أخرج الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم وأخرج الحاكم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق وفي الكبير من حديث ثوبان وأخرج احمد عن عمر قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت والله هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنؤن الآيات فوقع في قلبي الإسلام كل موقع وأخرج ابن أبي شيبة عن

جابر قال كان أول إسلام عمر أن عمر قال ضرب أختي المخاض
ليلا فخرجت من البيت فدخلت في أستار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه
وسلم فدخل الحجر وعليه بتان
وصلى لله ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم أسمع مثله فخرج
فاتبعته فقال من هذا فقلت عمر فقال يا عمر ما تدعني لا ليلا ولا نهارا فخشيت أن يدعو علي فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال يا عمر أسرة قلت لا والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال اين تعمد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال ما أراك إلا قد صبأت قال أفلا أدلك على العجب إن ختنك
وأختك قد صبئا وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس
عمر توارى في البيت فدخل فقال ما هذه الهينمة
وكانوا يقرءون طه قالا ما عدا حديثا تحدثناه بينا قال فلعلكما قد
صبأتما فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهي غضبى وإن كان الحق في غير دينك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقال عمر أعطوني الكتاب الذي هو عندكم

فأقرأه وكان عمر يقرأ الكتاب فقالت أخته إنك رجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمرحتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة هذا عمر إن يرد الله به خيرا يسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى إليه فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله وأخرج البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أسلم قال قال لنا عمر كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل فقال عجبا لك يا ابن الخطاب إنك تزعم أنك وأنك وقد دخل عليك الأمر في بيتك قلت وما ذاك قال أختك قد أسلمت فوجعت مغضبا حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت عمر فتبادروا فاختفوا مني وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها ونسوها فقامت أختي تفتح الباب فقلت يا عدوة نفسها أصبأت وضربتها بشيء كان في يدي على رأسها فسال الدم وبكت فقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبأت قال ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة فقلت ما هذا ناولينيها قالت لست من أهلها

إنك لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون فما زلت بها باسم حتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فهيا بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها فإدا فيها سبح لله ما في السموات والأرض فذعرت فقرأت إلى آمنو بالله ورسوله فقلت أشهد أن لا إله إلا الله فخرجوا إلى مبادرين وكبروا وقالوا أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل بن هشام وإما عمر ودلوني على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت بأسفل الصفا فخرجت حتى قرعت الباب فقالوا من قلت ابن الخطاب وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال صلى الله عليه وسلم افتحوا له ففتحوا لي فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال خلوا عنه ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فتشهدت فكبر المسلمون تكبيرة سمعت

بفجاج مكة وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب إلا رأيته ولا يصيبني من ذلك شيء فجئت إلى خالي أبي جهل بن هشام وكان شريفا فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت ابن الخطاب وقد صبأت فقال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني فقلت ما هذا بشيء فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلى فقلت له مثل مقالتي لخالي وقلل لي مثل ما قال خالي فدخل وأخاف الباب دوني فقلت ما هذا بشيء إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب فقال لي رجل أتحب أن يعلم بإسلامك قلت نعم قال فإذا جلس الناس في الحجر فأت فلانا لرجل لم يكن يكتم السر فقل له فيما بينك وبينه إني قد صبأت فإنه قل ما يكتم السر فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت فيما بيني وبينه إني قد صبأت قال أو قد فعلت قلت نعم فنادى بأعلى صوته إن

ابن الخطاب قد صبأ

فبادروا إلى فما زلت أضر بهم ويضربونني واجتمع علي الناس فقال خالي ما

هذه الجماعة قيل عمر قد صبأ فقام علي الحجر فأشار بكمه إلا أني قد أجرت ابن أختي فتكشفوا عني فكنت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته فقلت ما هذا بشيء قد يصيبني فأتيت خالي فقلت جوارك رد عليك فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سميت الفاروق فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فأتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال مالك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف في دار الأرقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان ابن فلان المخزومي فقلت له ارغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد فقال إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني قلت ومن هو قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة ففتح لي الباب فدخلت فقلت ما هذا الذي أسمع عندكم قالوا ما سمعت شيئا فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته ضربة فأدميته فقامت إلى أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدماء

فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت أختي إنه لا يمسه إلا المطهرون فإن كنت صاقا فقم واغتسل فقمت فاغتسلت وجئت فجلست فأخرجوا إلى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلى قوله له الأسماء الحسنى قال فتعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فأسلمت وقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فإنه في دار الأرقم فأتيت الدار فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال وإن كان عمر أفتحوا له الباب فإن أقبل قبلنا منه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة قلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الإخفاء فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلى وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يؤمئذ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبري فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله يا أيها النبي حسبك الله ومن أتبعك من المؤمنين وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان إسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت إمامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى اسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا وأخرج الطبراني عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب إسناده صحيح حسن وأخرج ابن سعد عن صهيب قال لما أسلم عمر رضي الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة

فصل في هجرته رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن علي قال ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى

2 في يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت 3 الوجوه من أراد أن

تثكله أمه 1 ويبتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد وأخرج عن البراء رضي الله عنه قال أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ثم ابن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا فقلنا ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو على أثري ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه معه قال النووي شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت معه يوم أحد

فصل في الأحاديث الواردة في فضله

غير ما تقدم في ترجمة الصديق رضي الله عنه أخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرا فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر الرى يجري في أظفاري ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر أي ملهمون وأخرج الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري وعصمة بن مالك وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وأخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وأخرجه الطبراني من

حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي الله عنهم وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر وأخرج ابن منيع في مسنده عن علي رضي الله عنه قال كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر وأخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر سراج أهل الجنة وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة والصعب بن جثامة وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غلق الفتنة وأشار بيده إلى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقرىء عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ورضاه حكم وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الشيطان يفرق من عمر وأخرج أحمد من طريق بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان ليفرق

منك يا عمر

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق

من عمر

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله باهى بأهل عرفة عامة

وباهى بعمر خاصة وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس رضي الله

عنهما وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بعدي مع عمر حيث كان

وأخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنه قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها إلى ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا

أو ذنوبين

وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر

ابن الخطاب فاستقى فاستحالت في يده غربا

فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه

5 حتى روى الناس وضربوا بعطن قال النووى في تهذيبه قال العلماء هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر وكثرة الفتوح وظهرو الإسلام في زمن عمر وأخرج الطبراني عن سديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه وأخرجه الدارقطنى في الأفراد من طريق سديسة عن حفصة وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ليبك الإسلام على موت عمر وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض عمر فقد أبغضني ومن أحب عمر فقد أحبني وإن الله باهي 1 بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وإنه لم يبعث الله نبيا

إلا كان في أمته محدث وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا يا رسول الله كيف محدث قال تتكلم الملائكة على لسانه إسناده حسن

فصل في أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما على ظهر الأرض رجل أحب إلى من عمر أخرجه ابن عساكر وقيل لأبي بكر في مرضه ماذاتقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم خيرهم أخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فحيهلا

بعمر ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر أخرجه الطبراني في الأوسط وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث قبض أحد ولا أجود من عمر أخرجه ابن سعد وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن علم عمر وضع في كفه ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه كأن علم الناس كان مدسوسا في حجر عمر وقال حذيفة والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر وقالت عائشة رضي الله عنها وذكرت عمر كان والله أحوذ يا نسيج وحده وقال معاوية رضي الله عنه أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها وأما نحن فتمر غنافيها ظهرا لبطن أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات وقال جابر رضي الله عنه دخل على علي عمر وهو مسجى فقال رحمة الله عليك ما من أحد أحب إلى أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المسجى أخرجه الحاكم

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله تعالى أخرجه الطبراني والحاكم وسئل ابن عباس عن أبي بكر فقال كان كالخير كله وسئل عن عمر فقال كان كالطير الحذر الذي يرى أن له بكل طريق شركا يأخذه وسئل عن على فقال ملىء عزما وحزما وعلما ونجدة أخرجه في الطيوريات وأخرج الطبراني عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتي قال أجد نعتك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون من بعدك خليفةتقتله فئة ظالمة قال ثم مه قال ثم يكون البلاء وأخرج أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع بذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق الآية وبذكر الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت له زينب وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا فأنزل الله فإذا سألتموهن متاعا الآية وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أيد الإسلام بعمر وبرأيه في أبي بكر كان أول من بايعه وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر فلما أصيب بثت وأخرج عن سالم بن عبد الله قال أبطأ خبر عمر على أبي موسى فأتى امرأة في بطنها شيطان فسألها عنه فقالت حتى يجيئني شيطاني فجاء فسألته عنه فقال تركته مؤتزرا بكساء يهنأ أبل الصدقة وذاك رجل لا يراه شيطان إلا خر لمنخريه الملك بين عينيه وروح القدس ينطق بلسانه فصل قال سفيان الثوري من زعم أن عليا كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر فقد أخطأ وخطأ ابا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار

وقال شريك ليس يقدم عليا على ابي بكر وعمر أحد فيه خير وقال أبو أسامة أتدرون من أبو بكر وعمر هما أبو الإسلام وأمه وقال جعفر الصادق أنا برىء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير

فصل في موافقات عمر رضي الله عنه

قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن وأخرج ابن عساكر عن علي قال إن في القرآن لرأيا م نرأى عمر وأخرج عن ابن عمر مرفوعا ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وأخرج الشيخان عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وأخرج مسلم عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم ففي هذا الحديث خصلة رابعة

وفي التهذيب للنووي نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب

وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر فزاد خصلة خامسة وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تحريمها

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال قال عمر وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت أنا فتبارك الله حسن الخالقين فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند ثم رأيت في كتاب فضائل الإمامين لأبي عبد الله الشيباني قال وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعا فذكر هذه الستة وزاد سابعا قصة عبد الله ابن أبي قلت حديثها في الصحيح عنه قال لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه فقام إليه فقمت حتى وقفت في صدره فقلت يا رسول الله أو على عدو الله ابن أبي القائل يوم كذا كذا فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وثامنا يسألونك عن الخمر الآية وتاسعا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة الآية قلت هما مع آية المائدة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق وعاشرا لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم فأنزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الآية قلت أخرجه الطبراني عن ابن عباس الحادي عشر لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج فنزلت كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية الثاني عشر لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر من زوجكها يا رسول الله قال الله قال افتظن أن ربك دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك

الثالث عشر قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه وكان ذلك محرما في أول الإسلام فنزل أحل لكم ليلة الصيام الآية قلت أخرجه أحمد في مسنده الرابع عشر قوله تعالى من كان عدوا لجبريل الآية قلت أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقر بها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقى عمر فقال إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدولنا فقال له عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين فنزلت على لسان عمر الخامس عشر قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية قلت أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مرديه عن أبي الأسود قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه فقال الرجل قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا فقال ردنا إلى عمر فقال أكذاك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكم فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي فقال ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية فأهدر دم الرجل وبرىء عمر من قتله وله شاهد موصول أوردته في التفسير المسند السادس عشر الاستئذان في الدخول وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائما فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان السابع عشر قوله في اليهود إنهم قوم بهت الثامن عشر قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قلت أخرج قصتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله وهي في أسباب النزول

التاسع عشر رفع تلاوة الشيخ والشيخة إذا زنيا الآية العشرون قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان لا نجيبنه فوافقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت أخرج قصته أحمد في مسنده قال ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال ويل لملك الأرض من ملك السماء فقال عمر إلا من حاسب نفسه فقال كعب والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتابعتها فخر عمر ساجدا ثم رأيت في الكامل لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن عمر أن بلالا كان يقو ل إذا أذن اشهد أن لا إله إلا الله حي على الصلاة فقال له عمر قل في أثرها أشهد أن محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل كما قال عمر

فصل في كراماته رضي الله عنه

أخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في دلائل النبوة واللالكائي في شرح السنة والدير عاقولي في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء والخطيب في رواة مالك عن نافع عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوت ينادي يا سارية الجبل ثلاثا

فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله قال قيل لعمر إنك كنت تصيح بذلك وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم قال ابن حجر في الإصابة إسناده حسن وأخرج ابن مرديه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر قال كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال يا سارية الجبل من استر

الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وإنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه قال فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحارث قال بينما عمر بن الخطاب على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن إنه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال لشد ما ألومهم عليك إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا أنت تخطب إذا أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا قال إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس سمعنا مناديا ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له وأخرج أبو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا وأخرج مالك في الموطإ عن يحيى بن سعيد نحوه وأخرجه ابن دريد في الأخبار المنثورة وابن الكلبي في الجامع وغيرهم

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة حدثنا أبو الطيب حدثنا علي بن داود حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال وما ذاك قالوا إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذاالنيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون أبدا في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب له أن قد أصبت بالذي قلت وإن الإسلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب إلىعمرو إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه وأخرج عن الحسن قال إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به فهو عمر بن الخطاب وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصي قال أخبر عمر بأن أهل العراق قد حصبوا أميرهم 1 فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال

اللهم إنهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقيل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم قلت أشاربه إلى الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يؤمئذ

فصل في نبذ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فقال ما هي لأمير المؤمنين

بسرية

ولا تحل له إنها من مال الله فقلنا فماذا يحل له من مال الله

تعالى قال إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما أحج به وأعتمر وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين وقال خزيمة بن ثابت كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له واشترط عليه أن لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة وقال عكرمة بن خالد وغيره إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر فقالوا لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبي على جادة

فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل

قال وأصاب الناس سنة 3 فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا وقال ابن مليكة كلم عتبة بن فرقد عمر في طعامه فقال ويحك آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها وقال الحسن دخل عمر على ابنه عصام وهويأكل لحما فقال ما هذا

قال قرمنا إليه

قال أو كلما قرمت إلى شيء أكلته كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما

اشتهى وقال أسلم قال عمر لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري قال فرحل يرفأ

راحلته وسار أربعا مقبلا وأربعا مدبرا واشترى مكتلا فجاء به وعمد إلى

الراحلة فغسلها فأتى عمر فقال انطلق حتى أنظر إلى الراحلة فنظر وقال أنسيت أن تغسل هذا العرق الذي تحت أذنيها عذبت بهيمة في شهوة عمر إلا والله لا يذوق عمر مكتلك وقال قتادة كان عمر يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بآدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنكث

والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به

وقال أنس رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه وقال أبو عثمان النهدي رأيت على عمر إزارا مرقوعا بأدم وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة حججت مع عمر فما ضرب فسطاطا ولا خباء كان يلقى الكساء والنطع على الشجرة ويستظل تحته وقال عبد الله بن عيسى كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء وقال الحسن كان

عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد

منها أياما وقال أنس دخلت حائطا فسمعت عمر يقول وبيني وبينه جادا عمر

بن الخطاب أمير المؤمنين بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك الله وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أك شيئا ليت أمي لم تلدني وقال عبيد الله ابن عمر بن حفص حمل عمر بن الخطاب قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها وقال محمد سيرين قدم صهر لعمر عليه

فطلب أن يعطيه من بيت المال فانتهره عمر وقال أردت أن ألقى الله ملكا خائنا

ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم وقال النخعي كان عمر يتجر وهو

خليفة وقال أنس تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة

وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه بأصبعه وقال إنه ليس عندنا

غيره حتى يحيا الناس وقال سفيان بن عيينة قال عمر بن الخطاب أحب الناس إلي من رفع إلى عيوبي وقال أسلم رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس ويأخذ بيده الأخرى أذنه ثم ينزو على متن الفرس وقال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أوقرأ عنده إنسان آية من القرآ إلا وقف عما كان يريد وقال بلال لأسلم كيف تجدون عمر فقال خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر

عظيم فقال بلال لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه أتى عمر بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلها وقال كل واحد منهما أدم أخرج هذه الآثار كلها ابن سعد وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال عمر هان شيء أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير فصل في صفته رضي الله عنه أخرج ابن سعد والحاكم عن زر قال خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد فرأيت عمر يمشي حافيا شيخا أصلع آدم أعسر طوالا مشرفا على الناس كأنه على دابة قال الواقدي لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال رجل أبيض تعلوه حمرة طوال أصلع أشيب

وأخرج عن عبيد بن عمير قال كان عمر يفوق الناس طولا وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال كان عمر رجل أعسر يسر يعني يعتمد بيديه جميعا وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العطاردي قال كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة في عارضيه خفة سبلته كبيرة وفي أطرافها صهبة

وفي تاريخ ابن عساكر من طرق أن أم عمر بن الخطاب حنتمة

بنت هشام ابن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام فكان أبو جهل خاله

فصل في خلافته رضي الله عنه

ولى الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة قال الزهري استخلف عمر يوم توفي أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة أخرجه الحاكم فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة وحمص وبعلبك صلحا والبصرة والأبلة كلاهما عنوة وفيها جمع عمر بالناس على صلاة التراويح قاله العسكري في الأوائل وفي سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية فإنها فتحت صلحا وفيهاكانت وقعة اليرموك والقادسية قال ابن جرير وفيها مصر سعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين وأعطى العطاء على السابقة وفي سنة ست عشرة فتحت الأهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى وهي أول جمعة جمعت بالعراق وذلك في صفر وفيها كانت وقعة جلولاء وهزم فيها يزدجرد بن كسرى وتقهقر إلى الري وفيها فتحت تكريت وفيها

سار عمر ففتح بيت المقدس وخطب بالجباية خطبته المشهورة وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب وإنطاكية ومنبج صلحا وسروج عنوة وفيها فتحت قرقيسياء صلحا وفي ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علي وفي سنة سبع عشرة زاد عمر في المسجد النبوي وفيها كان القحط بالحجاز وسمى عام الرمادة واستسقى عمر للناس بالعباس أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمي أن عمر لما خرج يستسقى خرج وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج عن ابن عون قال أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها وقال اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل

وأن تسقينا الغيث فلم يبرحوا حتى سقوا فأطبقت السماء عليهم أياما

وفيها فتحت الأهواز صلحا وفي سنة ثمان عشرة فتحت جنديسابور صلحا وحلوان عنوة وفيها كان طاعون عمواس وفهيا فتحت الرها وسميساط عنوة وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة وقيل صلحا والموصل ونواحيها عنوة وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية عنوة وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل مصر كلها صلحا إلا الإسكندرية فعنوة وقال على بن رباح المغرب كله عنوة وفيها فتحت تستر وفيها هلك قيصر عظيم الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي القرى وفي سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عنوة ونهاوند ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة وبرقة وغيرها وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة وقيل صلحا والدينور عنوة وما سبذان عنوة وهمذان عنوة وطرابلس المغرب والري وعسكر وقومس

وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان ونواحيها وفي آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضي

الله عنه بعد صدوره من الحج شهيدا قال سعيد بن المسيب لما نفر عمر من مني أناخ بالأبطح ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فأقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل أخرجه الحاكم وقال أبو صالح السمان قال كعب الأحبار لعمر أجدك في التوراة تقتل شهيدا قال وأني لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب وقال أسلم قال عمر اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك أخرجه البخاري وقال معدان بن أبي طلحة خطب عمر فقال رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين وإني لا أراه إلا حضور أجلي وإن قوما يأمروني أن استخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم أخرجه الحاكم قال الزهري كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغير بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده جملة صنائع ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن يرسله المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج فقال ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال ألم أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت إلى عمر عابسا وقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر لأصحابه أوعدني العبد آنفا ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن بزاوية من زوايا المسجد

في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات أخرجه ابن سعد وقال عمرو بن ميمون الأنصاري إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه وقال أبو رافع كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقى عمر فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه فقال أحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال يسع الناس كلهم عدله غيري وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه وكان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس تطلع فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا لا بأس عليك فقال إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا على ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمت لي واثنى عليه ابن عباس فقال لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى في عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأمر صهيبا أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثا أخرجه الحاكم وقال ابن عباس كان أبو لؤلؤة مجوسيا

وقال عمرو بن ميمون قال عمر الحمد الله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام ثم قال لابنه يا عبد الله أنظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوها فقال إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فأسأل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فأسأل في قريش أذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقالت كنت أريده تعنى المكان لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعين به أيكم ما أمر فإني لم أعز له من عجز ولا خيانة ثم قال أوصى الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين والأنصار وأوصيه بأهل الأمصار خيرا في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فأدخل فوضع هناك

مع صاحبيه فلما فرغوا من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري إلى علي وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان قال فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن أجعلوه إلى والله على لا آلوكم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي وقال لك من القدم في الإسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطعين قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على

وفي مسند أحمد عن عمر أنه قال إن أدركني أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حتى استخلفته فإن سألني ربي قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة بن الجراح فإن أدركني أجلى وقد توفي أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل فإن سألني ربي لم استخلفته قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبدة وقد ماتا في خلافته وفي المسند أيضا عن أبي رافع أنه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف فقال قد رأيت من أصحابي حرصا سيئا ولو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الأحد مستهل المحرم الحرام وله ثلاث وستون سنة وقيل ست وستون سنة وقيل إحدى وستون وقيل ستون ورجحه الواقدي وقيل تسع وخمسون وقيل خمس أو أربع وخمسون وصلى عليه صهيب في المسجد وفي تهذيب المزني كان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا يا عمر

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال قالت أم أيمن يوم قتل عمر اليوم وهي الإسلام

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال شهدت موت عمر بن الخطاب فانكسفت

الشمس يومئذ رجاله ثقات

فصل في أوليات عمر رضي الله عنه

قال العسكري هو أول من سمى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ من الهجرة وأول من أتخذ بيت المال وأول من سن قيام شهر رمضان وأول من

عس بالليل

وأول من عاقب على الهجاء وأول من ضرب في الخمر ثمانين وأول من حرم

المتعة وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من أتخذ الديوان وأول من فتح الفتوح ومسح السواد وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة وأول من أحتبس صدقة في الإسلام

وأول من أعال الفرائض

3 وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال أطال الله بقاءك قاله لعلي وأول من قال أيدك الله قاله لعلي هذا آخر ما ذكره العسكري وقال النووي في تهذيبه هو أول من أتخذ الدرة وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات قال ولقد قيل بعده لدرة عمر أهيب من سيفكم قال وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار وأول من مصر الأمصار الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال مر علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان وفيها القناديل فقال نور الله على عمر في قبره كما نور علينا في مساجدنا فصل قال أبن سعد اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصباء وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام وأخرج أهل نجران إلى الكوفة وهو الذي أخر مقام إبراهيم إلموضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت

فصل في نبذ من أخباره وقضاياه

أخرج العسكري في الأوائل والطبراني في الكبير والحاكم من

طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حتمة لأي شيء كان يكتب من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر ثم كان عمر كتب اولا من خليفة أبي بكر فمن أول من كتب من أمير المؤمنين فقال حدثتني الشفاء وكانت من المهاجرات أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره وقال أنت الأمير ونحن المؤمنون فجرى الكتاب بذلك من يؤمئذ وقال النووي في تهذيبه سماه بهذا الاسم عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل سماه به المغيرة بن شعبة وقيل إن عمر قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى أمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن تلك العبارة لطولها وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا خليفة خليفة رسول الله قال عمر هذا يطول قالوا لا ولكنا أمرناك علينا فأنت أميرنا قال نعم أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب أمير المؤمنين وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن المسيب قال أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة على وأخرج السلفي في الطيوريات بسند صحيح عن ابن عمر عن عمر أنه أراد أن يكتب السنن فاستخار الله شهرا فأصبح وقد عزم له ثم قال إني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله

وأخرج ابن سعد عن شداد قال كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال اللهم إني شديد فليني وإني ضعيف فقوني وإني بخيل فسخني وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر أنه قال إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة وإلى اليتيم من ماله إن أيسرت استعففت

وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإن أيسرت قضيت

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه وأخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يوما حتى أتى المنبر

وكان قد اشتكى شكوى فنعت له العسل وفي بيت المال عكة

فقال إن أذنتم لي فيها أخذتها وإلا فهي على حرام فأذنوا له

وأخرج عن سالم بن عبد الله أن عمر كان يدخل يده في دبرة البعير ويقول إني لخائف أن اسأل عما بك وأخرج عن ابن عمر قال كان عمر إذا أراد أن ينهي الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة وروينا من غير وجه أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقا عليها بابها وهي تقول % تطاول هذا الليل تسرى كواكبه % وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه % % فوالله لولا الله تخشى عواقبه % لزحزح من هذا السرير جوانبه % % ولكنني أخشى رقيبا موكلا % بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه % % مخافة ربي والحياء يصدني % وأكرم بعلي أن تنال مراتبه % فكتب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحدا أكثر من أربعة أشهر

وأخرج ابن سعد عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر

عمر وأخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال قال عمر بن الخطاب

والله ما ادري أخليفة أنا أم ملك فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم فقال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا قال ما هو قال الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس

فيأخذ من هذا ويعطى هذا فسكت عمر

وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ركب عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا وأخرج عن سعد الجاري أن كعب الأحبار قال لعمر إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة وأخرج عن ابي معشر قال حدثنا أشياخنا أن عمر قال إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها وباللين الذي لا وهن فيه وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال كتب عمر ابن الخطاب ألا لا يجلدن أمير الجيش ولا سرية أحدا لحده حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر ابن الخطاب إن رسلي اتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة شيء من الشجر تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ يم يخضر فيكون كالزمرد الأخضر ثم يحمر فيكون كالياقوت الأحمر ثم يينع فينضج

فيكون كأطيب فالوذج أكل ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أدري هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فأتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم سعد ابن أبي وقاص فشاطرهم عمر في أموالهم فأخذ نصفا وأعطاهم نصفا وأخرج عن الشعبي أن عمر كان إذا استعمل عاملاكتب ماله وأخرج عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال مكث عمر زمانا لا يأكل من مال بيت المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم فقال قد شغلت نفسي في هذا الأمر فمايصلح لي منه فقال علي غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر وأخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين فأنفق في حجته ستة عشر دينارا فقال يا عبد الله أسرفنا في هذا المال واخرج عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة والشعبي قالا جاءت عمر امرأة فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فقال عمر لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار لقد شكت فقال عمر كيف قال تزعم أنه ليس لها من زوجهانصيب قال فإذا قد فهمت ذلك فأقض بينهما فقال يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعا فلها من كل أربعة أيام يوم ومن كل أربع ليال ليلة وأخرج عن ابن جريج قال أخبرني من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول % تطاول هذا الليل واسود جانبه % وأرقني أن لا خليل ألاعبه 1 % %

% فلولا حذار الله لا شيء مثله % لزحزح من هذا السرير جوانبه % فقال عمر مالك قالت أغزيت زوجي منذ أشهر وقد أشتقت إليه قال أردت سوءا قالت معاذ الله قل فاملكي عليك نفسك فإنما هو البريد إليه فبعث إليه ثم دخل على حفصة فقال إني سائلك عن أمر قد أهمني فأفرجيه عني كم تشتاق المرأة إلى زوجها فخفضت رأسها واستحيت قال فإن الله لا يستحي يستحيين من الحق فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر وأخرج عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء فقال عمر إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن % فقال له عبد الله بن مسعود أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا

إلى الله خلق سارة فقيل له إنها خلقت من ضلع فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خربة في دينها وأخرج عن عكرمة بن خالد قال دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة لم ضربته قال رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه وأخرج عن معمر عن ليث بن أبي سليم أن عمر بن الخطاب قال لا تسموا الحكم ولا أبا الحكم فإن الله هو الحكم ولا تسموا الطريق السكة وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الضحاك قال قال أبو بكر والله لوددت أني كنت شجرة إلى جنب الطريق فمر على بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا فقال عمر يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضي فديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنه فقال أنزل عن منبر ابي فقال عمر منبر أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا فقام علي فقال والله ما أمره بهذا أحد أما لأوجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه إسناده صحيح وأخرج الخطيب في أدب الراوي عن مالك من طريقه عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتى يقول الناظر إنهما لا يجتمعان أبدا فما يفترقان إلا علىأحسنة وأجمله وأخرج ابن سعد عن الحسن قال أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخلفت فيكم بعد صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومن غاب عنا ولياه أهل القوة والأمانة ومن يحسن نزده حسنا ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم وأخرج عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئا وقال عثمان أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتيعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر فقال له الوليد بن هشام ابن المغيرة يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدءوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلمانظر فيه عمر قال ابدؤا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال دون عمر الديوان في المحرم سنة عشرين وأخرج عن الحسن قال كتب عمر إلى حذيفة أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم فكتب إليه إناقد فعلنا وبقى شيء كثير فكتب إليه عمر إنه فيؤهم الذي أفاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر اقسمه بينهم وأخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال بينما عمر واقف على جبال عرفة سمع رجلا يصرخ ويقول يا خليفة الله فسمعه رجل آخر وهم يعتافون

فقال مالك فك الله لهو اتك فأقبلت على الرجل فصحت عليه فقال جبير

فإن الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عاثرة

ففتقت رأس عمر فقصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول أشعرت ورب الكعبة لا

يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا قال جبير فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس فاشتد ذلك علي وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا من عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول اين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول ههنا كان أمير المؤمنين فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال % عليك سلام من إمام وباركت % يد الله في ذاك الأديم الممزق % % فمن يسع أو يركب جناحي نعامة % ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق % % قضيت أمورا ثم غادرت بعدها % بواثق في أكمامها لم تفتق % فلم يتحرك ذاك الراكب ولم يدر من هو فكنا نتحدث أنه من الجن فقدم عمر من تلك الحجة فطعن بالخنجر فمات وأخرج عن عبد الرحمن بن أبزي عن عمر أنه قال هذا الأمر

% في أهل بدر ما بقي منهم أحد ثم في أهل أحد ما بقي منهم

أحد وفي كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء

وأخرج عن النخعي أن رجلا قال لعمر ألا تستخلف عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا استخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته وأخرج عن شداد بن أوس عن كعب قال كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر وإذا ذكرنا عمر ذكرناه وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول له أعهد عهدك واكتب إلى وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام فأخبره النبي بذلك فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ثم جاء إلى ربه فقال اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم وإذا اختلفت الأمور اتبعت هداك وكنت وكنت فزد في عمري حتى يكبر طفلي وتربو أمتي فأوحى الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا وقد صدق وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته فلما طعن عمر قال كعب لئن سأل عمرربه ليبقينه الله فأخبر بذلك

عمر فقال اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم وأخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال سمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضي الله عنه % ليبك على الإسلام من كان باكيا % فقد أوشكوا صرعى وما قدم العهد

% % % وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها % وفد ملها من كان يوقن بالوعد %

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال قال عمر لابنه اقتصدوا في كفني فإنه إن كان لي عند الله خيرا أبدلني ما هو خير منه وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع واقتصدوا في حفرتي

فإنه إن كان لي عند الله خير أوسع لي فيها مد بصري وإن كنت على غير ذلك ضيقها على حتى تختلف أضلاعي ولا تخرج معي امرأة ولا تزكوني بما ليس في فإن الله هو أعلم بي فإذا خرجتم فأسرعوا في المشي فإنه إن كان لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي وإن كنت على غيرذلك ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه فصل أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن العباس قال سألت الله حولا بعد ما مات عمر أن يريني في المنام فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه فقلت يأبى أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما شأنك فقال هذا وإن فرغت وإن كاد عرش عمر ليهد لولا أني لقيت رءوفا رحيما وأخرج أيضا عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر في المنام فقال كيف صنعت قال متى فارقتكم قال منذ اثنتي عشرة سنة قال إنما أنفلت الآن من الحساب وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال سمعت رجلا من الأنصار يقول دعوت الله أن يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه فقلت يا أمير المؤمنين ما فعلت قال الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت وأخرج الحاكم عن الشعبي قال رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمر فقالت % عين جودي بعبرة ونحيب % لا تملي على الإمام الصليب

% % % فجعتني المنون بالفارس المعلم % يوم الهياج والتأنيب

2 % % % عصمة الدين والمعين على الدهر % وغيث الملهوف والمكروب

% % % قل لأهل الضراء والبؤس موتوا % إذ سقتنا المنون كأس شعوب

% % 4

فصل فيمن مات من الصحابة رضي الله عنهم في أيامه مات في أيام عمر رضي الله عنه من الأعلام عتبة بن غزوان والعلاء ابن الحضرمي وقيس بن السكن وابو قحافة والد الصديق رضي الله عنه وسعد بن عبادة وسهيل بن عمرو وابن مكتوم المؤذن وعياش بن أبي ربيعة وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوام وقيس بن أبي صعصعة أحد من جمع القرآن ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأخوه أبو سفيان ومارية أم السيد إبراهيم وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وأبو جندل ابن سهيل وأبو مالك الأشعري وصفوان بن المعطل وأبي بن كعب وبلال المؤذن وأسيد بن الحضير والبراء بن مالك أخو أنس وزينب بنت جحش وعياض بن غنم وأبو الهيثم بن التيهان وخالد بن الوليد والجارود سيد بني عبد القيس والنعمان بن مقرن وقتادة بن النعمان والأقرع ابن حابس وسودة بنت زمعة وعويم بن ساعدة وغيلان الثقفي وأبو محجن الثقفي وخلائق آخرون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عثمان بن عفان رضي الله عنه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي المكي ثم المدني أبو عمرو ويقال أبو عبد الله وأبو ليلى ولد في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة

وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وماتت عنده في ليالي غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وآجره فهو معدود في البدر بين بذلك وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره

ولذلك سمي ذا النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن بل قال ابن عباد لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو والمأمون وقال ابن سعد استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على

المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا روى عنه زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس ابن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو أمامة الباهلي وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن مغفل وأبو قتادة وابو هريرة وآخرون من الصحابة رضي الله عنهم وخلائق من التابعين منهم أبان ابن عثمان وعبيد الله بن عدي وحمران وغيرهم أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدامن

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذاحدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر وأخرج البيهقي في سننه عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي قال قال لي خالي حسين الجعفي تدري لم سمى عثمان ذا النورين قلت لا قال لم يجمع بين بنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان فلذلك سمى ذا النورين واخرج أبو نعيم عن الحسن قال إنما سمي عثمان ذا النورين لأنه لا نعلم أحدا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره وأخرج خيثمة في فضائل الصحاب وابن عساكر عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن عثمان فقال ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه

وأخرج الماليني بسند فيه ضعف عن سهل بن سعد قال قيل لعثمان

ذو النورين لأنه ينتقل من منزل إلى منزل في الجنة فتبرق له برقتين فلذلك قيل له ذلك وقال إنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما كان الإسلام ولدت له رقية عبد الله فاكتنى به وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم توأمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأم عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق وكان أول الناس إسلاما بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وأخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه أبيض مشربا حمرة بوجهه نكتات جري كثير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين خذل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من أذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب واخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني قال رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه وأخرج عن موسى بن طلحة قال كان عثمان بن عفان أجمل الناس وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فإذا رقية رضي الله عنها جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة أنظر إلى وجه عثمان فلما رجعت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي دخلت عليهما قلت نعم قال فهل رأيت زوجا أحسن منهما قلت لا يا رسول الله وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ابدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه وأخرج أبو يعلى عن أنس قال أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة

بأهله عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه وسلم صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد قوم لوط وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم قال لها إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم

فصل في الأحاديث الواردة في فضله غير ما تقدم

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلا

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها

في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول علي مائتا بعير

بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء وأخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان إلىالنبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين وأخرج الترمذي عن أنس قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل مكة فبايع الناس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن عثمان بن عفان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان واخرج الترمذي والحاكم وصححه وابن ماجة عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدي فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت إليه بوجهي فقلت هذا قال نعم وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنهاأن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا فإن ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني وأخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهدا فأنا صابر عليه وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان من أشبه أصحابي بي خلقا وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بالوحي من الله وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو أن لي اربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنا نستحي منه وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله وأخرج ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان فقال إن كان ليكون جوف البيت والباب عليه مغلق فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه

فصل في خلافته رضي الله عنه

بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال فروى أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحدا ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه وقال في كلامه إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان أخرجه ابن عساكر عن المسور بن مخرمة وفي رواية أما بعد يا علي فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم

يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا ثم أخذ بيد عثمان فقال نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأخرج ابن سعد عن أنس قال أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال كن في

خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم وفي مسند أحمد عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا قال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم ويروى أن عبد الرحمن قال لعثمان في خلوة إن لم أبايعك فمن تشير على قال علي وقال لعلي إن لم أبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال إن لم أبايعك فمن تشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سعدا فقال من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن الأعيان فرأى هوى أكثرهم في عثمان وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لما بويع عثمان أمرنا خير من بقي ولم نأل وفي هذه السنة من خلافته فتحت الري وكانت فتحت وانتفضت وفيها أصاب الناس رعاف كثير فقيل لها سنة الرعاف وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى وفيها فتح من الروم حصون كثيرة وفيها ولي عثمان الكوفة سعد بن أبي وقاص وعزل المغيرة وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولي الوليد بن عقبة

ابن أبي معيط وهو صحابي أخو عثمان لأمه وذلك أول ما نقم عليه لأنه آثر أقاربه بالولايات وحكى أن الوليد صلى بهم الصبح أربعا وهو سكران ثم التفت إليهم فقال أزيدكم وفي سنة ست وعشرين زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه واشترى أماكن للزيادة وفيها فتحت سابور وفي سنة سبع وعشرين غزا معاوية قبرس فركب البحر بالجيوش وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هناك وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بهذا الجيش ودعا لها بأن تكون منهم فدفنت بقبرس وفيها فتحت أرجان ودرا بجرد وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن ابي سرح فغزا أفريقية فافتتحها سهلا وجبلا فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار وقيل ثلاثة آلاف دينار ثم فتحت الأندلس في هذا العام لطيفة كان معاوية يلح على عمر بن الخطاب في غزوة قبرس وركوب البحر لها فكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن صف لي البحر وراكبه فكتب إليه إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير إن ركد خرق القلوب وإن تحرك أراع العقول تزداد فيه العقول قلة والسيئاب كثرة وهم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا فرق فلماقرأ عمر الكتاب كتب إلىمعاوية والله لا أحمل فيه مسلما أبدا قال ابن جرير فغزا معاوية قبرس في أيام عثمان فصالحه أهلها على الجزية وفي سنة تسع وعشرين فتحت إصطخر عنوة وفسا وغير ذلك وفيها زاد عثمان في مسجد المدينة ووسعه وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمدة من حجارة وسقفه بالساج وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسمين ومائة ذراع وفي سنة ثلاثين فتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان وفتحت نيسابور صلحا وقيل عنوة وطوس وسرخس كلاهما صلحا وكذا مرو وبيهق ولما

فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان وأتاه المال من كل وجه حتى أتخذ له الخزائن وأدر الأرزاق وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدرة في كل بدرة أربعة آلاف أوقية وفي سنة إحدى وثلاثين توفي أبو سفيان بن حرب والد معاوية وفيها مات الحكم بن أبي العاص عم عثمان رضي الله عنه وفي سنة اثنتين وثلاثين توفي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه عثمان وفيها توفي عبد الرحمن بن عوف أحد العشر من السابقين الأولين تصدق مرة بأربعين ألفا وبقافلة جاءت من الشام كما هي وفيها مات عبد الله بن مسعود الهذلي أحد الفراء الأربعة ومن أهل السوابق في الإسلام ومن علماء الصحابة المشهورين بسعة العلم وفيها مات أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم ولي قضاء دمشق لمعاوية وفيها توفي أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري صادق اللهجة وفيها مات زيد بن عبد الله بن عبد ربه الأنصاري الذي أرى الآذان وفي سنة ثلاث وثلاثين توفي المقداد بن الأسود في أرضه بالجرف وحمل إلى المدينة وفيهاغزا عبد الله بن سعد بن ابي سرح الحبشة وفي سنة أربع وثلاثين أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ورضوا بأبي موسى الأشعري وفي سنة خمس وثلاثين كان مقتل عثمان قال الزهري ولى عثمان الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لأن لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته

في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس إفريقية وأعطى أقرباءه واهل بيته المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها وقال إن ابا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإن أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك أخرجه ابن سعد

وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري قال قلت سعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن المسيب قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت كيف كان ذلك قال إن عثمان لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة لأن عثمان كان يحب قومه فولى الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولى بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد وكان عثمان يستعتب فيهم فلا يعزلهم وذلك في سنة خمس وثلاثين فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله فولى عبد الله ابن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هنأة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن ابي سرح فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة رضي الله عنها إليه فقالت تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجل فأنصفهم من عاملك ودخل عليه على بن أبي طالب فقال إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فأعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار

الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن ابي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلا فأخذه فجاء به إليه فقال غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلىعامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إلى يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر حنقا وغيظا وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا

وهو مغتم لما قرأوا الكتاب وحاصر الناس عثمان سنة خمس وثلاثين وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم فلما رأى ذلك على بعث إلىطلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي هذا الغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به

ولا علم لي به قال له علي فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتب على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال أفيكم على فقالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم يمنعون الناس أن

أيدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشى محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فثيروها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطن ما نريد ولكن اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فإن معه امرأته حتى أبدا كما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجاه حتى تقتلاه فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لورآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس فقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد من أمير فقال علي ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا له ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد ابن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع محمد فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت

امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما وأخرج ابن عساكر عن كنانة مولى صفية وغيره قالوا قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار وأخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا إحداهن أما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان أماأن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته يسفك الدماء وأما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا إني لرابع أربعة في الإسلام وجهزت جيش العسرة وأنكحني رسول الله صلى الله عليه

وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ولا سرقت في جاهلية ولا

إسلام قط ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قتل عثمان في أواسط أيام التشريق من سنة خمس وثلاثين وقيل قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به وقيل كان قتله يوم الأربعاء وقيل يوم الاثنين لست بقين من ذي الحجة وكان له يوم قتل اثنتان وثمانون سنة وقيل إحدى وثمانون سنة وقيل أربع وثمانون وقيل ست وثمانون وقيل ثمان أو تسع وثمانون وقيل تسعون قال قتادة صلى عليه الزبير ودفنه وكان أوصى بذلك إليه وأخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس مرفوعا إن لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا فإذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير وأخرج ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب قال بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جنوا وأخرج عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره وأخرج عن ابن عباس قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء وأخرج عن الحسن قال قتل عثمان وعلى غائب في أرض له فلما بلغه قال اللهم إني لم أرض ولم أمالي وأخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباد قال سمعت عليا يوم الجمل يقول اللهم أني أبرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي

وجاءوني للبيعة فقلت والله إني لأستحي أن أبايع قوما قتلوا عثمان وإني لأستحيي من الله أن ابايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضي وأخرج ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفي قال سمعت عليا يقول إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان ولا والله الذي لا إله إلا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني وأخرج عن سمرة قال إن الإسلام كان في حصن حصين وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا نسد إلى يوم القيامة وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم وأخرج عن محمد بن سيرين قال لم تفقد الخيل البلق في المغازي والجيوش حتى قتل عثمان ولم يختلف في الأهلة حتى قتل عثمان ولم تر هذه الحمرة التي في آفاق السماء حتى قتل الحسين وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قال كان عبد الله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقى الله أجذم لا بدله وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله إن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم أبدا وما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل أن يجتمعوا وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف وأخرج الحاكم عن الشعبي قال ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول

كعب بن مالك حيث قال % فكف يديه ثم أغلق بابه % وأيقن أن الله ليس بغافل % % وقال لأهل الدار لا تقتلوهم % عفا الله عن كل أمرىء لم يقاتل % % فكيف رأيت الله صب عليهم % العداوة والبغضاء بعد التواصل % % وكيف رأيت الخير أدبر بعده % عن الناس إدبار الرياح الجوافل % فصل أخرج ابن سعد عن موسى بن طلحة قال رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة وعليه ثوبان أصفران فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن مرضاهم وأخرج عن عبد الله الرومي قال كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم فكفوك قال لا الليل لهم يستريحون فيه وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفان قال كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر أن جهجاه الغفاري قام إلى عثمان وهو على المنبر يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فما حال الحول على جهجاه حتى أرسل الله في رجله إلا كله فمات منها

فصل في أوليات عثمان رضي الله عنه

قال العسكري في الاوائل هو أول من أقطع القطائع وأول من حمى الحمى وأول من خفض صوته بالتكبير وأول من خلق المسجد % وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة وأول من رزق المؤذنين وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال أيها الناس إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله أخرجه ابن سعد وأول من قدم

الخطبة في العيد على الصلاة وأول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم وأول من ولى الخلافة في حياة أمه وأول من أتخذ صاحب شرطة وأول من اتخذ المقصورة في المسجد خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر هذا ما ذكره العسكري قال وأول ما وقع الاختلاف بين الأمة فخطأ بعضهم بعضا في زمانه في أشياء نقموها عليه وكانوا قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطىء بعضهم بعضا قلت بقى من أوائله أنه أول من هاجر إلى الله بأهله من هذه الأمة كما تقدم وأول من جمع الناس على حرف واحد في القراءة وأخرج ابن عساكر عن حكيم بن عباد بن حنيف قال أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس

طيران الحمام والرمى على الجلاهقات

2 فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث سنة ثمان من خلافته فقصها وكسر الجلاهقات

فصل فيمن مات من الأعلام في أيام عثمان رضي الله عنه

مات في أيام عثمان من الأعلام سراقة بن مالك بن جعشم وجبار بن صخر وحاطب بن أبي بلتعة وعياض بن زهير وأبو أسيد الساعدي وأوس بن الصامت والحارث بن نوفل وعبد الله بن حذافة وزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ولبيد الشاعر المسيب والد سعيد ومعاذ بن عمرو بن الجموح ومعبد بن العباس ومعيقب بن ابي فاطمة الدوسي وأبو لبابة بن عبد المنذر ونعيم بن مسعود الأشجعي وآخرون من الصحابة ومن غير الصحابة الحطيئة الشاعر وأبو ذؤيب الشاعر الهذلي

علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي بن أبي طلاب رضي الله عنه وأسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب وأسمه شيبة بن هاشم وأسمه عمرو بن عبد مناف وأسمه المغيرة بن قصي وأسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن نضر بن كنانة أبو الحسن وأبو تراب كناه به النبي صلى الله عليه وسلم وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا قد أسلمت وهاجرت وعلي رضي الله عنه أحدالعشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وابو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين أسلم قديما بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة إنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وكان عمره حين أسلم عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قال الحسن بن زيد بن الحسن ولم يعبد الأوثان قط لصغره أخرجه ابن سعد ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرا وأحدا وسائر المشاهد إلا تبوك

فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة وله في جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللواء في مواطن كثيرة وقال سعيد بن المسيب أصابت عليا يوم أحد ست عشرة ضربة وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه الراية في يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يديه وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة وكان علي شيخا سمينا أصلع كثير الشعر ربعة إلىالقصر عظيم البطن عظيم اللحية جدا قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الأدمة وقال جابر بن عبد

الله حمل على الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وإنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا أخرجه ابن عساكر وأخرج ابن إسحاق في المغازي وابن عساكر عن أبي رافع أن عليا تناول بابا عند الحصن حصن خيبر فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا ثم ألقاه فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه وروى البخاري في الأدب عن سهل بن سعد قال إن كان أحب أسماء علي رضي الله عنه إليه أبا تراب وإن كان ليفرح أن يدعى به وما سماه أبا تراب إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أنه غاضب يوما فاطمة فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد فجاءه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد امتلأ ظهره ترابا فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول أجلس أبا تراب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديث

روى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو أمامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين

فصل في الأحاديث الواردة في فضله

قال الإمام أحمد بن حنبل ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه أخرجه الحاكم وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي أخرجه أحمد والبزار من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني من حديث أسماء بنت قيس وأم سلمة وحبشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وأخرجا عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال اين علي أبن أبي طالب فقيل هو يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه ودعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الرأية يدوكون أي يخوضون ويتحدثون

وقد أخرج هذاالحديث الطبراني من حديث ابن عمر وعلى وابن أبي ليلى وعمران بن حصين والبزار من حديث ابن عباس وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي وأخرج الترمذي عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلى مولاه وأخرجه أحمد عن علي وابي أيوب الأنصاري وزيد بن أرقم وعمرو ذي مر وأبو يعلى عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عمر ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريدة وفي أكثرها زيادة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولأحمد عن أبي الطفيل قال جمع لي الناس سنة خمس وثلاثين في الرحبة ثم قال لهم أنشد الله بالله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من كنت مولاه فعلىمولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال على منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مني وأنا من علي

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة وأخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرأالنسمة

إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا
منافق واخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها هذا حديث حسن علي الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقلت يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده ثم قال اللهم أهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وأخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا قال إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عمر بن الخطاب علي أقضانا

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها
وأخرج عن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله
من معضلة ليس فيها أبو حسن وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا علي وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال أفرض أهل المدينة وأقضاها علي بن أبي طالب وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن عليا ذكر عندها فقالت أما إنه أعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمر وعلي وابن مسعود وعبد الله رضي الله عنهم وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام والعهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في المال وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من شجرشتي وأنا وعلي من شجرة واحدة وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال ما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي

وأخرخ ابن عساكر عن ابن عباس قال نزلت في على ثلثمائه آية وأخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعلى لا يحل لاحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب لم يجترىء أحد أن يكلمه إلا علي وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال النظر إلى علي عبادة إسناده حسن وأخرجه الطبراني والحاكم أيضا من حديث عمران بن حصين وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ومعاذ بن جبل وأنس وثوبان وجابر بن عبد الله وعائشة رضي الله عنهم وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال كانت لعلي ثمان عشرة منقبة
ما كانت لأحد من هذه الأمة
واخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطى على ثلاث خصال لن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم فسئل وما هن قال تزوجه ابنته فاطمة وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له والراية يوم خيبر وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي قال ما رمدت
ولاصدعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهي وتفل في
عيني يوم خيبر حين أعطاني الرأية واخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد ابغضني ومن أبغضني فقد ابغض الله وأخرج أحمد والحاكم

وصححه عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن ابن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي إنك تقاتل علي القرآن كما قاتلت على تنزيله

وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا علي إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى انزلوه بالمنزل الذي ليس به ألا وإنه يهلك في أثنان محب مفرط يفرطني بما ليس في ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني وأخرج الطبراني في الأوسط والصغير عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبتل منه هذه من الدم يعني لحيته وقد ورد ذلك من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيبا فقال لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله

فصل في مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة وما نشأ عن ذلك

قال ابن سعد بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة وفبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم ويقال إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان وبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الاخرة سنةست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وأقام على بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام فبلغ عليا فصار إليه فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص فكره الناس الحرب وتداعوا إلى الصلح وحكموا الحكمين فحكم علي أبا موسى الأشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلى إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لاحكم الا الله وعسكروا بحروراء فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم

3 فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل فسار إليهم علي فقتلهم بالنهروان وقتل منهم دا الندية

وذلك سنة ثمان وثلاثين واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له فتفرق الناس على هذا وصار على في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية وأنتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك ابن عبدالله التميمي وعمرو بن بكير التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين فاستيقظ على سحرا فقال لابنه الحسن رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال لي ادع الله عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم وأبدلهم بي شرا لهم مني ودخل ابن الذباح المؤذن على علي فقال الصلاة فخرج على من الباب ينادي أيها الناس الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى

دماغه فشد عليه الناس من كل جانب فأمسك وأوثق وأقام على الجمعة والسبت توفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا ثم قطعت أطراف ابن ملجم جعل في قوصرة وأحرقوه بالنار هذا كله كلام ابن سعد وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ولم يوسع فيها

الكلام كما صنع غيره لأن هذا هو اللائق بهذا المقام قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال بحسب أصحابي القتل وفي المستدرك عن السدى قال كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقهاثلاثة آلاف درهم وقتل علي وفي ذلك قال الفرزدق

% فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة % كمهر قطام من فصيح وأعجم

3 % % % ثلاثة آلاف وعبد وقينة % وضرب علي بالحسام المصمم % % فلا مهر أغلى من علي وإن غلا % ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم % قال أبو بكربن عياش عمي قبر على لئلا ينبشه الخوارج وقال شريك نقله ابنه الحسن إلى المدينة وقال المبرد عن محمد بن حبيب أول من حول من قبر إلى قبر علي رضي الله عنه وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال لما قتل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبينما هم في مسيرهم ليلا إذند الجمل الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه قال فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طيء فأخذوه فدفنوه وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل أربع وستون وقيل خمس وستون وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون وكان له تسع عشرة سرية

فصل في نبذ من أخبار علي وقضاياه وكلماته رضي الله عنه

قال سعيد بن منصور في سننه حدثنا هشيم حدثنا حجاج حدثني شيخ من فزارة سمعت عليا يقول الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل به من

أمر دينه إن معاوية كتب إلي يسألني عن الخنثى المشكل فكتبت إليه أن يروثه من قبل مباله

وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن علي مثله

وأخرج ابن عساكر عن الحسن قال لما قدم على البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبرة ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلا بردي هذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما ولياني يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن ابي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أمير الدين وقوام الدين فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم تقطع منه البراءة فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر ولم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على

بعض ولم تقطع منه البراءة فأديت إلى عمر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشى أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لثر بها ولده فبرىء منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم فلما اجتمع الرهط ظننت أن لا يعدلو بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم أخذ بيد

عثمان بن عفان وضرب بيده عليه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معة في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت في أمري فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال عرض لعلي رجلان في خصومة فجلس في أصل جدار فقال له رجل الجدار يقع فقال علي امض كفى بالله حارسا فقضى بينهما فقام ثم سقط الجدار وفي الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رجل لعلي ابن أبي طالب نسمعك تقول في الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه فقال هم حبيباي أبو بكر

وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وأخرج عبد الرازق عن حجر المدري قال قال لي علي بن أبي طالب كيف بك إذا أمرت أن تلعنني قلت وكائن ذلك قال نعم قلت فكيف أصنع قال ألعني ولا تبرأ مني قال فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميرا على اليمن أن ألعن عليا فقلت إن الأمير أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنة الله فما فطن لها إلا رجل

وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن زاذان أن عليا

حدث بحيث فكذبه رجل فقال له علي أدعو عليك إن كنت كاذبا قال ادع فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره وأخرج عن زر بن حبيش قال جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغف ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا اجلس وتغد فجلس وأكل معهما واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال خذاها عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الأرغفة لي خمسة دراهم ولك ثلاث وقال صاحب الأرغفة الثلاثة لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننانصفين فارتفعا إلا أمير المؤمنين علي فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فأرض بالثلاثة فقال والله لرضيت عنه إلا بمر الحق فقال علي ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة دراهم فقال الرجل سبحان

الله قال هو ذلك قال فعرفني الوجه في مر الحق حتى أقبله فقال علي أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وبقى له سبعة أكلها صاحب الدراهم وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن

وأخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن عطاء قال أتى علي برجل

وشهد عليه رجلان أنه سرق فأخذ في شيء من أمور الناس وتهدد شهود الزور وقال لا أوتي بشاهد زور إلا فعلت به كذا وكذا ثم طلب الشاهدين فلم يجدهما فخلى سبيله وقال عبد الرزاق في المصنف حدثنا الثوري عن سليمان الشيباني عن رجل عن علي أنه أتى برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بأمي فقال اذهب فأقمه بالشمس فأضرب ظله وأخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي ابن أبي طالب كان من ورق نقشه نعم القادر الله وأخرج عن عمرو بن عثمان بن عفان قال كان نقش خاتم على الملك لله وأخرج عن المدائني قال لما دخل على الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها وأخرج عن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن

يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين وقال أبو القاسم الزجاجي في أماليه حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري حدثناأبو حاتم

السجستاني حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثناسعيد ابن مسلم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي أو قال عن جدي أبي الأسود عن ابيه قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا مفكرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية فقلت إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلمة اسم

وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى

والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك وأعلم يا ابا الأسود أن الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكان ولم أذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بل هي منها فزدها فيها وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجر قال قال علي كونوا في الناس كالنحلة في الطير إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها لو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب واخرج عن علي قال كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لن يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل

وأخرج عن يحيى بن جعدة قال قال علي بن أبي طالب يا حملة القرآن أعملوا به فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم وتخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله وأخرج عن علي قال التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب وأخرج عن الحارث قال جاء رجل إلعلي فقال أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه قال أخبرني عن القدر قال بحر عميق لا تلجه قال أخبرني عن القدر قال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه قال أخبرني عن القدر قال يا أيها السائل إن الله خلقك لما شاء أو لما شئت قال بل لما شاء قال فيستعملك لما شاء وأخرج عن علي قال إن للنكبات نهايات ولا بد لأحد إذا نكب من أن ينتهي إليها فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها فإن في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها وأخرج عن علي أنه قيل له ما لاسخاء قال ما كان منه ابتداء فأماما كان عن مسأله فحياء وتكرم وأخرج عن علي أنه أتاه رجل فأثنى عليه فأطراه وكان قد بلغه عنه قبل ذلك فقال له علي إني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك وأخرج عن علي قال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنقص في اللذة قيل وما النقص في اللذة قال لا ينال شهوة حلال إلاجاءه ما ينغصه إياها

وأخرج عن علي بن ربيعة أن رجلا قال لعلي ثبتك الله وكان يبغضه قال علي على صدرك وأخرج عن الشعبي قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة وأخرج عن نبيط الأشجعي قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه % إذا اشتملت على اليأس القلوب % وضاق بهمها الصدر الرحيب % % وأوطنت المكاره وأطمأنت % وأرست في أماكنها الخطوب % % ولم ير لأنكشاف الضروجة % ولا أغنى بحيلته الأريب % % أتاك على قنوط منك عوث % يجيء به القريب المستجيب % % وكل الحادثات إذا تناهت % فموصول بها الفرج القريب % وأخرج عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب لرجل كره له صحبة رجل % فلا تصحب أخا الجهل % وإياك وإياه % % فكم من جاهل أردى % حليما حين آخاه

% % % يقاس المرء بالمرء % إذا ما هو ماشاه % % وللشيء من

الشيء % مقاييس وأشباه % % قياس النعل بالنعل % إذا ما هو حاذاه % % وللقلب على القلب % دليل حين يلقاه % وأخرج عن المبرد قال كان مكتوبا على سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه % للناس حرص على الدنيا بتدبير % وصفوها لك ممزوج بتكدير % % لم يرزقوها بعقل بعد ما قسمت % لكنهم رزقوها بالمقادير %

% كم من أديب لبيب لا تساعده % وأحمق نال دنياه بتقصير % % لو كان عن قوة أو عن مغالبة % طار البزاة بأرزاق العصافير % وأخرج عن حمزة بن حبيب الزيات قال كان علي بن أبي طالب يقول % ولا تفش سرك إلا إليك % فإن لكل نصيح نصيحا % % فإني رأيت غواة الرجا % ل لايدعون أديما صحيحا % % وأخرج عن عقبة بن ابي الصبهاء قال لما ضرب ابن ملجم عليا دخل عليه الحسن وهوباك فقال له علي يا بني أحفظ عني وأربعا قال وما هن يا أبت قال أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق قال فالأربع الآخر قال إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه وأخرج ابن عساكر عن علي أنه أتاه يهودي فقال له متى كان ربنا فتمعر وجه علي وقال لم يكن فكان هو كان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية أنقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية فأسلم اليهودي وأخرج الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي قال لما توجه علي إلى صفين افتقد درعا له فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي الدرع درعي لم أبع ولم أهب فقال اليهودي درعي وفي يدي فقال نصير إلى القاضي فتقدم علي فجلس إلى جنب شريح وقال لولا أن خصمى يهودي لا ستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أصغروهم من حيث أصغرهم الله فقال شريح

قل يا أمير المؤمنين فقال نعم هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب فقال شريح أيش تقول يا يهودي قال درعي وفي يدي فقال شريح ألك بينة يا أمير المؤمنين قال نعم فنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي فقال شريح شهادة الابن لا تجوز للأب فقال علي رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا هو الحق وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وإن الدرع درعك فصل وأماكلامه في تفسير القرآن فكثير وهو مستوفى في كتابنا التفسير المسند بأسانيده وقد أخرج ابن سعد عن علي قال والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا ناطقا وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال قال علي سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار وفي سهل أم في جبل وأخرج ابن أبي داود عن محمدبن سيرين قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبطأعلى عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت إمارتي فقال لا ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله فقال محمد لو أصيب ذلك الكتاب

كان فيه العلم

فصل في نبذ من كلماته الوجيزة المختصرة البديعة قال علي رضي الله عنه الحزم سوء الظن أخرجه أبو الشيخ وابن حيان

وقال القريب من قربته المودة وإن بعد نسبه والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه ولا شيء اقرب من يد إلى جسد وإن اليد إذا فسدت قطعت وإذا قطعت حسمت أخرجه أبو نعيم وقال خمس خذوهن عني لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحيي من لا يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان وإذا ذهب الرأس ذهب الجسد أخرجه سعيد بن منصور في سننه وقال الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم معه ولا قراءة لاتدبر فيها أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن وقال وابردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم أخرجه ابن عساكر وقال من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه أخرجه ابن عساكر وقال سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاؤب والقيء والرعاف والنجوى والنوم عند الذكر وقال كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة أخرجه الحاكم في التاريخ وقال يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة أخرجه سعيد بن منصور ولأبي

الأسود الدؤلي يرثى عليا رضي الله عنه % ألا يا عين ويحك أسعدينا % ألا تبكي أمير المؤمنينا 1 % % % وتبكي أم كلثوم عليه % بعبرتها وقد رأت اليقينا %

% ألا قل للخوارج حيث كانوا % فلا قرت عيون الحاسدينا % % أفي شهر الصيام فجعتمونا % بخير الناس طرا أجمعينا % % قتلتم خير من ركب المطايا % وذللها ومن ركب السفينا % % ومن لبس النعال ومن حذاها % ومن قرأ المثاني والمبينا % % وكل مناقب الخيرات فيه % وحب رسول رب العالمينا % % لقد علمت قريش حيث كانت % بأنك خيرهم حسبا ودينا % % إذا استقبلت وجه أبي حسين % رأيت البدر فوق الناظرينا % % وكنا قبل مقتله بخير % نرى مولى رسول الله فينا % % يقيم الحق لا يرتاب فيه % ويعدل في العدي والأقربينا % % وليس بكاتم علما لديه % ولم يخلق من المتكبرينا % % كأن الناس إذ فقدوا عليا % نعام حار في بلد سنينا % % فلا تشمت معاوية بن صخر % فإن بقية الخلفاء فينا % فصل فيمن مات في زمنه من الأعلام مات في أيام على من الأعلام موتا وقتلا حذيفة بن اليمان والزبير بن العوام وطلحة وزيد بن صوحان وسلمان الفارسي وهند بن ابي هالة واويس القرني وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف وصهيب الرومي ومحمد بن ابي بكر الصديق وتميم الدراي وخوات بن جبير وشرحبيل ابن السمط وأبو ميسر البدري وصفوان بن عسال عمرو بن عنبسة وهشام ابن حكيم وأبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآخرون الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أبو محمد سبط رسول الله صلى الله

عليه وسلم وريحانته وآخر الخلفاء بنصه أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين أسمان من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما في الجاهلية ولد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وروت عنه عائشة رضي الله عنها وخلائق من التابعين منهم ابنه الحسن وأبو الحوراء ربيعة بن سنان والشعبي وابو وائل وابن سيرين وكان شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة وهو خامس أهل الكساء قال أبو أحمد العسكري لم يكن هذا الأسم يعرف في الجاهلية وقال المفضل إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنيه الحسن والحسين وأخرج البخاري عن أنس قال لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وأخرج الشيخان عن البراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن ابن علي على عاتقه وهو يقول اللهم أني أحبه فأحبه وأخرج البخاري عن ابي بكرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هما ريحانتاي من الدنيا يعني الحسن والحسين وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين علي وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وأخرج عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب إليك قال الحسن والحسين وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال اشبه أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم إليه الحسن بن علي رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال قام الحسن بن علي يخطب

فقام رجل من أزدشنوأة فقال اشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول من أحبني فليحبه وليبلغ

الشاهد الغائب ولولا كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثت به أحدا كان الحسن رضي عنه له مناقب كثيرة سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا مدوحا يكره الفتن والسيف تزوج كثيرا وكان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد معه

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال ما تكلم عندي أحد كان أحب إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه كان بين الحسن وعمرو بن عثمان خصومة في ارض فعرض الحسن أمرا لم يرضه عمرو فقال الحسن فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه قال فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال كان مروان أميرا علينا فكان يسب عليا كل جمعة على المنبر وحسن يسمع فلا يرد شيئا ثم أرسل إليه رجلا يقول له بعلي وبعلي وبعلي وبك وبك وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها من أبوك فتقول أمي الفرس فقال له الحسن أرجع إليه فقل له إني والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فإن كنت صادقا جزاك الله بصدقك وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمة وأخرج ابن سعد عن زريق بن سوار قال كان بين الحسن وبين مروان كلام فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له والحسن ساكت فامتخط موران بيمينه فقال له الحسن ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك فسكت مروان وأخرج ابن سعد عن أشعث بن سوار عن رجل قال جلس رجل إلى الحسن فقال إنك جلست إلينا على حين قيام منا أفتأذن وأخرج ابن سعد علي علي بن زيد بن جدعان قال أخرج الحسن من ماله لله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتىإنه كان يعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا

وأخرج ابن سعد عن علي بن الحسين قال كان الحسن مطلاقا للنساء وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن حسن قال كان حسن رجلا كثير نكاح النساء وكن قلما يحظين عنده وكان قل أمرأة تزوجها إلا أحبته وصبت إليه

وأخرج ابن عساكر عن جويرية بن أسماء قال لما مات الحسن بكى

مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار بيده إلى الجبل وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال قيل للحسن بن علي إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من أتكل عل حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء ولى الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة فأقام فيها ستة أشهر وايام ثم سار إليه معاوية والأمر إلى الله فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطالب أحدامن أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي

عنه ديونه فأجابه معاوية إلى ما طلب فاصطلحا على ذلك فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ونزل له عن الخلافة وقد استدل البلقيني بنزوله عن الخلافة التي هي أعظم المناصب على جواز النزول عن الوظائف وكان نزوله عنها في سنة إحدى وإربعين في شهر ربيع الأول وقيل الآخر وقيل في جمادى الأولى فكان أصحابه يقولون له يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار وقال له رجل السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك ثم ارتحل الحسن عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها وأخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال قلت للحسن إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة فقال قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم

أبتزها بأتياس أهل الحجاز توفالحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموما سمته زوجته جعدة بنت الأشعث ابن قيس دس إليه يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنا لم نرضك للحسن افترضناك لأنفسنا وكانت وفاته سنة تسع واربعين وقيل في خامس ربيع الأول سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بي والله بريء وأخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال رأى الحسن كأن بين عينيه مكتوبا قل هو الله أحد فاستبشر به أهل بيته فقصوها على سعيد بن المسيب فقال إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله فما بقي إلا أيام حتى مات

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال أضاق
الحسن بن علي وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في
إحدى السنين فأضاق
إضاقة شديدة قال فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت
فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال كيف أنت يا حسن فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني فقال أدعوت بدواة لتكتب إلي مخلوق مثلك تذكره ذلك فقلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع فقال قل اللهم أقذف في قلبي رجاءك وأقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إلهي رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا رب العالمين قال فوالله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال يا حسن كيف أنت فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق وفي الطيوريات عن سليم بن عيسى قارىء أهل الكوفة قال لما حضرت الحسن الوفاة جزع فقال له الحسين يا أخي ما هذا الجزع إنك ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلىعلي وهما أبواك وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال له الحسن أي أخي إني داخل في امر من أمر الله تعالىلم أدخل في مثله وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثله قط قال ابن عبد البر وروينا من وجوه أنه لما احتضر قال لأخيه يا أخي إن اباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشرف لها

وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه
فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع علي ثم نوزع حتى جرد
السيف فما صفت له وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن ما استخلفك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة رضي الله عنها أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت نعم فإذا مت فأطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك فإن فعلوا فلا تراجعهم فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي الأموي أبو عبد الرحمن اسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه وكان أحد الكتاب لرسول الله صلىالله عليه وآله وسلم روى له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة حديث وثلاث وستون حديثا روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم ومن التابعين ابن المسيب وحميد ابن عبد الرحمن وغيرهما وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا

وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معاوية إذا ملكت فأحسن وكان معاوية رجلا طويلا أبيض جميلا مهيبا وكان عمر ينظر إليه فيقول هذا كسرى العرب وعن علي قال لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها وقال المقبري تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية

وكان يضرب بحلمه المثل وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفا في حلم معاوية قال ابن عون كان الرجل يقول لمعاوية والله لتستقيمن بنا يا معاوية او لتقومنك فيقول بماذا فيقول بالخشب فيقول إذن نستقيم وقال قبيصة بن جابر صحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات يزيد استخلفه على دمشق فأقره عمر ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة قال كعب الأحبار لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية قال الذهبي توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية قال وصدق كعب فيما نقله فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فإنه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك خرج معاوية على علي

كماتقدم وتسمى بالخلافة ثم خرج علي الحسن فنزل له الحسن عن الخلافة فاستقر فيها من ربيع الأخر أو جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد وفيه ولي معاوية مروان بن الحكم المدينة وفي سنة ثلاث وأربعين فتحت الرخج وغيرها من بلاد سجستان وودان من برقة وكور من بلاد السودان وفيها استخلف معاوية زياد بن أبيه وهي أول قضية غير فيها حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام ذكره الثعالبي وغيره وفي سنة خمس وأربعين فتحت القيقان في سنة خمسين فتحت قوهستان عنوة وفيها دعا معاوية أهل الشام إلى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد فبايعوه وهو أول من عهد الخلافة لابنه وأول من عهد بها في صحته ثم إنه كتب إلى مروان بالمدينة أن يأخذ البيعة فخطب مروان فقال إن أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبي بكر وعمر فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال بل سنة كسرى وقيصر إن ابا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما ولا في أحد من أهل بيتهما ثم حج معاوية سنة أحدى وخمسين وأخذ البيعة لابنه فبعث إلى ابن عمر فتشهد وقال أما بعد يا ابن عمر إنك كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين أو تسعى في فساد ذات بينهم فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبناءهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين ولم أكن لأفعل وإنما أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم

فقال يرحمك الله فخرج ابن عمر ثم أرسل إلى ابن أبي بكر فتشهد ثم أخذ في الكلام فقطع عليه كلامه وقال إنك لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله وإنا والله لا نفعل والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لنعيدنها عليك جذعة ثم وثب ومضى فقال معاوية اللهم أكفنيه بما شئت ثم قال على رسلك أيها الرجال لا تشرفن على أهل الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشية أنك قد بايعنا ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال يا ابن الزبير إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل في آخر وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما فقال ابن الزبير إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع ونطيع لا تجتمع البيعة لكما ابدا ثم راح فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له فقال أهل الشام والله لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤس الأشهاد وإلا ضربنا أعناقهم فقال سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم ثم نزل فقال الناس بايع ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير وهم يقولون لا والله ما بايعنا فيقول

الناس بلى وارتحل معاوية فلحق بالشام وعن ابن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع يزيد إن كان خيرا رضينا وإن كان بلاء صبرنا وأخرج الخرائطي في الهواتف عن حميد بن وهب قال كانت هند بنت عتبة ابن ربيعة عند الفاكة بن المغيرة وكان من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن فخلا البيت ذات يوم فقام الفاكه وهند فيه ثم خرج الفاكه

لبعض حاجاته وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فأبصره الفاكه فانتهى إليها فضربها برجله وقال من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت أحدا ولا أنتيهت حتى أنبهتني فقال لها الحقي بأهلك وتكلم فيها الناس فخلابها أبوها فقال لها يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بذاك فإن يكن الرجل صادقا دسست إليه إن يقتله فتنقطع عنا المقالة وإن يكن كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن قال فخلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية أنه كاذب عليها فقال عتبة للفاكه إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن فلما شارفوا البلاد تنكرت حال هند وتغير وجهها فقال لها أبوها يا بنية إني قد أرى ما بك من تغير الحال وما ذاك إلا لمكروه عندك قالت لا والله يا أبتاه وما ذاك لمكروه ولكني أعرف أنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب فلا آمنه أن يسمني بسيماء تكون على سبة في العرب فقال لها إني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك فصفر بفرسه حتىأدلى ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير وصبحواالكاهن فتحر لهم وأكرمهم فلما تغدوا قال له عتبة إنا قد جئناك في أمر وقد خبأت لك خبيئا أختبرك به فأنظر ما هو قال برة في كمرة قال أريد أبين من هذا قال حبة من بر في إحليل مهر فقال عتبة صدقت أنظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول أنهضي حتىدنا من هند فضرب كتفها وقال انهضي غير رسحاء ولا زانية ولتلدين ملكا يقال له معاوية فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت إليك والله لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت بمعاوية مات معاوية في شهر رجب سنة ستين ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وقيل إنه عاش سبعا وسبعين سنة وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقلامة أظفاره فأوصى أن تجعل في فمه وعينيه وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين

فصل في نبذ من أخباره

أخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن سعيد بن جمهان قال قلت لسفينة إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشد الملوك وأول الملوك معاوية وأخرج البيهقي وابن عساكر عن إبراهيم بن سويد الأرمني قال قلت لأحمد بن حنبل من الخلفاء قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي قلت فمعاوية قال لم يكن أحق بالخلافة في زمان على من علي وأخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا فجاؤا إلى رجل قد حار به وقاتله فأطروه كيادا منهم له وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عمير قال قدم جارية بن قدامة السعدي علي معاوية فقال من أنت قال جارية بن قدامة قال وما عسيت أن تكون هل أنت إلا نحلة قال لا تقل

فقد شبهتني بها حامية اللسعة حلوة البصاق والله ما معاوية إلا كلبة

تعاوبالكلاب ومأمية إلا تصغير أمة وأخرج عن الفضل بن سويد قال وفد من جارية بن قدامة على معاوية فقال له معاوية أنت الساعي مع علي بن ابي طالب والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم قال جارية يا معاويه دع عنك عليا فما أبغضنا عليا منذ أحببناه ولا غششاه منذ صحبناه قال ويحك يا جارية ماكان أهونك على أهلك إذ سموك جارية قال أنت يا معاوية كنت أهون علىأهلك إذ سموك معاوية قال لا أم لك

قال أم ما ولدتني إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا قال إنك لتهددني قال إنك لم تملكنا قسرة ولم تفتتحنا عنوة ولكن أعطيتنا عهودا ومواثيق فإن وفيت لنا وفينا وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا ورجالا مدادا وأدرعا شدادا وأسنه حدادا فإن بسطت إلينا فترا من غدر زلقنا إليك بباع من ختر قال معاوية لا أكثر الله في الناس أمثالك وأخرج عن أبي الطفيل عامر بن وائلة الصحابي أنه

دخل على معاويةفقال له معاوية ألست من قتله عثمان قال لا ولكني ممن حضره فلم ينصره قال وما منعك من نصره قال لم تنصره المهاجرون والأنصار فقال معاوية أما لقد كان حقه واجبا عليهم أن ينصروه قال فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام فقال معاوية أما طلبي بدمه نصرة له فضحك أبو الطفيل ثم قال أنت وعثمان كما قال الشاعر % لا ألفنيك بعد الموت تندبني % وفي حياتي ما زودتني زادا % وقال الشعبي أول من خطب الناس قاعدا معاوية وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه أخرجه ابن أبي شيبة وقال الزهري أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وقال سعيد بن المسيب أول من أحدث الأذان في العيد معاوية أخرجه ابن ابي شيبة وقال أول من نقص التكبير معاوية أخرجه ابن أبي شيبة وفي الأوائل للعسكري قال معاوية أول من وضع البريد في الإسلام وأول من اتخد الخصيان لخاص خدمته وأول من عبثت به رعيته وأول من قيل له السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله وأول من أتخذ ديوان الخاتم وولاه عبيد الله بن أوس الغساني وسلم إليه الخاتم وعلى فصه مكتوب لكل عمل ثواب واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين إلىآخر

وقت وسبب اتخاده له أنه أمر لرجل بمائة ألف ففك الكتاب وجعله مائتي ألف فلما رفع الحساب إلى معاويه أنكر ذلك واتخذ ديوان الخاتم من يؤمئذ وهو أول من أتخذ المقصورة بالجامع وأول من أذن في تجريد الكعبة وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئا فوق شيء وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن أخي الزهري قال قلت للزهري من أول من استخلف في البيعة قال معاوية استخلفهم بالله فلما كان عبد الملك بن مروان استحلفهم بالطلاق والعتاق وأخرج العسكري في كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعد في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبدالرحمن بن أبي بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس فقال وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمر فقال ابن عباس ولم التقدم في الإسلام أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قرابة منه قال لا ولكني ابن عم المقتول قال فهذاأحق به يريد أبن أبي بكر قال إن أباه مات موتا قال فهذا أحق به يريد ابن عمر قال إن اباه قتله كافر قال فذاك أدحض لحجتك أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل قدم معاوية المدينة فلقيه أبو قتادة الأنصاري فقال معاوية تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار قال لم يكن لنادواب قال فأين النواضح قال عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ثم قال أبو قتادة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إنكم سترون بعدي أثرة قال معاوية فما أمركم قال أمرنا أن نصبر قال فاصبروا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت فقال

% ألا أبلغ معاوية بن حرب % أمير المؤمنين نبا كلامي % % فإنا صابرون ومنظروكم % إلى يوم التغابن والخصام % وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال دخلت على معاوية بن أبي سفيان وهو في خلافته وفي عنقه حبل وصبي يقوده فقلت له يا أمير المؤمنين أتفعل هذا قال يالكع أسكت فإني سمعت رسول الله صلىالله عليه وسلم يقول من كان له صبي فليتصاب له قال ابن عساكر غريب جدا وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن الشعبي قال دخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه فقال له يابن أخي أنهاك عن السلطان إن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد وأخرج عن الشعبي قال قال زياد استعملت رجلا فكثر خراجه فخشي أن أعاقبه فقير إلى معاوية فكتبت إليه إن هذا أدب سوء لمن قبلي فكتب إلي أنه ليس يبقى لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة أن نلين جميعا فتمرح الناس في المعصية أو نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون للشدة والفظاظة وأكون للين والرأفة وأخرج عن الشعبي قال سمعت معاوية يقول ماتفرقت أمة قط إلا ظهر أهل الباطل علىأهل الحق إلا هذه الأمة وفي الطيوريات عن سليمان المخزومي قال أذن معاوية للناس إذنا عاما فلما احتفل المجلس قال أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه فسكتوا ثم طلع عبد الله بن الزبير فقال هذا مقوال العرب وعلامتها أبو خبيب قال مهيم قال أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه قال بثلاث مائة ألف قال وتساوى قال أنت بالخيار وأنت واف كاف قال هات فأنشده للأفوه الأودي قال

% بلوت الناس قرنا بعد قرن % فلم أر غير ختال وقال %

قال صدق هيه قال % ولم أر في الخطوب أشد وقعا % وأصعب من معاداة
الرجال %
قال صدق هيه قال % وذقت مرارة الأشياء طرا % فما طعم أمر من السؤال %

قال صدق ثم أمر له بثلثمائة ألف

وأخرج البخاري والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره واللفظ له من طرق أن مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال إن الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر وفي لفظ سنة أبي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر سنة هرقل وقيصر إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما فقال عبد الرحمن ألست ابن اللعين الذي لعن أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضي الله عنها كذب مروان ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان بعض من لعنه الله وأخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن عروة قال قال معاوية لا حلم إلا التجارب وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال دهاة العرب أربعة معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد فأما معاوية فللحلم والأناة وأما عمرو فللمعضلات وأما المغيرة فللمبادهة وأما زياد فللكبير والصغير وأخرج أيضا عنه قال كان القضاة أربعة والدهاة أربعة فأما القضاة

فعمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأما الدهاة فمعاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وزياد وأخرج عن قبيصة بن جابر قال صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله منه وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه وصحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطا جهلا ولا أبعد أناة منه وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أنصع طرفا ولا أحلم جليسا منه وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أن عقيل بن أبي طالب سأل عليا فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني فقال اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم فألح عليه فقال لرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل دق هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت قال تريد أن تتخذني سارقا قال وأنت تريد أن تتخذني سارقا أن أخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال لأتين معاوية قال أنت وذاك فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما اولاك به على وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني أخبركم أني أردت عليا على دينه فاختار دينه وأني أردت معاويةعلى دينه فاختارني على دينه وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عقيلا دخل على معاوية فقال معاوية هذا عقيل وعمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية وعمته حمالة الحطب وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال دخل خريم بن فاتك على معاويه ومئزره مشمر وكان حسن الساقين فقال معاوية لو كانت هاتان الساقان لأمرأة فقال خريم في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين

مات في أيام معاوية من الأعلام صفوان بن أمية وحفصة وأم حبيبة وصفية وميمونة وسودة وجويرية وعائشة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ولبيد الشاعر وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص وعبد الله بن سلام الحبر ومحمد بن مسلمة وابو موسى الأشعري وزيد بن ثابت وابو بكرة وكعب ابن مالك والمغيرة بن شعبة وجرير البجلي وابو أيوب الأنصاري وعمران بن حصين وسعيد بن زيد وأبو قتادة الأنصاري وفضالة بن عبيد وعبد الرحمن ابن أبي بكر وجبير بن مطعم واسامة بن زيد وثوبان وعمرو بن حزم وحسان بن ثابت وحكيم بن حزام وسعد بن ابي وقاص وابو اليسر وقثم ابن العباس وأخوه عبيد الله وعقبة بن عامر وأبو هريرة سنة تسع وخمسين وكان يدعو اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين وإمارة الصبيان فاستجيب له وخلائق آخرون رضي الله عنهم يزيد بن معاويه أبو خالد الأموي يزيد بن معاويه أبو خالد الأموي ولد سنة خمس أو ست وعشرين كان ضخما كثير اللحم كثير الشعر وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية روى عن أبيه وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان جعله أبوه ولى عهد وأكره الناس على ذلك كما تقدم قال الحسن البصري افسد أمر الناس اثنان

عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية يرفع المصاحف فحملت ونال من القراء فحكم الخوارج فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاويةعلى الكوفة فكتب إليه معاوية إذ قرأت كتابي فأقبل معزولا فأبطأ عنه فلما ورد عليه قال ما أبطأ بك قال أمر كنت أوطئه وأهيئه قال وما هو قال البيع ليزيد من بعدك قال أوقد فعلت قال نعم قال ارجع إلى عملك فلما خرج

قال له أصحابه ما وراءك قال وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة قال الحسن فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة وقال ابن سيرين وفد عمرو بن حزم على معاويه فقال له أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمن تستخلف عليها فقال نصحت وقلت برأيك وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم وابني أحق وقال عطية بن قيس خطب معاوية فقال اللهم إن كنت إنماعهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه وإن كنت إنما حملني حب الولاد لولده وإنه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك فلما مات معاوية بايعه أهل الشام ثم بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعاه وخرجا من ليلتهما إلى مكة فأما ابن الزبير فلم يبايع ولا دعا إلى نفسه وأما الحسين فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى فلما بويع يزيد أقام على ما هو مهموما يجمع الإقامة مرة ويريد المسير إليهم أخرى فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وكان ابن عباس

يقول له لا تفعل وقال له ابن عمر لا تخرج فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيره الله بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة وإنك بضعة منه ولا تنالها يعني الدنيا واعتنقه وبكى وودعه فكان ابن عمر يقول غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة وكلمه في ذلك أيضا جابر بن عبد الله وأبو سعيد وابو واقد الليثي وغيرهم فلم يطع أحدا منهم وصمم على المسير إلى العراق فقال له ابن عباس والله إني لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان فلم يقبل منه فبكى ابن عباس وقال أقررت عين ابن الزبير ولما رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير قال له قد أتى ما أحببت هذا الحسين يخرج ويتركك والحجاز ثم تمثل

% يا لك من قنبرة بمعمر % خلالك الجو فبيضي وأصفري % % ونقري ما شئت أن تنقري % وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم فخرج من مكة إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالا ونساء وصبيانا فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتله فوجه إليه جيشا أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن ابي وقاص فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله فلما رهقه السلاح عرض عليهم الاستسلام والرجوع والمضي إلى يزيد فيضع يده في يده فأبوا إلا قتله فقتل وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد ايضا وكان قتله بكر بلاء وفي قتله قصة فيها طول لايحتمل القلب ذكرها فإنا لله وإنا إليه راجعون وقتل معه ستة عشر رجلا من أهل بيته ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضا وكان قتله يوم عاشوراء وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت افاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله وقيل إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يؤمئذ إلا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذي في عسكرهم رمادا ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم وتكلم رجل في الحسين بكلمة فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره قال الثعالبي روت الرواة من غير وجه عن عبد الملك بن عمير الليثي قال رأيت في هذا القصر وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد على ترس ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي

المختار بن أبي عبيد ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك فحدثت بهذا الحديث عبد الملك فتطير منه وفارق مكانه وأخرج الترمذي عن سلمى قالت دخلت علىأم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم فقلت بأبي وأمي

يا رسول الله ما هذا قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم فأحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أم سلمة قالت سمعت الجن تبكي على حسين وتنوح عليه وأخرج ثعلب في أماليه عن أبي خباب الكلبي قال أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب اخبرني بما بلغني أنكم تسمعون نوح الجن فقال ما تلقى أحدا إلا أخبرك أنه سمع ذلك قلت فأخبرني بما سمعت أنت قال سمعتهم يقولون % مسح الرسول جبينه % فله بريق في الخدود % % أبواه من عليا قريش % وجده خير الجدود % ولما قتل الحسين وبنو ابيه بعث ابن زياد برؤسهم إلى يزيد فسر بقتلهم أولا ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه وأخرج أبو يعلى في مسنده بسند ضعيف عن أبي عبيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد

وقال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد فقال قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال تقول أمير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطا وفي سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشا كثيفا وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير فجاؤا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ماوقعة الحرة ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيهاخلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ونهيت المدينة وافتض فيها ألف عذراء فإنا لله وإنا إليه راجعون قال صلى الله عليه وسلم من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين رواه مسلم وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي وأخرج الواقد من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن ترمى بالحجارة من اسماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة قال الذهبي ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وحرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره وسار جيش الحرة إلىمكة لقتال ابن الزبير فمات أمير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم أميرا وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق وذلك في صفر سنة أربع وستين واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة سقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف وأهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر فنادى ابن الزبير يا اهل الشام إن طاغيتكم قد هلك فانفلوا وذلوا وتخطفهم الناس ودعا ابن الزبير إلى بيعة نفسه وتسمى بالخلافة وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد ولم تطل مدته كما سيأتي

ومن شعر يزيد % آب هذا الهم فاكتنعا % وأمر النوم فامتنعا % % راعيا للنجم أرقبه % فإذا ما كوكب طلعا % % حام حتى إنني لأرى % أنه بالغور قد وقعا % % ولها بالماطرون إذا % أكل النمل الذي جمعا % % نزهة حتى إذا بلغت % نزلت من جلق بيعا % % في قباب وسط دسكرة % حولها الزيتون قد ينعا % وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر قال أبو بكر الصديق أصبتم اسمه عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ابن عفان ذو النورين قتل مظلوما يؤتى كفلين من الرحمة معاويه وابنه ملكا الأرض المقدسة والسفاح وسلام والمنصور وجابر والمهدي والأمين وأمير الغضب كلهم من بين كعب بن لؤي كلهم صالح لا يوجد مثله

% قال الذهبي له طرق عن ابن عمر ولم يرفعه أحد

وأخرج الواقدي عن أبي جعفر

% الباقر قال أول من كسا الكعبة الديباج يزيد بن معاويه

مات في أيام يزيد من الأعلام سوى الذين قتلوا مع الحسين وفي وقعة الحرة أم سلمة أم المؤمنين وخالد بن عرفطة وجرهد الأسلمي وجابر بن عتيك وبريدة بن الحصيب ومسلمة بن مخلد وعلقمة بن قيس النخعي الفقيه ومسروق والمسور بن مخرمة وغيرهم رضي الله عنهم وعدة المقتولين بالحرة من قريش والأنصار ثلثمائة وستة رجال معاويه بن يزيد معاوية بن يزيد بن معاويه أبو عبد الرحمن ويقال له ابو يزيد ويقال أبو ليلى استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين وكان شابا صالحا ولما استخلف كان مريضا فآستمر مريضا إلى أن مات ولم يخرج إلى الباب ولا فعل شيئا من الأمور ولا صلى بالناس وكانت مدة خلافته أربعين يوما وقيل شهرين ثلاثة أشهر ومات وله إحدى وعشرون سنة وقيل عشرون سنة ولما احتضر قيل له ألا تستخلف قال ما أصبت من حلاوتها فلم أتحمل مرارتها عبد الله بن الزبير عبد

الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي كنيته أبو بكر وقيل أبو خبيب بضم الخاء المعجمة صحابي ابن صحابي وأبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وأم أبيه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة وقيل في السنة الأولى وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لأن اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم ولد فحنكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قسم الدهر ثلاث ليال ليلة يصلي قائما حتى الصباح وليلة راكعا وليلة ساجدا حتى الصباح روى له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة وثلاثون حديثا روى عنه أخوه عروة وابن أبي مليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون وكان ممن أبي البيعة ليزيد بن معاوية وفر إلى مكة ولم يدع إلى نفسه لكن لم يبايع فوجد عليه يزيد وجدا شديدا فلما مات يزيد

بويع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وجدد عمارة الكعبة فجعل لها ما بين على قواعد إبراهيم وأدخل فيها ستة أذرع من الحجر لما حدثته خالته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبق خارجا عنه إلا الشام ومصر فإنه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته فلما مات أطاع أهلهما ابن الزبير وبايعوه ثم خرج مروان بن الحاكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين وقد عهد إلى ابنه عبد الملك والأصح ما قاله الذهبي أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين بل هو باغ خارجا على ابن الزبير ولا عهده إلىابن بصحيح وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير وأما ابن الزبير فإنه استمر بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفا فحصره بمكة أشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه وتسللوا إلى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى وقيل الآخرة سنة ثلاث وسبعين وأخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال إني لفوق أبي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فنزلت صاعقة كأني أنظر إليها تدور كأنها حمار أحمر فأحرقت من أصحاب المنجنيق نحوا من خمسين رجلا وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه له المواقف المشهودة

أخرج أبو يعلى في مسنده عن ابن الزبير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم

فلما فرغ قال له يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك

أحد فلما ذهب شربه فلما رجع قال ما صنعت بالدم قال عمدت إلى أخفى موضع فجعلته فيه قال لعلك شربته قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم وأخرج عن نوف البكالى قال إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن

الزبير فارس الخلفاء وقال عمرو بن دينار ما رأيت مصليا أحسن صلاة من ابن الزبير وكان يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه وقال مجاهد ما كان باب من العبادة يعجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل يطوف سباحة وقال عثمان بن طلحة كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة لا شجاعة ولا عبادة ولا بلاغة وكان صيتا إذا خطب تجاوبه الجبال وأخرج ابن عساكر عن عروة أن النابغة الجعدي أنشد عبد الله بن الزبير % حكيت لنا الصديق لما وليتنا % وعثمان والفاروق فارتاح معدم % % وسويت بين الناس في الحق فاستوى % فعاد صباحا حالك اللون أسحم % وأخرج عن هشام بن عروة وخبيب قال أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكان كسوتها المسوح والأنطاع وأخرج عن عمر بن قيس قال كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة وكان ابن الزبير يكلم كل أحد منهم بلغته وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفة عين وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين وأخرج عن هشام بن عروة قال كان أول ما أفصح به عمي عبد الله ابن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من فيه فكان أبوه إذا سمع ذلك منه يقول أماوالله ليكونن لك منه يوم وأيام وأخرج عن أبي عبيدة قال جاء عبد الله بن الزبير الأسدي إلى عبد الله ابن الزبير بن العوام فقال يا أمير المؤمنين إن بيني وبينك رحما من قبل فلانة فقال ابن الزبير نعم هذا كما ذكرت وإن فكرت في هذا أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة فقال يا أمير المؤمنين إن نفقتي

نفدت قال ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم قال يا أمير المؤمنين ناقتي قد نقبت قال أنجد بها تبرد خفها وأرفعها بسبت واخفضها بهلب وسر عليها البردين قال يا أمير المؤمنين إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك فقال ابن الزبير إن وراكبها فخرج الأسدي يقول % أرى الحاجات عند أبي خبيب % تكون ولا أمية في البلاد % % من الأعياص أو من آل حرب % أغر كغرة الفرس الجواد % % وقلت لصحبتي أدنوا ركابي % أفارق بطن مكة في سواد % % ومالي حين أقطع ذات عرق % إلى ابن الكاهلية من معاد % وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري قال لم يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس إلىالمدينة قط ولا يوم بدر وحمل إلى أبي بكر رأس فكره ذلك وأول من حملت إليه الرؤس عبد الله بن الزبير وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة فجهز ابن الزبير لقتاله إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين وقتله لعنه الله مات في أيام ابن الزبير من الأعلام أسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو ابن العاص والنعمان بن بشير وسليمان بن صرد وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم وعدي بن حاتم وابن عباس وابو واقد الليثي و زيد بن خالد الجهني وأبو الأسود الدؤلي وآخرون عبد الملك بن مروان عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد

% ولد سنة ست وعشرين بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته وبقي متغلبا على مصر والشام

ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يؤمئذ واستوثق له الأمر ففي هذا العام هدم الحجاج الكعبة وأعادها على ما هي عليه الآن ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج إلى المدينة وأخذ يتعنت على أهلها ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي فإنا لله وإنا إليه راجعون وفي سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك الخليفة وسير الحجاج أميرا على العراق وفي سنة سبع وسبعين فتحت هرقلة وهدم عبد العزيز بن مروان جامع مصر وزيد فيه من جهاته الأربع وفي سنة اثنتين وثمانين فتح حصن سنان من ناحيةالمصيصة وكانت غزوة أرمينية وصنهاجة بالمغرب وفي سنة ثلاث وثمانين بنيت مدينة واسط بناها الحجاج وفي سنة أربع وثمانين فتحت المصيصة وأودية من المغرب وفي سنة خمس وثمانين بنيت مدينة أردبيل ومدينة برذعة بناهما عبد العزيز ابن حاتم بن النعمان الباهلي وفي سنة ست وثمانين فتح حصن بولق وحصن الأخرم

وفيها كان طاعون الفتيات وسمى بذلك لأنه بدأ في النساء وفيها مات الخليفة عبد الملك في شوال وخلف سبعة عشر ولدا قال أحمد ابن عبد الله العجلي كان عبد الملك أبخر الفم وإنه ولد لستة أشهر وقال ابن سعد

كان عابدا زاهدا ناسكا بالمدينة قبل الخلافة وقال يحيى الغساني كان عبد الملك ابن مروان كثيرا ما يجلس إلى أم الدرداء فقالت له مرة بلغني أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة قال إي والله والدماء قد شربتها وقال نافع لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان وقال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد ابن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وقال ابن عمر ولد الناس أبناء وولد مروان أبا وقال عبدة بن نسي قيل لابن عمر إنكم معشر أشياخ قريش يوشك أن تنقرضوا فمن نسأل بعدكم فقال إن لمروان أبنا فيها فأسألوه وقال سحيم مولى أبي هريرة رضي الله عنه دخل عبد الملك وهو شاب على أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة هذا يملك العرب وقال عبيدة بن رياح الغساني قالت أم الدرداء لعبد الملك مازلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك قال وكيف ذاك قالت ما رأيت أحسن منك محدثا ولا أعلم منك مسمعا وقال الشعبي ما جالست أحدا إلا وجدت لي عليه الفضل إلا

عبد الملك بن مروان فإني ما ذكرته حديثا إلا وزادني فيه ولا شعرا إلا وزادني فيه وقال الذهبي سمع عبد الملك من عثمان وأبي هريرة وأبي سعيد وأم سلمة وبريرة وابن عمر ومعاوية روى عنه عروة وخالد بن معدان ورجاء ابن حيوة والزهري ويونس بن ميسرة وربيعة بن يزيد

وإسماعيل بن عبيد الله وحريز بن عثمان وطائفة وقال بكر بن عبد الله المزني أسلم يهودي أسمه يوسف وكان قرأ الكتب فمر بدار مروان فقال ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار فقلت له إلى متى قال حتى تجيء رايات سود من قبل خراسان

وكان صديقا لعبد الملك بن مروان فضرب يوما على منكبه وقال أتق الله في أمة محمد إذا ملكتهم فقال دعني ويحك ما شأني وشأن ذلك فقال أتق الله في أمرهم قال وجهز يزيد جيوش إلى أهل مكة فقال عبد الملك أعوذ بالله أبيعث إلى حرم الله فضرب يوسف منكبه وقيل جيشك إليهم أعظم وقال يحي الغساني لما نزل مسلم بن عقبة المدينة زرت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إلى جنب عبد الملك فقال لي عبد الملك أمن هذا الجيش أنت قلت نعم قال ثكلتك أمك أتدري إلى من تسير إلى أول مولود ولد في الإسلام وإلى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى ابن ذات النطاقين وإلى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما والله إن جئته نهارا وجدته صائما ولئن جئته ليلا لتجدنه قائما فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعا في النار فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه وقال ابن أبي عائشة أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا آخر العهد بك وقال مالك سمعت يحي بن سعيد يقول أول من صلى في المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه كانوا إذا صلى الإمام الظهر قاموا فصلوا إلى العصر فقيل لسعيد بن المسيب لو قمنا فصلينا كما يصلي هؤلاء فقال سعيد بن المسيب ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم وإنما العابدة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله وقال مصعب بن عبد الله أول من سمى في الإسلام عبد الملك عبد الملك ابن مروان وقال يحي بن بكير سمعت مالكا يقول أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن وقال مصعب كتب عبد الملك على الدنانير قل هو الله أحد وفي الوجه الآخر لا إله إلا الله وطوقه بطوق فضة وكتب فيه ضرب بمدينة كذا وكتب خارج الطوق محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق

وفي الأوائل للعسكري بسنده كان عبد الملك أول من كتب في صدور الطوامير قل هو الله أحد وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع التاريخ فكتب ملك الروم إنكم أحدثتم في طوامیركم شيئا من ذكرنبيكم فاتركوه وإلا أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون فعظم ذلك على عبد الملك فأرسل إلى خالد بن يزيد ابن معاوية فشاوره فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سككا فيها ذكر الله وذكر رسوله ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير فضرب الدنانير للناس سنة خمس وسبعين قال العسكري وأول خليفة بخل عبد الملك وكان يسمى رشح الحجارة لبخله ويكنى أبا الذبان لبخره قال وهو أول من غدر في الإسلام وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الأمر بالمعروف ثم أخرج بسنده عن ابن الكلبي قال كان مروان بن الحكم ولي العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه فقتله عبد الملك وكان قتله أول غدر في الإسلام فقال بعضهم % يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد % جربتم الغدر من أبناء مروانا % % أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا % يدعون غدرا بعهد الله كيسانا % % ويقتلون الرجال البزل ضاحية % لكي يولوا أمور الناس ولدانا % % تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا % هواهم في معاصي الله قرآنا % وأخرج بإسناد فيه الكديمي وهو متهم بالكذب وعن ابن جريج عن أبيه قال خطبنا عبد الملك بين مروان بالمدينة بعد قتل الزبير عام حج سنة خمس وسبعين فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فلست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا الخليفة المداهن يعين معاوية ولا الخليفة المأفون يعني يزيد ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى

يحكم السيف بيننا وبينكم هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بأسيافنا هكذا ألا وإنا نحمل لكم كل شيء إلا وثوبا على أمير أو نصب راية إلا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه ثم نزل ثم قال العسكري وعبد الملك أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية وأول من رفع يديه على المنبر قلت فتمت له عشرة أوائل منها خمسة مذمومة وقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف

بسنده عن محمد بن سيرين قال أول من أحدث الأذان في الفطر والأضحى بنو مروان فإما أن يكون عبد الملك أو أحدا من أولاده وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرني غير واحد أن أول من كسا الكعبة بالديباج عبد الملك بن مروان وإن من أدرك ذلك من الفقهاء قالوا أصاب ما نعلم لها من كسوة أوفق منه وقال يوسف بن الماجشون كان عبدالملك إذا قعد للحكم قيم على رأسه بالسيوف وقال الأصمعي قيل لعبد الملك يا أمير المؤمنين عجل عليك الشيب فقال وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة وقال محمد بن حرب الزيادي قيل لعبد الملك بن مروان من أفضل الناس قال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدره وأنصف عن قوة وقال ابن عائشة كان عبد الملك إذا دخل عليه رجل من أفق من الآفاق قال أعفني من أربع وقل بعدها ما شئت لا تكذبني فإن الكذوب لا رأي له ولا تجبني فيما لا أسألك فإن فيما أسألك عنه شغلا ولا تطرني فإني أعلم بنفسي منك ولا تحملني على الرعية فإني إلى الرفق بهم أحوج

وقال المدائني لما أيقن عبد الملك بالموت قال والله لوددت أني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمالا ثم أصبى بنيه بتقوى الله ونهاهم عن الفرقة والإختلاف وقال كونوا بني أم بررة وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها وإن المعروف يبقى أدره وذكره واحلوا في مرارة ولينوا في شدة وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني % إن القداح إذا اجتمعن فرامها % بالكسر ذو حنق وبطش باليد % % عزت فلم تكسر وإن هي بددت % فالكسر والتوهين للمتبدد % يا وليد اتق الله فيما أحلفك فيه إلى أن قال وانظر الحجاج فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك فلا تسمعن فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك وادع الناس إذا مت إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا وقال غيره لما احتضر عبد الملك دخل عليه ابنه الوليد فتمثل بهذا % كم عائد رجلا وليس يعوده % إلا ليعلم هل يراه يموت % فبكى الوليد فقال ما هذا أنحن حنين الأمة إذا أنا مت فشمر وائتزر

% والبس جلد النمر وضع سيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب

عنقه ومن سكت مات بدائه % قلت % لو لم يكن من مساوى عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يهينهم ويذلهم قتلا وضربا وشتما وحبسا وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين مالا يحصى فضلا عن غيرهم وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم فلا رحمة الله ولا عفا عنه ومن شعر عبد الملك % لعمري لقد عمرت في الدهر برهة % ودانت لي الدنيا بوقع البواتر % % فأضحى الذي قد كان مما يسرني % كلمح مضى في المؤمنات الغواتر %

% فيا ليتيني لم أعن بالملك ساعة % ولم أله في لذات عيش نواضر % % وكنت كذي طمرين عاش ببلغة % من الدهر حتى زار ضنك المقابر % وفي تاريخ ابن عساكر عن إبراهيم بن عدي قال رأيت عبد الملك بن مروان وقد أتته أمور أربعة في ليلة فما تنكر ولا تغير وجهه قتل عبيد الله بن زياد وقتل حبيش بن دلجة بالحجاز وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم وخروج عمرو بن سعيد إلى دمشق وفيه عن الأصمعي قال أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية وأسند السلفي في الطيوريات أن عبد الملك بن مروان خرج يوما فلقيته امرأة فقالت يا أمير المؤمنين قال ما شأنك قالت توفي أخي وترك ستمائة دينار فدفع إلى من ميراثه دينار واحد فقيل هذا حقك فعمى الأمر فيها على عبد الملك فأرسل إلى الشعبي فسأله فقال نعم هذا توفي فترك ابنتين فلهما الثلثان اربعمائة وأما فلها السدس مائة وزوجة فلها الثمن خمس وسبعون واثنى عشر أخا فلهم أربعة وعشرون وبقي لهذه دينار وقال ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا أبو سفيان الحميري حدثنا خالد بن محمد القرشي قال قال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية وقال أبو عبيدة لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التي يقول فيها % شمس العداوة حتى يستقاد لهم % وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا % قال خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره ثم قال

إن لكل قوم شاعرا وشاعر بني أمية الأخطل وقال الأصمعي دخل الأخطل على عبد الملك فقال ويحك صف لي السكر قال أوله لذة وآخره صداع وبين ذلك حالة لا أصف لك مبلغها فقال ما مبلغها قال لملكك يا أمير المؤمنين عندها أهون على من شسع نعلي وأنشأ

يقول % إذا ما تديمي علني ثم علني % ثلاث زجاجات لهن هدير % % خرجت أجر الذيل تيها كأنني % عليك أمير المؤمنين أمير %
قال الثعالبي كان عبد الملك يقول ولدت في رمضان وفطمت في رمضان وختمت القرآن في رمضان وبلغت الحلم في رمضان ووليت في رمضان وأتتني الخلافة في رمضان وأخشى أن أموت في رمضان فلما دخل شوال وأمن مات ومن مات في أيام عبد الملك من الأعلام ابن عمر وأسماء بنت الصديق وأبو سعيد بن المعلى وأبو سعيد الخدري ورافع بن خديج وسلمة بن الأكوع والعرباض بن سارية وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والسائب بن يزيد وأسلم مولى عمر وأبو إدريس الخولاني وشريح القاضي وأبان بن عثمان بن عفان والأعشى الشاعر وأيوب بن القرية الذي يضرب به المثل في الفصاحة وخالد بن يزيد بن معاوية وزر بن حبيش وسنان بن سلمة ابن المحبق وسويد بن غفلة وأبو وائل وطارق بن شهاب ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن شداد بن الهاد وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وعمرو بن حريث وعمرو بن سلمة الجرمي وآخرون

الوليد بن عبد الملك الوليد بن عبد الملك أبو العباس قال الشعبي كان أبواه يترفانه فشب بلا أدب قال روح بن زنباع دخلت يوما على عبد الملك وهو مهموم فقال فكرت فيمن أوليه أمر العرب فلم أجده فقلت أين أنت من الوليد قال إنه لا يحسن النحو فسمع ذلك الوليد فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في بيت ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل مما كان فقال عبد الملك أما إنه قد أعذر
وقال أبو الزناد كان الوليد لحانا قال علىمنبر المسجد النبوي يا أهل المدينة وقال أبو عكرمة الضبي قرأ الوليد على المنبر يا ليتها كانت القاضية وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك فقال سليمان وددتها والله وكان الوليد جبارا ظالما وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن شوذب قال قال عمر بن عبد العزيز وكان الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن حبارة بالحجاز وقرة ابن شريك بمصر امتلأت الأرض والله جورا وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن إبراهيم بن أبي زرعة أن الوليد قال له أيحاسب الخليفة قال يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داود إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال يا داود الآية لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة وكان مع ذلك يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين ويرتب للزمني من يخدمه وللاضراء من

يقودهم وعمر المسجد النبوي ووسعه ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرم عليهم سؤال الناس وفرض لهم ما يكفيهم وضبط الأمور أتم ضبط وقال ابن أبي عبلة رحم الله الوليد وأين مثل الوليد افتتح الهند والأندلس وبني مسجد دمشق وكان يعطيني قطع الفضة أقمسها على قراء مسجد بيت المقدس
ولى الوليد الخلافة بعهد من أبيه في شوال سنة ست وثمانين ففي سنة سبع وثمانين شرع في بناء جامع دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه وفيها فتحت ببكند وبخارى وسردابية ومطمورة وقميقم وبحيرة الفرسان عنوة وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فوقف يوم النحر غلطا وتألم لذلك وفي سنة ثمان وثمانين فتحت جرثومة وطوانة وفي سنة تسع وثمانين فتحت جزيرتا منورقة وميورقة وفي سنة إحدى وتسعين فتحت نسف وكش وشومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان وفي سنة اثنتين وتسعين فتح إقليم الأندلس بأسره ومدينة أرمابيل وقتربون وفي سنة ثلاث وتسعين فتحت الديبل وغيرها ثم الكرح وبرهم وباجة والبيضاء وخوارزم وسمرقند والصغد وفي سنة أربع وتسعين فتحت كابل وفرغانة والشاش وسندرة وغيرها وفي سنة خمس وتسعين فتحت الموقان ومدينة الباب وفي سنة ست وتسعين فتحت طوس وغيرها وفيها مات الخليفة الوليد في نصف جمادى الاخرة وله إحدى وخمسون سنة

قال الذهبي أقام الجهاد في أيامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب قال عمر بن عبدالعزيز لما وضعت الوليد في لحده إذا هو يركض في أكفانه يعني ضرب الأرض برجله ومن كلام الوليد لولا أن الله ذكر آل لوط في القرآن ما ظننت أن أحدا يفعل هذا مات في أيام الوليد من الأعلام عتبة بن عبد السلمي والمقدام بن معدي كرب وعبد الله بن بشر المازني وعبد الله بن أبي أوفى وأبو العالية وجابر بن زيد وأنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد والسائب بن خلاد وخبيب بن عبد الله بن الزبير وبلال بن أبي الدرداء وسعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير شهيدا قتله الحجاج لعنه الله وإبراهيم النخعي ومطرف وإبراهيم بن

عبد الرحمن بن عوف والعجاج الشاعر وآخرون سليمان بن عبد الملك سليمان بن عبد الملك أبو أيوب كان من خيار ملوك بني أمية ولى الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه في جمادى الأخرة سنة ست وتسعين روى قليلا عن أبيه وعبد الرحمن بن هبيرة روى عنه ابن عبد الواحد والزهري وكان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو ومولده سنة ستين ومن محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير فكان يمتثل

أوامره في الخير فعزل عمال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق وأحيا الصلاة لأول مواقيتها وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير قال ابن سيرين يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز وكان سليمان ينهى عن الغناء وكان من الأكلة المذكورين أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفا وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي قال يحيى الغساني نظر سليمان في المرآة فأعجبه شبابه وجماله فقال كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وكان عثمان حييا وكان معاوية حليما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وأنا الملك الشاب فما دار عليه الشهر حتى مات وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين وفتح في أيامه حرجان وحصن الحديد وسردانية وشقى وطبرستان ومدينة السفالبة

مات في أيامه من الأعلام قيس بن أبي حازم ومحمود بن لبيد والحسن بن الحسين ابن علي وكريب مولى ابن عباس وعبد الرحمن بن الأسود النخعي وآخرون قال عبد الرحمن بن حسان الكناني مات سليمان غازيا بدابق فلما مرض قال لرجاءبن حيوة من لهذا الأمر بعدي استخلف ابني قال ابنك غائب قال فابني الآخر قال صغير قال فمن ترى قال أرى أن تستخلف عمر بن عبدالعزيز قال أتخوف إخوتي لا يرضون قال تولى عمر ومن بعده يزيد بن عبد الملك وتكتب كتابا وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوما قال لقد رأيت فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد ودفعه إلى

رجاء وقال أخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختوما فخرج فقال إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب قالوا ومن فيه قال هو مختوم لا تخبروا بمن فيه حتى يموت قالوا لا نبايع فرجع إليه فأخبره فقال انطلق إلى صاحب الشرط والحرس فاجمع الناس ومرهم بالبيعة فمن أبى فاضرب عنقه فبايعوا قال رجاء فبينما أنا راجع إذا هشام فقال لي يا رجاء قد علمت موقعك منا وأن أمير المؤمنين قد صنع شيئا ما أدرى ما هو وإني تخوفت أن يكون قد أزالها عني فإن يكن قد عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى أنظر فقلت سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه لا يكون ذلك ابدا ثم لقيت عمر بن عبد العزيز فقال لي يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل أتخوف أن يكون قد جعلها إلي ولست أقوم بهذا الشأن فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا قلت سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه ثم مات سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبدالملك فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه فجلس طويلا لا يتكلم فقال لهم رجاء ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه فبايعوه ومد يده إليهم ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أني لست بفارض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم وإن هم أبوا فلست لكم بوال ثم نزل فأتاه صاحب المراكب فقال ما هذا قال مركب الخليفة قال لا حاجة لي فيه

أئتوني بدابتي فأتوه بدابته وانطلق إلى منزله ثم دعا بدواة وكتب بيده إلى عمال الأمصار قال رجاء كنت أظن أنه سيضعف فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوي يروى أن مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان في خلافته كلام فقال له يا سليمان يا ابن اللخناء ففتح مروان فاه ليجيبه فأمسك عمر بن عبد العزيز بفيه وقال أنشدك الله إمامك وأخوك وله السن فسكت وقال قتلتني والله لقد زدت في جوفي أحر من النار فما أمسى حتى مات وأخرج ابن أبي الدنيا عن زياد بن عثمان أنه دخل على سليمان بن عبد الملك لما

مات ابنه أيوب فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يقول من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز أخرجه أبو داود في سننه ولد عمر بحلوان قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقيل ثلاث وستين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان بوجه عمر شجه ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد

أخرجه ابن عساكر

وكان عمر بن الخطاب يقول من ولدي رجل بوجهه شجه يملأ الأرض عدلا أخرج الترمذي في تاريخه فصدق ظن أبيه فيه وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال ليت شعري أمن ذوالشين

من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا

وأخرج عن ابن عمر قال كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز روى عمر بن عبد العزيز عن أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وابن قارظ ويوسف بن عبد الله بن سلام وعامر بن سعد وسعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير وأبي بكر بن عبد الرحمن والربيع بن سمرة وطائفة روى عنه الزهري ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصاري ومسلمة ابن عبد الملك ورجاء بن حيوة وخلائق كثيرون جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها فمكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضا إلا أنه كان يبالغ في التنعم فكان الذي يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التنعم والاختيال في المشية فلما ولى الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين وعزل فقدم الشام ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد وأن يعهد إلى ولده فأطاعه كثير من الأشراف طوعا وكرها فامتنع عمر بن عبد العزيز وقال

لسليمان في أعناقنا بيعة وصمم فطين عليه الوليد

ثم شفع فيه بعد ثلاث فأدركوه وقد مالت عنقه فعرفها له سليمان فعهد

إليه بالخلافة قال زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه ما صليت وراء إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة قال زيد بن أسلم فكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود له طرق عن أنس أخرجه البيهقي في سننه وغيره وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال هو نجيب بني أمية وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده وقال ميمون بن مهران كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة وأخرج ابو نعيم بسند صحيح عن رياح بن عبيدة قال خرج عمر ابن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكىء على يده فقلت في نفسي إن هذا الشيخ جاف فلما صلى ودخل لحقته فقلت أصلح الله الأمير من الشيخ الذي كان يتكىء على يدك قال يا رياح رأيته قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلا صالحا ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل فيها وأخرج أيضا عن أبي هاشم أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس فقال لك يا عمر إذا عملت فاعمل بعمل هذين لأبي بكر وعمر فاستخلف له عمر بالله لرأيت هذا فخلف له فبكى عمر

بويع بالخلافة بعهد من سليمان وفي صفر سنة تسع وتسعين كما تقدم فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلاف الصديق رضي الله عنه عملا فيها الأرض عدلا ورد المظالم وسن السنن الحسنة ولما قرىء كتاب العهد باسمه عقر وقال والله إن هذا الأمر ما سألته الله قط

وقدم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى وقال ائتوني ببغلتي قال الحكم بن عمر شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها قال ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد واجعل أثمانها في مال الله تكفيني بغلتي هذه الشهباء وقال عمر بن ذر لما رجع عمر من جنازة سليمان قال له مولاه مالي أراك مغتما قال لمثل ما أنا فيه فليغتم ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه مني وعن عمر بن مهاجر وغيره أن عمر لما استخلف قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا وإني لست بفارض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من أحدكم ولكني أثقلكم

حملاً وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وعن الزهري قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات فكتب إليه بالذي سأل وكتب إليه أنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيرا من عمر وعن حماد أن عمر لما استخلف بكى فقال يا أبا فلان أتخشى علي قال كيف حبك للدرهم قال لا أحبه قال لا تخف فإن الله سيعينك وعن مغيرة قال جمع عمر حين استخلف بني مروان فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ينفق منها ويعول منها على صغير بني هاشم

ويزوج منها أيمهم وإن فاطمةسألته أن يجعلها لها فأبى فكانت كذلك حياة أبي بكر ثم عمر ثم أقطعها مروان ثم صارت لعمر بن عبد العزيز فرأيت أمرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق وإن أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الليث قال لما ولي عمر بدأ بلحمته وأهل بيته فأخذ ما بأيديهم وسمى أموالهم مظالم وقال أسماء بن عبيد دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا فمنعتناه ولى عيال وضيعة أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي لما يصلح عيالي فقال عمر أحبكم من كفانا مؤنته ثم قال له أكثر ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك وقال فرات بن السائب قال عمر بن عبد العزيز لأمرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك فإنه أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد قالت لا بل اختارك عليه وعلى أضعافه فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين فلما مات عمر واستخلف يريد قال لفاطمة إن شئت رددته إليك قالت لا والله لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد موته وقال عبد العزيز

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه إن مدينتنا قد خربت فإن رأى

أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرمها به فعل فكتب إليه عمر إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام وقال إبراهيم الكوني قال عمر بن عبد العزيز ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين على أهله وقال قيس بن جبير مثل عمر في بني أمية مثل مؤمن آل فرعون

وقال ميمون بن مهران إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز وقال وهب بن منبه إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبدالعزيز وقال محمد بن فضالة مر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب في الجزيرة فنزل إليه الراهب ولم ينزل لأحد قبله وقال أتدري لم نزلت إليك قال لا قال لحق أبيك إنا نجده في أئمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحرم ففسره أيوب بن سويد بثلاثة متوالية ذي العقدة وذي الحجة والمحرم ابي بكر وعمر وعثمان ورجب منفرد منها عمر بن عبد العزيز وقال حسن القصاب رأيت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية في خلافة عمر ابن عبد العزيز فقلت سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها فقال الراعي إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس وقال مالك بن دينار لما ولي عمر عبد العزيز قالت رعاء الشاء من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدله كف الذئاب عن شائنا وقال موسى بن أعين كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاة والذئب ترعى في مكان واحد فبينا نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب للشاة فقلت ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك فحسبوه فوجدوه مات تلك الليلة وقال

الوليد بن مسلم بلغنا أن رجلا كان بخراسان قال أتاني آت في المنام فقال إذا قام أشج بني مروان فانطلق فبايعه فإنه إمام عدل فجعلت أسأل كلما قام خليفة حتى قام عمر بن عبد العزيز فأتاني ثلاث مرات في المنام فارتحلت إليه فبايعته وعن حبيب بن هند الأسلمي قال قال لي سعيد بن المسيب إنما الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز قلت له أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن

عمر قال إن عشت أدركته إن مت كان بعدك قلت ومات ابن المسيب قبل خلافة عمر وقال ابن عون كان ابن سيرين إذا سئل عن الطلاء قال نهى عنه إمام الهدى يعني عمر بن عبد العزيز وقال الحسن إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز وإلا فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم وقال مالك بن دينار الناس يقولون مالك زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها وقال يونس بن أبي شبيب شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حجزه إزاره لغائبه في عكنه ثم رأيته بعد ما استخلف ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت وقال ولده عبد العزيز سألني أبو جعفر المنصور كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة إليه قلت أربعين ألف دينار قال فكم كانت حين توفي قلت اربعمائة دينار ولو بقي لنقصت وقال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك ألا تغسلون قميصه قالت والله ما له قميص غيره قال أبو أمية الخصى غلام عمر دخلت يوما على مولاتي فغدتني عدسا فقلت كل يوم عدس قالت يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين قال ودخل عمر الحمام يوما فأطلى فولى عانته بيده قال ولما احتضر بعثني بدينار إلى أهل الدير وقال إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم فأتيتهم فقالوا لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه وقال عون بن المعمر دخل عمر على امرأته فقال يا فاطمة عندك درهم

اشترى به عنبا فقالت لا وقالت وأنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنبا قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في جهنم وقالت فاطمة امرأته ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه وقال سهل بن صدقة لما استخلف عمر سمع في منزله بكاء فسألوا عن ذلك فقالوا إن عمر خير جواريه فقال قد نزل بي أمر قد شغلني عنكم فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أحب أن امسكه أمسكته وإن لم يكن مني إليها حاجة فبكين إيا سامنه قالت فاطمة امرأته كان إذ دخل البيت ألقى نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع وقال الوليد بن ابي السائب ما رأيت أحدا قط أخوف من عمر وقال سعيد بن سويد صلى عمر بالناس الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة وقال ميمون بن مهران سمعت عمر يقول لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعا من الدنيا فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا وقال إبراهيم بن ميسرة قلت لطاوس هو المهدي يعنى عمر بن عبد العزيز قال هو مهدي وليس به إنه لم يستكمل العدل كله وقال عمر بن أسيد والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح بماله كله قد أغنى عمر الناس وقال جويرية دخلنا على فاطمة ابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنها فأثنت على عمر بن عبد العزيز وقالت لو كان بقى لنا ما احتجنا بعد إلى أحد

وقال عطاء بن أبي رباح حدثتني فاطمة امرأة عمر أنها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على لحيته فقالت يا أمير المؤمنين ألشيء حدث قال يا فاطمة أني تقلدت من امر أمة محمد صلىالله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة فخشيت أن لاتثبت لي حجة فبكيت وقال الأوزاعي إن عمر بن عبد العزيز كان جالسا في بيته وعنده أشراف بني أمية فقال أتحبون أن أولى كل رجل منكم جندا فقال رجل منهم لم تعرض علينا ما لا تفعله قال ترون بساطي هذا إني لأعلم أنه يصير إلى بلى وفناء وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم فكيف أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم هيهات لكم هيهات فقالوا له لم أمالنا قرابة أمالنا حق قال ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سوءا إلا رجلا من المسلمين حبسه عني طول شقته

وقال حميد أملي علي الحسن رسالة إلى عمر بن عبد العزيز فأبلغ ثم شكا الحاجة والعيال فأمر بعطائه وقال الأوزاعي كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ثم عاقبه كراهة أن يعجل في أول غضبه وقال جويرية بن أسماء قال عمر بن العزيز إن نفسي تواقة لم تعط من الدنيا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه فلما أعطيت ما لا شيء فوقه من الدنيا تاقت نفسي إلى ما هو أفضل منه يعني الجنة وقال عمرو بن مهاجر كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين وقال يوسف بن يعقوب الكاهلي كان عمر يلبس الفروة الكبل وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فوقهن طين

وقال عطاء الخراساني أمر عمر غلامه أن يسخن له ماء فانطلق فسخن قمقما في مطبخ العامة فأمر عمر أن يأخذ بدرهم حطبا يضعه في المطبخ وقال عمر بن مهاجر كان عمر يسرج عليه المشعة ما كان في حوائج المسلمين فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه وقال الحكم بن عمر كان للخليفة ثلثمائة حرسي وثلثمائة شرطي فقال عمر للحرس إن لي عنكم بالقدر حاجزا وبالأجل حارسا من أقام منكم فله عشرة دنانير ومن شاء فليلحق بأهله وقال عمرو بن مهاجر اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحا فأهدى له رجل من أهل بيته تفاحا فقال ما أطيب ريحه وأحسنه أرفعه يا غلام للذي أتى به واقرىء فلانا السلام وقل له إن هديتك وقعت عندنا بحيث نحب فقلت يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأكل الهدية فقال ويحك إن الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هدية وهي لنا اليوم رشوة وقال إبراهيم بن ميسرة ما رأيت عمر بن عبدالعزيز ضرب أحدا في خلافته غير رجل تناول من معاوية فضربه ثلاثة أسواط وقال الأوزاعي لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة كلموه في ذلك فقال لن يتسع مالي لكم وأما هذا المال فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد وقال أبو عمر كتب عمر بن عبد العزيز برد أحكام من أحكام الحجاج مخالفة لأحكام الناس وقال يحيى الغساني لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا فكتبت إليه أعلمه حال البلد وأسأله آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فكتب إلى أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصحلهم الله قال يحيى

ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبا وقال رجاء بن حيوة سمرت ليلة عند عمر فغشى السراج وإلى جانبه وصيف قلت ألا أننهه قال لا قلت أفلا أقوم قال ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه فقام إلى بطة الزيت وأصلح السراج ثم رجع وقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز وقال نعيم كاتبه قال عمر إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال مكحول لو حلفت لصدقت ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر ابن عبد العزيز وقال سعيد بن أبي عروبة كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله وقال عطاء كان عمر بن عبد العزيز يجمع في كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كان بين أيديهم جنازة وقال عبيد الله بن العيزار خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من طين فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي لعرق له في الموت والسلام عليكم وقال وهيب بن الورد اجتمع بنو مروان إلى باب عمر بن عبد العزيز فقالوا لابنه عبد الملك قل لأبيك إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وإن أباك قد حرمنا ما في يديه فدخل على أبيه فأخبره فقال لهم إن أبي يقول لكم إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقال الأوزاعي قال عمر بن عبد العزيز خذوا من الرأي ما يصدق من كان قبلكم ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم فإنهم خير منكم وأعلم وقال قدم جرير فطال مقامه بباب عمر بن عبد العزيز ولم يلتفت إليه فكتب إليه عون بن عبد الله وكان خصيصا بعمر

% يا أيها القارىء المرخي عمامته % هذا زمانك إني قد مضى زمني % % أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه % أتى لدي الباب كالمصفود في قرن % وقال جويرية بن أسماء لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال من كانت الخلافة شرفته فقد شرفتها ومن كانت زانته فقد زنتها وأنت كما قال مالك بن أسماء % وتزيدين أطيب الطيب طيبا % أن تمسيه أين مثلك اينا % % وإذا الدر زان حسن وجوه % كان للدر حسن وجهك زينا % قال جعونة لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جعل عمر يثني عليه فقال

يا أمير المؤمنين لو بقي كنت تعهد إليه قال لا قال ولم وأنت تثنى عليه قال أخاف أن يكون زين في عيني منه مازين في عين الوالد من ولده وقال غسان عن رجل من الأزد قال رجل لعمر بن عبد العزيز أوصني قال أوصيك بتقوى الله وإيثاره تخف عنك المؤنة وتحسن لك من الله المعونة وقال أبو عمرو دخلت ابنة أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز فقام لها ومشى إليها ثم أجلسها في مجسله وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها وقال الحجاج بن عنبسة اجتمع بنو مروان فقالوا لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا بالمزاح فدخلوا فتكلم رجل منهم فمزح فنظر إليه عمر فوصل له رجل كلامه بالمزاح فقال لهذا اجتمعتم لأخس الحديث ولما يورث الضغائن إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله فإن تعديتم ذلك ففي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث وقال إياس بن معاوية بن قرة ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صناع حسن الصنعة ليس له أداة يعمل بها يعنى لا يجد من يعينه وقال عمر بن حفص قال لي عمر بن عبد العزيز إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملا من الخير

وقال يحيى الغساني كان عمر ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ويقول ضمنهم الحبس حتى يحدثوا توبة فآتى سليمان بحروري فقال له سليمان هيه فقال الحروري وماذا أقول يا فاسق بن الفاسق فقال سليمان علي بعمر ابن عبد العزيز فلما جاء قال اسمع مقالة هذا فأعادها الحروري فقال سليمان لعمر ماذا ترى عليه فسكت قال عزمت عليك لتخبرني بماذا ترى عليه قال أرى عليه أن تشتمه كما شتمك قال ليس الأمر كذلك فأمر به سليمان فضربت عنقه وخرج عمر فأدركه خالد صاحب الحرس فقال يا عمر كيف تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك والله لقد كنت متوقعا أن يأمرني بضرب عنقك قال ولو أمرك لفعلت قال إي والله فلما أفضت الخلافة إلى عمر جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس فقال عمر يا خالد ضع هذا السيف عنك وقال اللهم إني قد وضعت لك خالدا فلا ترفعه أبدا ثم نظر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري وقال يا عمرو والله لتعلمن أنه ما بيني وبينك قرابة الا قرابة الإسلام ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة وأنت رجل من الأنصار خذ هذا السيف فقد وليتك حرسي وقال شعيب حدثت أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فقال يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها فقال أبوه رحمك الله وجزاك من ولد خيرا يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقا يكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يراق في سببي محجمه من دم أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة

وقال معمر قال عمر بن عبد العزيز قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع وقال أرطأة بن المنذر قيل لعمر بن عبد العزيز لو اتخذت حرسا واحترزت في طعامك وشرابك فقال اللهم إن كنت تعلم أني أخاف شيئا دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفي وقال عدي بن الفضل سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال اتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأته وقال أزهر رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وعليه قميص مرقوع وقال عبد الله بن العلاء سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها ويفتتحها بسبع كلمات الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ثم يوصى بتقوى الله ويتكلم ثم يختم خطبته الأخيرة بهؤلاء الآيات يا عبادي الذين أسرفوا إلى تمامها وقال حاجب بن خليفة البرجمي شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة فقال في خطبته ألا إن ماسن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحباه فهو دين تأخذ به وتنتهي إليه وما سن سواهما فإنا نرجئه أسند جميع ما قدمته أبو نعيم في الحلية وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولون تقبل الله منا ومنك

يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم قلت هذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر وأخرج عن جعونة قال ولى عمر بن عبد العزيز عمرو بن قيس السكوني الصائفة فقال أقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ولا تكن في أولهم فتقتل ولا في آخرهم فتفشل ولكن كن وسطا حيث يرى مكانك ويسمع صوتك وأخرج عن السائب بن محمد قال كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فكتب إليه عمر أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فقد كذبت بل يصلحهم العدل والحق فأبسط ذلك فيهم والسلام وأخرج عن أمية بن زيد القرشي قال كان عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب فأذكر أن في الكتاب مكتوبا أتق غضبه الملك الشاب فأرفق به حتى يذهب غضبه فيقول لي بعد ذلك لا يمنعك يا صالح ما ترى منا أن تراجعنا في الأمر إذا رأيته وأخرج عن صالح بن جبير قال ربما كلمت عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب فأذكر أن في الكتاب مكتوبا أتق غضبه الملك الشاب فأرفق به حتى يذهب غضبه فيقول لي بعد ذلك لا يمنعك يا صالح ماترى منا أن تراجعنا في الأمر إذا رأيته وأخرج عن عبد الحليم بن محمد المخزومي قال قدم جرير بن عطية بن الخطفي علي عمر بن عبد العزيز فذهب ليقول فنهاه عمر فقال إنما أذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذكره فقال % إن الذي أبتعث النبي محمدا % جعل الخلافة للأمير العادل % % رد المظالم حقها بيقينها % عن جورها وأقام ميل المائل %

% والله أنزل في القران فريضة % لابن السبيل وللفقير العائل % % إني لأرجو منك خيرا عاجلا % والنفس مغرمة بحب العاجل % فقال له عمر ما أجد لك في كتاب الله حقا قال بلى يا أمير المؤمنين إنني ابن سبيل فأمر له من خاصة ماله بخمسين دينارا وفي الطويريات أن جرير بن عثمان الرحبي دخل مع أبيه على عمر بن عبد العزيز فسأله عمر عن حال ابنه ثم قال له علمه الفقه الأكبر قال وما الفقه الأكبر قال القناعة وكف الأذى وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت بخ سألت عن أمر جسيم كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعد من العادين وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري أن عمر بن عبد العزيز كان يتوضأ مما مست النار حتى كان يتوضأ من السكر وأخرج عن وهيب أن عمر بن عبد العزيز قال من عد كلامه من عمله قل كلامه وقال الذهبي أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه فقال لقد كان ضالا فهديتني فقال عمر اللهم إن كان صادقا وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه فنفذت فيه دعوته فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر وقال غيره كان بنو أمية يسبون علي بن ابي طالب في الخطبة فلما ولى عمر ابن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه إن الله يأمر بالعدل

والإحسان الآية فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن وقال القالي في أماليه حدثنا أبو بكر بن الأنباري حدثنا أحمد بن عبيد قال قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته % أنه الفؤاد عن الصبا % وعن انقياد للهوى % % فلعمر ربك إن في % شيب المفارق والجلا % % لك واعظا لو كنت تتعظ اتعاظ ذوي النهى % % حتى متى لا ترعوى % وإلى متى وإلى متى % % ما بعد أن سميت كهلا واستلبت اسم الفتى % % بلى الشباب وأنت إن عمرت رهن للبلى % % وكفى بذلك زاجرا % للمرء عن غي كفى % % فائدة قال الثعالبي في لطائف المعارف كان عمر بن الخطاب أصلع وعثمان وعلي ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز ثم انقطع الصلع عن الخلفاء فائدة قال الزبير بن بكار قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز % بنت الخليفة والخليفة جدها % أخت الخلائف والخليفة زوجها % قال فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب إلى يومنا هذا غيرها قلت ولا يقال في غيرها هذا إلى يومنا هذا ذكر مرضه ووفاته قال أيوب قيل لعمر بن عبد العزيز لو أتيت المدينة

فإن مت دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار أحب إلي من أن يعلم الله مني أني أراني لذلك الموضع أهلا

وقال وليد بن هشام قيل لعمر في مرضه ألا نتداوى فقال لقد علمت الساعة التي سقيت فيها ولو كان شفائي أن أمسح شحمة أذني أو أوتى بطيب فأرفعه إلى أنفي ما فعلت وقال عبيد بن حسان لما احتضر عمر بن العزيز قال اخرجوا عني فقعد مسلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قال تلك الدار الآخرة الآية ثم هدأ الصوت فدخلوا فوجدوه قد قبض رضي الله عنه وقال هشام لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز قال الحسن البصري مات خير الناس وقال خالد الربعي إنا نجد في التوراة أن السموات والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا وقال يوسف بن ماهك بينا نحن نسوى التراب على قبر عمر بن عبدالعزيز إذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار وقال قتادة كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولي العهد من بعده بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى يزيد بن عبد الملك سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلا هو أما بعد فإني كتبت وأنادنف من وجعي وقد علمت أني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملي شيئا فإن رضى عني فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلى ما أصير أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته وإن يمن علي برضوانه والجنة فعليك بتقوى الله الرعية الرعية فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلا والسلام أسند هذا كله أبو نعيم في الحلية

توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدير سمعان بكسر السين من أعمال حمص لعشر بقين وقيل لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسم كانت بنو أمية قد تبرموا به لكونه شدد عليهم وأنتزع من أيديهم كثير مما غصبوه وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم قال مجاهد قال لي عمر بن عبد العزيز ما يقول الناس في قلت يقولون مسحور قال ما أنا بمسحور وإني لأعلم الساعة التي سقيت فيها ثم دعا غلاما له فقال له ويحك ما حملك على أن تسقيني السم قال ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق قال هاتها قال فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك أحد مات في أيامه من الإعلام أبو أمامة سعد بن سهل بن حنيف وخارجة ابن زيد بن ثابت وسالم بن أبي الجعد وبسر بن سعيد وابو عثمان النهدي وأبو الضحى وشهر بن حوشب الشامي وحنش بن عبد الله الصنعاني ومسلم ابن يسار البصري وعيسى بن طلحة بن عبد الله القرشي التيمي أحد أشراف قريش وعقلائها وعلمائها يزيد بن عبد الملك بن مروان يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو خالد الأموي الدمشقي ولد سنة إحدى وسبعين وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان كما تقدم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما ولى يزيد قال سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب وقال ابن الماجشون لما مات عمر بن عبد العزيز قال يزيد والله ما عمر

بأحوج إلى الله مني فأقام أربعين يوما يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز ثم عدل عن ذلك وقال سليم بن بشير كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك حين أحتضر سلام عليك أما بعد فإني لا أراني إلا لمابي فالله الله في أمة محمد فإنك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتقضي إلى من لا يعذرك والسلام وفي سنة اثنتين خرج يزيد بن المهلب على الخلافه فوجه إليه مسلمة بن عبد الملك ابن مروان فهزم يزيد وقتل وذلك بالعقير موضع بقرب كربلاء قال الكلبي نشأت وهم يقولون ضحى بنو أمية يوم كربلاء بالدين ويوم العقير بالكرم مات يزيد في أواخر شعبان سنة خمس ومائة وممن مات في خلافته من الأعلام الضحاك بن مزاحم وعدي بن أرطاة وأبو المتوكل الناجي وعطاء بن يسار ومجاهد ويحيى بن وثاب مقرىء الكوفة وخالد بن معدان والشعبي عالم العراق وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وأبو قلابة الجرمي وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري وآخرون هشام بن عبد الملك هشام بن عبد الملك أبو الوليد ولد سنة نيف وسبعين واستخلف بعهد من أخيه يزيد قال مصعب الزبيري رأىعبد الملك في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات فسأل سعيد بن المسيب فقال يملك من ولده لصلبه أربعة فكان آخرهم هشام وكان هشام حازما عاقلا كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه ولقد أعطى لكل ذي حق حقه وقال الأصمعي أسمع رجل مرة هشاما كلاما فقال له يا هذا ليس لك أن تسمع خليفتك قال وغضب

مرة على رجل فقال والله لقد هممت أن أضربك سوطا

وقال سحبل بن محمد ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام وعن هشام أنه قال ما بقي شيء من لذات الدنيا إلا وقد نلته إلا شيئا واحدا أخا أرفع مؤنة التحفظ فيما بيني وبينه وقال الشافعي لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوما لا يأتيه فيه غم فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فأوصلت إليه فقال ولا يوما واحدا وقيل إن هذا البيت له ولم يحفظ له سواه % إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى % إلى بعض ما فيه عليك مقال % مات في ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وفي سنة سبع من أيامه فتحت قيصرية الروم بالسيف وفي سنة ثمان فتحت خنجرة

% على يد البطال الشجاع

2 % المشهور وفي سنة أثنتي عشرة فتحت خرشنة في ناحية ملطية وممن مات في أيامه من الأعلام سالم بن عبد الله بن عمر وطاوس وسليمان ابن يسار وعكرمة مولى ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وكثير عزة الشاعر ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبو الطفيل عامر بن وائلة الصحابي آخرهم موتا وجرير والفرزدق وعطية العوفي ومعاوية بن قرة ومكحول وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر الباقر ووهب بن منبه وسكينة بنت الحسين والأعرج وقتادة ونافع مولى ابن عمر وابن عامر مقرىء الشام وابن كثير مقرىء مكة وثابت البناني ومالك بن دينار وابن محيصن المقرىء وابن شهاب الزهري وخلائق آخرون ومن أخبار هشام أخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال اراد هشام ابن عبد الملك أن يوليني خراج مصر فأبيت فغضب حتى اختلج وجهه وكان في

عينيه الحول فنظر إلى نظر منكر وقال لتلين طائعا أو لتلين كارها فأسكت عن الكلام حتى سكن غضبه فقلت يا أمير المؤمنين أتكلم قال نعم قلت إن الله قال في كتابه العزيز إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها الآية فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أبين ولا أكرههن إذ كرهن وما أنا بحقيق أن تغضب على إذ أبيت وتكرهني إذا كرهت فضحك وأعفاني وأخرج عن خالد بن صفوان قال وفدت على هشام بن عبد الملك فقال هات يا ابن صفوان قلت إن ملكا من الملوك خرج متنزها إلى الخورنق وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة فنظر وقال لجلسائه لمن هذا قالوا للملك قال فهل رأيتم أحدا أعطى مثل ما أعطيت وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة فقال إنك قد سألت عن أمر افتأذن لي بالجواب قال نعم قال أرأيت ما أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثا وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك قال كذا هو قال فتعجب بشيء يسير لاتكون فيه إلا قليلا وتنقل عنه طويلا فيكون عليك حسابا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب وأخذته قشعريرة قال إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بماساءك وسرك وإما أن تنخلع من ملكك وتضع تاجك وتلقى عنك أطمارك وتعبد ربك قال إني مفكر الليل وأوافيك السحر فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال إني أخترت هذا الجبل وفلوات الأرض وقد لبست على أمساحي فإن كنت لي رفيقا لا تخالف فلزما الجبل حتساتا وفيه يقول عدي بن زيد العبادي

% أيها الشامت المعير بالدهر % أأنت المبرأ الموفور % % أم لديك

العهد الوثيق من الأيام % بل أنت جاهل ومغرور % % من رأيت المنون خلدن أم من % ذا عليه من أن يضام خفير % % أين كسرى كسرى الملوك أبوسا % سان أم أين قبله سابور %

% وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور % % وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبي إليه والخابور % % شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور % % لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور % % وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدي تذكير % % سره ماله وكثرة مايملك والبحر معرض والدير % % فارعوي قلبه وقال وما غبطة حي إلى الممات يصير % % ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهم هناك القبور % % ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور % قال فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وأمر بابنتيه وطى فرشه ولزم قصره فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان وقالوا ما أردت إلى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته فقال إليكم عني فإني عاهدت الله أن لا أخلو بملك إلا ذكرته الله تعالى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن

مروان بن الحكم الخليفة الفاسق أبو العباس ولد سنة تسعين فلما احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي فعقد لأخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام فتسلم الأمر عند موت هشام في ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة وكان فاسقا شريبا للخمر منتهكا حرمات الله أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه وخرجوا عليه فقتل في جمادى الاخر سنة ست وعشرين وعنه أنه لما حوصر قال ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع عنكم المؤن ألم أعط فقراءكم فقالوا ما ننقم عليك في أنفسنا لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات اولاد أبيك واستخفافك بأمر الله ولما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح فنظر إليه

أخوه سليمان بن يزيد فقال بعدا له أشهد أنه كان شروبا للخمر ما جنا فاساقا ولقد راودني على نفسي وقال المعافي الجريري جمعت شيئا من أخبار الوليد ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسخافته وما صرح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله وقال الذهبي لم يصح عن الوليد كفر ولازندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك وذكر الوليد مرة عند المهدي فقال رجل كان زنديقا المهدي مه خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق وقال مروان بن أبي حفصة كان الوليد من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وقيل أبو الزناد كان الزهري يقدح أبدا عند هشام في الوليد ويعيبه ويقول ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ولو بقي الزهري إلى أن يملك الوليد لفتك به وقال الضحاك بن عثمان أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده فقال الوليد % كفرت يدا من منعم لو شكرتها % جزاك بها الرحمن بالفضل والمن

% % رأيتك تبنى جاهدا في قطيعتي % ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

% % أراك على الباقين تجنى ضغينة % فيا ويحهم إن مت من شر ما تجنى % % كأني بهم يوما وأكثر قيلهم % ألا ليت أنا حين ياليت لا تغني % وقال حماد الراوية كنت يوما عند الوليد فدخل عليه منجمان فقالا نظرنا فيما أمرتنا فوجدناك تملك سبع سنين قال حماد فأردت أن أخدعه فقلت كذبا ونحن أعلم بالآثار وضروب العلم وقد نظرنا في هذا فوجدناك تملك أربعين سنة فأطرق ثم قال لا ما قالا يكسرني ولا ما قلت يغرني والله لأجبين المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت الغد وقد ورد في مسند أحمد حديث ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه

وقال ابن فضل في الله المسالك الوليد بن يزيد الجبار العنيد لقبا ما عداه ولقما
سلكه فما هداه فرعون ذلك العصر الذاهب والدهر المملوء بالمعائب يأتي

يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار ويرديهم العار وبئس الورد المورود والمورد المردى في ذلك الموقف المشهود رشق المصحف بالسهام وفسق ولم يخف الآثام وأخرج الصولى عن سعيد بن سليم قال أنشد ابن ميادة الوليد بن يزيد شعره الذي يقول فيه % فضلتم قريشا غيرآل محمد % وغير بني مروان أهل الفضائل % فقال له الوليد أراك قد قدمت علينا آل محمد فقال ابن ميادة ما أراه يجوز غير ذلك وابن ميادة هذا هو القائل في الوليد ايضا من قصيدة طويلة % هممت بقول صادق أن أقوله % وإني على رغم العداة لقائله % % رأيت الوليد بن اليزيد مباركا % شديدا بأعباء الخلافة كاهله % يزيد الناقص أبو خالد بن الوليد يزيد الناقص أبو خالد بن الوليد بن عبد الملك لقب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم وثب على الخلافة وقتل ابن عمه الوليد وتملك وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد وأم فيروز بنت شيرويه بن كسرى وأم شيرويه بنت خاقان ملك الترك وأم أم فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلهذا قال يزيد يفتخر % أنا ابن كسرى وأبي مروان % وقيصر جدي وجدي خاقان % قال الثعالبي أعرق الناس في الملك والخلافة من طرفيه ولما قتل يزيد الوليد قام خطيبا فقال أما بعد إني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا طمعا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة في الملك وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ولكن خرجت غضبالله ولدينه وداعيا إلى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

حين درست معالم الهدى وطفى نور أهل التقوى وظهر الجبار المستحل الحرمة والراكب البدعة فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم واشفقت أن يدعو كثيرا من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه فأستخرت الله في امري

ودعوت من أجابني من أهلي وأهل ولايتي فأراح الله منه البلادوالعباد ولاية من الله ولاحول ولا قوة إلا بالله أيها الناس إن لكم عندي إن وليت أموركم أن لا أضع لبنة على لبنة ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد حتى أسد ثغره وأقسم بين مصالحه ما تقوون به فإن فضل فضل رددته إلى البلد الذي بليه حتى تستقيم المعيشة وتكونوا فيه سواء فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم وإن ملت فلا بيعة لي عليكم وإن رأيتم أحدا أقوى مني عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته وأستغفر الله لي ولكم وقال عثمان بن أبي العاتكة أول من خرج بالسلاح في العيدين يزيد بن الوليد خرج يومئذ بين من صفين من الخيل عليهم السلاح من باب الحصن إلى المصلى وعن أبي عثمان الليثي قال يزيد الناقص يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي رحمه الله يقول لما ولى يزيد بن الوليد دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان ولم يمتنع يزيد بالخلافة بل مات من عامه في سابع ذي الحجة فكانت خلافته ستة اشهر ناقصة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وقيل ستا وأربعين سنة ويقال إنه مات بالطاعون ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو إسحاق بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص فقيل إنه عهد إليه وقيل لا قال برد بن سنان حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر فآناه قطن فقال

أنا رسول من وراء بابك يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم فغضب فقال أنا أولى بإبراهيم ثم قال يا ابا العلاء إلى من ترى أعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فيه فلا أشير عليك في آخره قال وأغمى عليه حتى حسبته قد مات فقعد قطن فافتعل كتابا بالعهد على لسان يزيد ودعا ناسا فاستشهدهم عليه ولا والله ما عهد يزيد شيئا ومكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة ثم خلع خرج عليه مروان بن محمد وبويع فهرب إبراهيم ثم جاء وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى مروان وبايع طائعا وعاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة أثنتين وثلاثين فقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح وفي تاريخ ابن عساكر سمع إبراهيم من الزهري وحكى عن عمه هشام وحكى عنه ابنه يعقوب وأمه أم ولد وهو أخو مروان الحمار لأمه وكان خلعه يوم الأثنين لأربع عشرة خلت من صفر سنةسبع وعشرين ومائة وقال المدائني لم يتم لإبراهيم أمر كان قوم يسلمون عليه بالخلافة وقوم يسلمون عليه بالإمرة وأبى قوم أن يبايعوا له وقال بعض شعرائهم % نبايع إبراهيم في كل جمعة % إلا أن أمرا أنت واليه ضائع % وقال غيره كان نقش خاتم إبراهيم إبراهيم يثق بالله مروان الحمار مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية أبو عبد الملك بن محمد بن مروان ابن الحكم ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم وبالحمار لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان

أصبر من حمار في الحروب فلذلك لقب به وقيل لأن العرب تسمي كل مائة سنة حمارا فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك ولد مروان بالجزيرة وأبوه متوليها سنة أثنتين وسبعين وأمه أم ولد وولى قبل الخلافة ولايات جليلة وافتتح قونية سنة خمس ومائة وكان مشهورا بالفروسية والإقدام والرجلة والدهاء والعسف فلما قتل الوليد وبلغه ذلك وهو على أرمينية دعا إلى بيعة من رضي المسلمون فبايعوه فلما بلغه موت يزيد أنفق الخزائن وسار فحارب إبراهيم فهزمه وبويع مروان وذلك في نصف صفر سنة سبع وعشرين واستوثق له الأمر فأول ما فعل أمر بنبش يزيد الناقص فأخرجه من قبره وصلبه لكونه قتل الوليد ثم أنه لم يتهن بالخلافة لكثرة من خرج عليه منكل جانب إلى سنة اثنتين وثلاثين فخرج عليه بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح فسار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع إلى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان إلى مصر فتبعه صالح أخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة مات في أيامه من الأعلام السدي الكبير ومالك بن دينار الزاهد وعاصم بن ابي النجود المقري ويزيد بن ابي حبيب وشيبة بن نصاح المقري ومحمد بن المنكدر وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرىء المدينة وأبو أيوب السختياني وأبو الزناد وهمام بن منبه وواصل بن عطاء المعتزلي وأخرج الصولي عن محمد بن صالح قال لما قتل مروان الحمار قطع رأسه ووجه به إلى عبد الله بن علي فنظر إليه وغفل فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضعه فقال عبد الله بن علي لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك

السفاح أول خلفاء بني العباس السفاح أول خلفاء بني العباس أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ولد سنة ثمان ومائة وقيل سنة أربع بالحميمة من ناحية البلقاء ونشأ بها وبويع بالكوفة وأمه ريطة الحارثية حدث عن أخيه إبراهيم بن محمد الإمام وروى عنه عمه عيسى بن علي وكان أصغر من أخيه المنصور أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يقال له السفاح فيكون إعطاؤه المال حثيا وقال عبيد الله العيشي قال أبي سمعت الأشياخ يقولون والله لقد أفضت الخلافة إلى بني العباس وما في الأرض أحد أكثر قارئا للقرآن ولا أفضل عابدا ولا ناسكا منهم قال ابن جرير الطبري كان بدء أمر بني العباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك وعن رشدين بن كريب أن ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية خرج إلى الشام فلقي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال يا ابن عم إن عندي علما أريد أن انبذه إليك فلا تطلعن عليه أحدا إن هذا الأمر الذي ترتجيه الناس فيكم قال قد علمته فلا يسمعنه منك أحد وروى المدائني عن جماعة أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال لنا ثلاثة أوقات موت يزيد بن معاوية ورأس المائة وفتق بإفريقية

فعند ذلك تدعولنا دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ونفضت البربر بعث محمد الإمام رجلا إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسمى أحدا ثم وجه ابا مسلم الخراساني وغيره وكتب إلى النقباء فقبلوا كتبه ثم لم ينشب

أن مات محمد فعهد إلى أبنه إبراهيم فبلغ خبره مروان فسجنه ثم قتله

فعهد إلى أخيه عبد الله وهو السفاح فاجتمع إليه شيعتهم وبويع بالخلافة بالكوفة في ثالث ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وصلى بالناس الجمعة وقال في الخطبة الحمد لله الذي اصطفى الإسلام

لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه

وحصنه والقوام به والذابين عنه ثم ذكر قرابتهم في آيات القرآن إلى أن قال فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان فجاروا واستأثروا فأملى الله لهم حينا حتى آسفوه فانتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا لم تفتروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدت في أعطياتكم مائة مائة فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والتأثر المبير وكان عيسى بن علي إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة يقول إن أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا لعظيمة همهم شديدة قلوبهم ولما بلغ مروان مبايعة السفاح خرج لقتاله فانكسر كما تقدم ثم قتل وقتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم مالا يحصى من الخلائق وتوطدت له الممالك إلى أقصى المغرب قال الذهبي بدولته تفرقت الجماعة وخرج عن الطاعة ما بين تاهرت

وطبنة إلى بلاد السودان وجميع مملكة الأندلس وخرج بهذه البلاد من تغلب عليها واستمر ذلك مات السفاح بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان قد عهد إلى أخيه أبي جعفر وكان في سنة أربع وثلاثين قد انتقل إلا الأنبار وصيرها دار الخلافة ومن أخبار السفاح قال الصولي من كلامه إذا عظمت القدرة قلت الشهوة وقل تبرع إلا معه حق مضاع وقال إن من أدنياء الناس ووضعائهم من عد البخل حزما والحلم ذلا وقال إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة والصبر حسن إلا على ما أوقع الدين وأوهن السلطان والإناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة قال الصولي وكان السفاح أسخى الناس ما وعد عدة فأخرها عن وقتها ولا قام من مجلسه حتى يقضيه وقال له عبد الله بن حسن مرة سمعت بألف ألف درهم وما رأيتها قط فأمر بها فأحضرت وأمر بحملها معه إلى منزله قال وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وقل ما يروى له من الشعر وقال سعيد بن مسلم الباهلي دخل عبد الله بن حسن على السفاح مرة والمجلس غاص ببني هاشم والشيعة ووجه الناس ومعه مصحف فقال يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف قال له إن عليا جدك كان خيرا مني وأعدل ولى هذا الأمر أفأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيرا منك شيئا وكان الواجب أن أعطيك مثله فإن كنت

فعلت فقد أنصفتك وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك فانصرف ولم يحر جوابا وعجب الناس من جواب السفاح قال المؤرخون في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب

من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثم الأتراك وصارت لهم دولة عظيمة وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر قالوا وكان السفاح سريعا إلى سفك الدماء فأتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب وكان مع ذلك جوادا بالمال مات في أيامه من الأعلام زيد بن أسلم وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وربيعة الرأي فقيه أهل المدينة وعبد الملك بن عمير ويحيى بن أبي إسحاق الحضرمي وعبد الحميد الكاتب المشهور قتل بيوصير مع مروان ومنصور ابن المعتمر وهمام بن منبه المنصور أبو جعفر عبد الله المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمه سلامة البربرية أم ولد ولد سنة خمس وتسعين وأدرك جده ولم يرو عنه وروى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وبويع بالخلافة بعهد من أخيه وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا جماعا للمال تاركا اللهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب أبا حنيفة رحمه الله على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وقيل إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه وكان فصيحا بليغا مفوها خليقا للإمارة وكان غاية في الحرص والبخل فلقب أبا الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات أخرج الخطيب عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي

قال الذهبي منكر منقطع وأخرج الخطيب وابن عساكر وغيرهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي قال الذهبي إسناده صالح وأخرج ابن عساكر من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عن محمد بن جابر عن الأعمش عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي فأما القائم فتأتيه الخلافة ولم يهرق فيها محجمة من دم وأما المنصور فلا ترد له رأية وأما السفاح فهو يسفح المال والدم وأما المهدي فيملؤها عدلا كما ملئت ظلما وعن المنصور قال رأيت كأني في الحرم وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكعبة وبابها مفتوح فنادى مناد أين عبد الله فقام أخي أبو العباس حتى صار على الدرجة فأدخل فما لبث أن خرج ومعه قناة عليها لواء أسود قدر أربعة أذرع ثم نودي أين عبد الله فقمت على الدرجة فأصعدت وإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر وبلال فعقد لي وأوصاني بأمته وعممني بعمامة فكان كورها ثلاثة وعشرين وقال خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة تولى المنصور الخلافة في أول سنة سبع وثلاثين ومائة فأول ما فعل أن قتل أبا مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم وفي سنة ثمان وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الأموي إلى الأندلس

واستولى عليها وامتدت أيامه وبقيت الأندلس في يد أولاده إلى بعد

الأربعمائة وكان عبد الرحمن هذا من أهل العلم والعدل وأمه بربرية قال أبو المظفر الأبيوردي فكانوا يقولون ملك الدنيا ابنا بربريتين المنصور وعبد الرحمن بن معاوية

وفي سنة أربعين شرع في بناء مدينة بغداد وفي سنة إحدى وأربعين كان ظهور الراوندية

القائلين بالتناسخ قتلهم المنصور وفيها فتحت طبرستان

قال الذهبي في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن إسحاق المغازي وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة وفي سنة خمس وأربعين كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن ابي

طالب فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من آل البيت فإنا لله وإنا اليه راجعون وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيئا واحدا وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك منهم أبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس رحمه الله وقيل له إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين وفي سنة ست وأربعين كانت غزوة قبرس وفي سنة سبع وأربعين خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد إلى ولده المهدي

وفي سنة ثمان وأربعين توطدت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في النفوس ودانت له الأمصار ولم يبق خارجا عنه سوى جزيرة الأندلس فقط فإنها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني لكنه لم يتلقب بأمير المؤمنين بل بالأمير فقط وكذلك بنوه وفي سنة تسع وأربعين فرغ من بناء بغداد وفي سنة خمسين خرجت الجيوش الخراسانية عن الطاعة مع الأمير استاذسيس
واستولى على أكثر مدن خراسان وعظم الخطب واستفحل الشر واشتد على
المنصور الأمر وبلغ ضريبة الجيش الخراساني ثلثمائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل فعمل معهم أجشم المروزي مصافا فقتل أجشم واستبيح عسكره فتجهز لحربهم خازم بن خزيمة
في جيش عرمرم يسد الفضاء فالتقى الجمعان وصبر الفريقان وكانت وقعة
مشهورة يقال قتل فيها سبعون ألفا وانهزم استاذسيس فالتجأ إلى جبل وأمر الأمير خازم في العام الآتي بالأسرى فضربت أعناقهم وكانوا أربعة عشر ألفا ثم حاصروا استاذسيس مدة ثم سلم نفسه فقيدوه وأطلقوا أجناده وكان عددهم ثلاثين ألفا انتهى وفي سنة أحدى وخمسين بني الرصافة وشيدها وفي سنة ثلاث وخمسين ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال فكانوا يعلمونها بالقصب والورق ويلبسونها السواد فقال أبو دلامة % وكنا نرجى من إمام زيادة % فزاد الإمام المصطفى في القلانس % % تراها على هام الرجال كأنها % دنان يهود جللت بالبرانس % وفي سنة ثمان وخمسين أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير فحبسا وتخوف الناس أن يقتلهما المنصور إذا ورد الحج فلم يوصله الله مكة سالما بل قدم مريضا ومات وكفاهما الله شره وكانت وفاته بالبطن

في ذي الحجة ودفن بين الحجون وبين بئر ميمون وقال سلم الخاسر % قفل الحجيج وخلفوا ابن محمد % رهنا بمكة في الضريح الملحد % % شهدوا المناسك كلها وإمامهم % تحت الصفائح محرما لم يشهد % ومن أخبار المنصور أخرج ابن عساكر بسنده أن أبا جعفر المنصور كان يرحل في طلب العلم قبل الخلافة فبينا هو يدخل منزلا من المنازل قبض عليه صاحب الرصد فقال زن درهمين قبل أن تدخل قال خل عني فإني رجل من بني هاشم قال زن درهمين فقال خل عني فإني من بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زن درهمين قال خل عني فإني رجل قارىء لكتاب الله قال زن درهمين قال خل عني فإني رجل عالم بالفقه والفرائض قال زن درهمين فلما أعياه أمره وزن الدرهمين فرجع ولزم جمع المال والتدنق فيه حتى لقب بأبي الدوانيق وأخرج عن الربيع بن يونس الحاجب قال سمعت المنصور يقول الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والملوك أربعة معاوية وعبد الملك وهشام وأنا وأخرج عن مالك بن أنس قال دخلت على أبي جعفر المنصور فقال من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أبو بكر وعمر قال أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين وأخرج عن إسماعيل الفهري قال سمعت المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة يقول في خطبته أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله عليه قفلا إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقول اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا % أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والاحسان إليكم ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل فإنه سميع مجيب

وأخرجه الصولي وزاد في أوله أن سبب هذه الخطبة أن الناس بخلوه وزاد في آخره فقال بعض الناس أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه وأخرج عن الأصمعي وغيره أن المنصور صعد المنبر فقال الحمد لله أحمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أذكر من أنت في ذكره فقال مرحبا مرحبا لقد ذكرت جليلا وخوفت عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت بها وإنما أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر فاهون بها من قائلها واهتبلها من الله ويلك إني قد غفرتها وإياكم معشر الناس وأمثالها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فعاد إلى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس وأخرج من طرق أن المنصور قال لابنه المهدي يا أبا عبد الله الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه وقال لا تبر من أمرا حتى تفكر فيه فإن فكرة العاقل مرآته تريه قبيحة وحسنه وقال أي بني استدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع والرحمة للناس وأخرج عن مبارك بن فضالة قال كنا عند المنصور فدعا برجل ودعا بالسيف فقال المبارك يا أمير المؤمنين سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة قام مناد من عند الله ينادي ليقم الذين أجرهم على الله فلا يقوم إلا من عفا فقال المنصور خلوا سبيله وأخرج عن الأصمعي قال أتى المنصور برجل يعاقبه فقال يا أمير المؤمنين

الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ ارفع الدرجتين فعفا عنه وأخرج عن الأصمعي قال لقى المنصور اعرابيا بالشام فقال أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت قال إن الله لا يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولا يتكم والطاعون وأخرج عن محمد بن منصور البغدادي قال قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده فأفحم المنصور وأمر له بمال فقال لو احتجت إلى مالك ما وعظتك وأخرج عن عبد السلام بن حرب أن المنصور بعث إلى عمرو بن عبيد فجاءه فأمر له بمال فأبى أن يقبله فقال المنصور والله لتقبلنه فقال والله لا أقبله فقال له المهدي قد حلف أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين أقوى على كفارة اليمين من عمك فقال له المنصور سل حاجتك قال أسألك أن لا تدعوني حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك فقال علمت أني جعلت هذا ولي عهدي فقال يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول وأخرج عن عبد الله بن صالح قال كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلى القائد فكتب إليه سوار إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر فلست أخرجها من يده إلا ببينة فكتب إليه المنصور والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد فكتب إليه سوار والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق فلما جاءه الكتاب قال ملأتها والله عدلا وصار قضاتي تردني إلى الحق وأخرج من وجه آخر أن المنصور وشيء إليه بسوار فاستقدمه فعطس

المنصور فلم يشمته سوار فقال ما يمنعك من التشميت قال لأنك لم تحمد الله فقال قد حمدت الله في نفسي قال شمتك في نفسي قال ارجع إلى عملك فإنك إذ لم تحابيني لم تحاب غيري وأخرج عن نمير المدني قال قدم المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه وأنا كاتبه فاستعدى الجمالون على المنصور في شيء فأمرني أن أكتب اليه بالحضور وإنصافهم فاستعفيت فلم يعفني فكتبت الكتاب ثم ختمته وقال والله لا يمضي به غيرك فمضتيت به إلى الربيع فدخل عليه ثم خرج فقال للناس إن أمير المؤمنين يقول لكم إني قد دعيت إلى مجلس الحكم فلا يقومن معي أحد ثم جاء هو والربيع فلم يقم له القاضي بل حل رداءه واجتبى به ثم دعا بالخصوم فادعوا فقضى لهم على الخليفة فلما فرغ قال له المنصور جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار وأخرج عن محمد بن حفص العجلي قال ولد لأبي دلامة ابنة فغدا على المنصور فأخبره وأنشد % لو كان يقعد فوق الشمس من كرم % قول لقيل اقعدوا يا آل عباس % % ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم % إلى السماء فأنتم أكرم الناس % ثم أخرج أبو دلامة خريطة فقال المنصور ما هذه قال اجعل فيها ما تأمر لي به فقال أملؤها له دراهم فوسعت ألفي درهم وأخرج عن محمد بن سلام الجمحي قال قيل للمنصور هل بقي من لذات الدنيا

شيء لم تنله قال بقيت خصلة أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث يقول المستملى من ذكرت رحمك الله قال فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم

المشققة أرجلهم الطويلة شعورهم برد الآفاق ونقله الحديث وأخرج عن عبد الصمد بن علي أنه قال للمنصور لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو قال لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة اليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدروهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة وأخرج عن يونس بن حبيب قال كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه وأبلغ في كتابه فوقع المنصور في القصة إن الغني والبلاغة إذا اجتمعنا في رجل أبطرتاه وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة وأخرج عن محمد بن سلام قال رأت جارية المنصور قميصه مرقوعا فقالت خليفة وقميصه مرقوع فقال ويحك أماسمعت قول ابن هرمة % قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه % خلق وجيب قميصه مرقوع % وقال العسكري في الأوائل كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله رأى بعضهم عليه قميصا مرقوعا فقال سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في ملكه وحدا به سلم الحادي فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة فأجازه بنصف درهم فقال لقد حدوت بهشام فأجازني بعشرة آلاف فقال ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال يا ربيع وكل به من يقبضها منه فما زالوا به حتى تركه على أن يحدو به ذهابا وإيابا بغير شيء وفي كتاب الأوائل للعسكري كان ابن هرمة شديد الرغبة في الخمر فدخل على المنصور فأنشده % له لحظات من خفا في سرية % إذا كرها فيها عقاب ونائل % % فأم الذي أمنت آمنة الردى % وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل %

فأعجب به المنصور وقال ما حاجتك قال تكتب إلى عاملك بالمدينة أن لا يحدني إذا وجدني سكران فقال لا أعطل حدا من حدود الله قال تحتال لي فكتب إلى عامله من أتاك بابن هرمة سكران فأجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين فكان العون إذا مر به وهو سكران يقول من يشتري مائة بثمانين ويتركه ويمضي قال وأعطاه المنصور في هذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له يا إبراهيم احتفظ بها فليس لك عندنا مثلها فقال إني ألقاك على الصراط بها بختمة الجهبذ ومن شعر المنصور وشعره قليل % إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة % فإن فساد الرأي أن تترددا % % ولا تمهل الأعداء يوما بقدرة % وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا % وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور قبل الخلافة فأدخلني منزله فقدم إلطعاما لا لحم فيه ثم قال يا جارية عندك حلواء قالت لا قال ولا النمر قالت لا فاستلقى وقرأ عسى ربكم أن يهلك عدوك % الآية فلما ولى الخلافة وفدت إليه فقال كيف سلطاني من سلطان بني أمية قلت ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئا إلا رأيته في سلطانك فقال إنا لا نجد الأعوان قلت قال عمر بن عبد العزيز إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها فإن كان برا أتوه ببرهم وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم فأطرق ومن كلام المنصور الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة خلال إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك أسنده الصولي وقال إذا مد عدوك إليك يده فاقطعها إن أمكنك وإلا فقبلها أسنده أيضا وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال مما يؤثر من ذكاء المنصور أنه

دخل المدينة فقال للربيع أطلب لي رجلا يعرفني دور الناس فجاءه رجل فجعل يعرفه الدور إلا أنه لا يبتدىء به حتى يسأله المنصور فلما فارقه أمر له بألف درهم فطالب الرجل الربيع بها فقال ما قال لي شيئا وسيركب فذكره فركب مرة أخرى فجعل يعرفه ولا يرى موضعا للكلام فلما أراد أن يفارقه قال الرجل مبتدئا وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأخوص % يا بيت عاتكة الذي أتعزل % حذر العدي بك الفؤاد موكل

% فأنكر المنصور ابتداءه فأمر القصيدة على قلبه فإذا فيها %

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم % مذق اللسان يقول مالا يفعل % فضحك وقال ويلك يا ربيع أعطه ألف درهم وأنسد الصولي عن إسحاق الموصلي قال لم يكن المنصور يظهر لندمائه بشرب ولاغناء بل يجلس وبنيه وبين الندماء ستارة وبينهم وبينها عشرون ذراعا وبينهما وبينه كذلك وأول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس المهدي وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال قال المنصور لقثم بن العباس

ابن عبد الله بن العباس وكان عامله على اليمامة والبحرين ما القثم ومن أي شيء أخذ فقال لا أدري فقال اسمك اسم هاشمي لا تعرفه أنت والله جاهل قال فإن رأي أمير المؤمنين أن يفيدنيه قال القثم الذي ينزل بعد الأكل % ويقثم الأشياء يأخذها ويثلمها

روى أن المنصور ألح عليه ذباب فطلب مقاتل بن سليمان فسأله لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبارين وقال محمد بن علي الخراساني المنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة وإقليدس وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال

وقدمهم علىالعرب وكثر ذلك بعده حتىزالت رئاسة العرب وقيادتها وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي وكان قبل ذلك أمرهم واحدا أحاديث من رواية المنصور قال الصولي كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب مشهورا بطلبه قال ابن عساكر في تاريخ دمشق حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي حدثنا أبو محمد الجوهري حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الشخير حدثنا أحمد بن إسحاق أبو بكر الملحمي حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الأنطرطوشي حدثني محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقال الصولي حدثنا محمد بن زكريا اللؤلؤي حدثنا جهم بن السباق الرياحي حدثني بشر بن المفضل سمعت الرشيد يقول سمعت المهدي يقول سمعت المنصور يقول حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تأخر عنها هلك وقال الصولي حدثنا محمد بن موسى حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا أبو سفيان الحميري سمعت المهدي يقول حدثني أبي عن أبيه عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا أميرا وفرضنا له فرضا فما أصاب من شيء فهو غلول وقال الصولي حدثنا جبلة بن محمد حدثنا أبي عن يحيى بن حمزة الحضرمي عن أبيه قال ولأبي المهدي القضاء فقال اصلب في الحكم فإن أبي حدثني عن أبيه عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر أن ينصره فلم يفعل وقال الصولي حدثنا محمد بن العباس ابن الفرج حدثني أبي عن الأصمعي حدثني جعفر بن سليمان عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وقال الصولي حدثنا أبو إسحاق

محمد بن هرون بن عيسى حدثناالحسن بن عبيد الله الحصبي حدثنا إبراهيم ابن سعيد حدثني المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن ابيه عن جده عن ابن عباس قال سمعت علي بن أبي طالب يقول لا تسافروا في محاق الشهر ولا إذا كان القمر في العقرب مات في أيام المنصور من الأعلام ابن المقفع وسهيل بن أبي صالح والعلاء ابن عبد الرحمن وخالد بن يزيد المصري الفقيه وداود بن أبي هند وأبو حازم سلمة بن دينار الأعرج وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ويونس بن عبيد وسليمان الأحول وموسى بن عقبة صاحب المغازي وعمرو بن عبيد المعتزلي ويحيى بن سعيد الأنصاري والكلبي وأبو إسحاق وجعفر بن محمد الصادق والأعمش شبل بن عباد مقرىء مكة ومحمد بن عجلان المعدني الفقيه ومحمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى وابن جريج وأبو حنيفة وحجاج بن أرطأة وحماد الراوية ورؤية الشاعر والجريري وسليمان التميمي وعاصم الأحول وابن شبرمة الضبي ومقاتل بن حبان ومقاتل بن سليمان وهاشم بن عروة وأبو عمرو بن العلاء وأشعب الطماع وحمزة بن حبيب الزيات والأوزاعي وخلائق آخرون المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد بأيذج سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة ست وعشرين وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية وكان جوادا ممدحا مليح الشكل محببا إلى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين روي الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة حدث عنه يحيى بن حمزة وجعفر بن سليمان الضبعي ومحمد بن عبد الله الرقاشي

وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحميري قال الذهبي وما علمت قيل فيه جرحا ولا تعديلا وأخرج ابن عدي من حديث عثمان مرفوعا المهدي من ولد العباس عمي تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم وكان يضع الحديث وأورد الذهبي هنا حديث ابن مسعود مرفوعا

المهدي بواطىء أسمه واسمي واسم أبيه اسم أبي أخرجه أبو داود والترمذي وصححه ولما شب المهدي أمره أبوه علىطبرستان وما والاها وتأدب وجالس العلماء وتميز ثم إن أباه عهد إليه فلما مات بويع بالخلافة ووصل الخبر إليه ببغداد فخطب الناس فقال إن أمير المؤمنين عبد دعى فأجاب وأمر فأطاع واغرورقت عيناه فقال قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة ولقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على خلافة المسلمين أيها الناس اسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا نحبكم العافية وتحمدوا العاقبة واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم وطوى الإصر عنكم وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدما ذلك والله لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم قال نفطويه لما حصلت الخزائن في يد المهدي أخذ في رد المظالم فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه وقال غيره أول من هنأ المهدي بالخلافة وعزاه بأبيه أبو دلامة فقال % عيناي واحدة ترى مسرورة % بأميرها جذلى وأخرى تذرف % % تبكي وتضحك تارة ويسوؤها % ما أنكرت ويسرها ما تعرف % % فيسوؤها موت الخليفة محرما % ويسرها أن قام هذا الأرأف % % ما إن رأيت كما رأيت ولا أرى % شعرا أسرحه وآخر ينتف % % هلك الخليفة بالدين محمد % وأتاكم من بعد من يخلف % % أهدى لهذا الله فضل خلافة % ولذاك جنات النعيم تزخرف %

وفي سنة تسع وخمسين بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ثم من بعده لهارون الرشيد ولديه وفي سنة ستين فتحت أربد من الهند عنوة وفيها حج المهدي فأنهى إليه حجبه الكعبة أنهم يخافون

هدمها لكثرة ما عليها من الستار فأمر بها فجردت واقتصر على كسوة المهدي وحمل إلى المهدي الثلج إلى مكة قال الذهبي لم يتهيأ ذلك لملك قط وفي سنة إحدى وستين أمر المهدي بعمارة طريق مكة وبنى بها قصورا وعمل البرك وأمر بترك المقاصير التي في جوامع الإسلام وقصر المنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي سنة ثلاث وستين وما بعدها كثرت الفتوح بالروم وفي سنة ست وستين تحول المهدي إلى قصره المسمى بعيساباذ

وأمر فأقيم له البريد من المدينة النبوية ومن اليمن ومكة إلى الحضرة

بغالا وإبلا قال الذهبي وهو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق وفيها فيما بعدها جد المهدي في تتبع الزنادقة وإبادتهم والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة وفي سنة سبع وستين أمر بالزيادة الكبرى في المسجد الحرام وأدخل في ذلك دورا كثيرة وفي سنة تسع وستين مات المهدي ساق خلف صيد فاقتحم الصيد خربة وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها فمات لوقته وذلك لثمان بقين من المحرم وقيل إنه مات مسموما وقال سلم الخاسر يرثيه

% وباكية علىالمهدي عبري % كأن بها وما جنت جنونا % % وقد خمشت محاسنها وأبدت % غدائرها وأظهرت القرونا % % لئن بلى الخليفة بعد عز % لقد أبقى مساعي مابلينا % % سلام الله عدة كل يوم % على المهدي حين ثوى رهينا % % تركنا الدين والدنيا جميعا % بحيث ثوى أمير المؤمنينا % ومن أخبار المهدي قال الصولي لما عقد المهدي العهد لولده موسى قال مروان بن أبي حفصة % عقدت لموسى بالرصافة بيعة % شد الإله بها عري الإسلام % % موسى الذي عرفت قريش فضله % ولها فضيلتها على الأقوام % % بمحمد بعد النبي محمد % حيي الحلال ومات كل حرام % % مهدي أمته الذي أمست به % للذل آمنه وللإعدام % % موسى ولي عهد الخلافة بعده % جفت بذاك مواقع الأقلام % وقال آخر % يابن الخليفة إن أمة أحمد % تاقت إليك بطاعة أهواؤها % % ولتملأن الأرض عدلا كالذي % كانت تحدث أمة علماؤها % % حتى تمنى لو ترى أمواتها % من عدل حكمك ما ترى أحياؤها % % فعلى أبيك اليوم بهجة ملكها % وغدا عليك إزارها ورداؤها % وأسند الصولي أن امرأة اعترضت المهدي فقال يا عصبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنظر في حاجتي فقال المهدي ما سمعتها من أحد قط أقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم وقال قريش الختلي رفع صالح بن عبد القدوس البصري إلى المهدي في الزندقة فأراد قتله فقال أتوب إلى الله وأنشده لنفسه

% ما يبلغ الأعداء من جاهل % ما يبلغ الجاهل من نفسه % % والشيخ لا يترك أخلاقه % حتى يواري في ثرى رمسه % فصرفه

فلما قرب من الخروج رده فقال ألم تقل والشيخ لا يترك أخلاقه قال بلى قال فكذلك أنت لا تدع أخلاقك حتى تموت ثم أمر بقتله وقال زهير قدم على المهدي بعشرة محدثين منهم فرج بن فضالة وغياث ابن إبراهيم وكان المهدي يحب الحمام فلما أدخل غياث قيل له حدث أمير المؤمنين فحدثه عن فلان عن أبي هريرة مرفوعا لا سبق إلا في حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام قال أشهد أن قفاك قفا كذاب وإنما استجلبت ذلك ثم أمر بالحمام فذبحت وروى أن شريكا دخل على المهدي فقال له لا بد من ثلاث إما أن تلي القضاء أوتؤدب ولدي وتحدثهم أو تأكل عندي أكلة ففكر ساعة ثم قال الأكلة أخف علي فأمر المهدي بعمل ألوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك فأكل فقال الطباخ لا يفلح بعدها قال حدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولى القضاء لهم وأخرج البغوي في الجعديات عن حمدان الأصبهاني قال كنت عند شريك فأتاه ابن المهدي فاستند وسأل عن حديث فلم يلتفت شريك ثم أعاد فعاد فقال كأنك تستخف بأولاد الخلفاء قال لا ولكن العلم أزيد عند أهله من أن يضيعوه فجثا على ركبتيه ثم سأله فقال شريك هكذا يطلب العلم ومن شعر المهدي ما أنشده الصولي % ما يكف الناس عنا % ما يمل الناس منا % % إنما همتهم أن % ينبشوا ما قد دفنا %

% لو سكنا بطن أرض % فلكانوا حيث كنا % % وهم إن كاشفونا % في الهوىيوما مجنا % وأسند الصولى عن محمد بن عمارة قال كان للمهدى جارية شغف بها وهى كذلك إلا أنها تتحاماه كثيرا فدس إليها من عرف ما في نفسها فقالت أخاف أن يملنى ويدعنى فأموت فقال المهدى في ذلك % ظفرت بالقلب منى % غادة مثل الهلال % % كلما صح لها ود % ى جاءت بعتلال % % لا لحب الهجر منى % والتأنى عن وصال % % بل لإبقاء على حبى % لها خوف الملال % وله في نديمه عمر بن بزيغ % رب تمم لى نعيمى % بأبى حفص نديمى % % إنما لذة عيشى % في غناء وكروم % % وحوار عطرات % وسماع ونعيم % قلت شعر المهدى أرق وألطف من شعر ابيه وأولاده بكثير وأسند الصولى عن ابن أبى كريمة قال دخل المهدى إلى حجرة جارية على غفلة فوجدها قد نزعت ثيابها وأرادت لبس غيرها فلما رأته غطت بيدها فقصرت كفها عنه فضحك وقال % نظرت في القصر عينى % نظرة وافق حينى % ثم خرج فرأى بشارا فأخبره وقال أجز فقال بشار % سترته إذ رأتنى % دونه بالراحتين % % فبدا لى منه فضل % تحت طى الكعنتين % وأسند عن إسحاق الموصلى قال كان المهدى في أول أمره يحتجب عن

الندماء تشبيها بالمنصور نحوا من سنة ثم ظهر لهم فأشير عليه ان يحتجب فقال إنما اللذة مع مشاهدتهم وأسند عن مهدى بن سابق قال صاح رجل بالمهدى وهو في موكبه % قل للخليفة حاتم لك خائن % فخف الإله وأعفنا من حاتم % % إن العفيف إذا استعان بخائن % كان العفيف شريكه في المأتم % فقال المهدى يعزل كل عامل لنا يدعى حاتم وأسند عن أبى عبيدة قال كان المهدى يصلى بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فأقيمت الصلاة يوما فقال أعرابي لست على طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء بانتظارى فقال انتظروه ودخل المحراب فوقف إلى أن قبل قد جاء الرجل فكبر فعجب الناس من سماحة أخلاقه وأسند عن إبراهيم بن نافع أن قوما من أهل البصرة تنازعوا إليه في نهر من أنهار البصرة فقال إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين فما لم يقع له ابتياع منها يعود ثمنه على كافتهم وفي مصلحتهم فلا سبيل لأحد عليه فقال القوم هذا النهر لنا بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قال من أحيا ارضا ميتة فهى له وهذه موات فوثب المهدى عند ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حتى ألصق خده بالتراب وقال سمعت لما قال وأطعت ثم عاد وقال بقى أن تكون هذه الأرض مواتا حتى لا أعرض فيها وكيف تكون مواتا والماء المحيط بها من جوانبها فإن أقاموا البينة على هذا سلمت وأسند عن الأصمعى قال سمعت المهدى على منبر البصرة يقول إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال ^ إن الله وملائكته يصلون على النبى ^ الآية آثره من بين الرسل إذ خصكم بها من بين الأمم

قلت وهو أول من قال ذلك في الخطبة وقد استسنها الخطباء إلى اليوم ولما مات قال أبو العتاهية وقد علقت المسوح على قباب حرمه % رحن في الموشى وأصبحن % عليهم المسوح % % كل نطاح من الدهر % له يوم نطوح % % لست بالباقى ولو عمرت % ما عمر نوح % % نح على نفسك يا مسكين % إن كنت تنوح %

ذكر احاديث من رواية المهدى قال الصولى حدثنى احمد بن محمد ابن صالح

التمار حدثنا يحيى بن محمد القرشى حدثنا أحمد بن هشام حدثنا أحمد ابن عبدالرحمن بن مسلم المدائنى وهو ثقة صدوق قال سمعت المهدى يخطب فقال حدثنا شعبة عن على بن زيد عن أبى النضرة عن أبى سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة من العصر الى مغيربان الشمس حفظها من حفظها ونسيها من نسيها فقال إلا إن الدنيا حلوة خضرة الحديث بطوله وقال الصولى حدثنا اسحاق بن ابراهيم القزاز حدثنا اسحاق بن ابراهيم ابن حبيب بن الشهيد حدثنا أبو يعقوب بن حفص الخطابي سمعت المهدي يقول حدثني أبي عن أبيه عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أن وفدا من العجم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أحفوا لحاهم وأعفوا شواربهم فقال النبى صلى الله عليه وله وسلم خالفوهم أعفوا لحاكم واحفوا شواربكم وإحفاء الشارب أخذ ما سقط على الشفة منه ووضع المهدى يده على أعلى شفته وقال منصور بن مزاحم ومحمد بن يحيى بن حمزة عن يحيى بن حمزة قال صلى بنا المهدى المغرب فجهر بسم الله الرحمن الرحيم فقلت يا أمير المؤمنين

ما هذا قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن إسحاق ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهر بسم الله الرحمن الرحيم فقلت للمهدى نأثره عنك قال نعم قال الذهبى هذا إسناد متصل لكن ما علمت احدا احتج بالمهدى ولا بأبيه في الأحكام تفرد به محمد بن الوليد مولى بنى هاشم وقال ابن عدى كان يضع الحديث قلت لم ينفرد به بل وجدت له متابعا مات في ايام المهدى من الأعلام شعبة وابن أبى ذئب وسفيان الثورى وإبراهيم بن ادهم الزاهد وداود الطائي الزاهد وبشار بن برد أول شعراء المحدثين وحماد بن سلمة وإبراهيم بن طهمان والخليل بن أحمد صاحب العروض الهادى أبو محمد موسى بن المهدى الهادى أبو محمد موسى بن المهدى بن المنصور وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران ولد بالرى سنة سبع وأربعين ومائة وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه قال الخطيب ولم يل الخلافة قبله أحد في سنة فأقام فيها سنة وأشهرا وكان أبوه أوصاه بقتل الزنادقة فجد في أمرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان يسمى موسى أطبق لأن شفته العليا كانت تقلص فكان أبوه وكل به في صغره خادما كلما رآه مفتوح الفم قال موسى أطبق فيفيق على نفسه ويضم شفتيه فشهر بذلك قال الذهبى وكان يتناول المسكر ويلعب ويركب حمارا فارها ولا يقيم أبهة الخلافة وكان مع ذلك فصيحا قادرا على الكلام أديبا تعلوه هيبة وله سطوة وشهامة

وقال غيره كان جبارا وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة والقسى الموترة فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره مات في ربيع الاخر سنة سبعين ومائة واختلف في سبب موته فقيل إنه دفع نديما له من جرف على أصول قصب قد قطع فتعلق النديم به فوقع فدخلت قصبة في منخره فماتا جميعا وقيل اصابته قرحة في جوفه وقيل سمته أمه الخيزران لما عزم على قتل الرشيد ليعهد إلى ولده وقيل كانت أمه حاكمة مستبدة بالأمور الكبار وكانت المواكب تغدو إلى بابها فزجرهم عن ذلك وكلمها بكلام وقح وقال لئن وقف ببابك امير لأضربن عنقه أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو سبحة فقامت ما تعقل من الغضب فقيل إنه بعث إليها بطعام مسموم فأطعمت منه كلبا فانتثر فعملت على قتله لما وعك بأن غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه وخلف سبعة بنين ومن شعر الهادى في أخيه هارون لما امتنع من خلع نفسه % نصحت لهارون فرد نصيحتى % وكل امرىء لا يقبل النصح نادم % % وأدعوه للأمر المؤلف بيننا % فيبعد عنه وهو في ذاك ظالم % % ولولا انتظارى منه يوما إلى غد % لعاد إلى ما قلته وهو راغم % ومن أخبار الهادى أخرج الخطيب عن الفضل قال غضب الهادى على رجل فكلم فيه فرضى فذهب يعتذر فقال له الهادى إن الرضا قد كفاك مؤنة الاعتذار وأخرج عن عبدالله بن مصعب قال دخل مروان بن ابى حفصة على الهادى فأنشده مديحا له حتى إذا بلغ قوله % تشابه يوما بأسه ونواله % فما أحد يدرى لأيهما الفضل %

فقال له الهادى أيما أحب إليك ثلاثون ألف معجلة أو مائة ألف تدور في الديوان قال تعجل الثلاثون ألفا وتدور المائة الف قال بل تعجلان لك جميعا فحمل له ذلك وقال الصولى لا تعرف امرأة ولدت خليفتين إلا الخيزران أم الهادى والرشيد وولادة بنت العباس العبسية زوج عبدالملك بن مروان ولدت الوليد وسليمان وشاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى ولدت للوليد بن عبدالملك يزيد الناقص

وابراهيم ووليا الخلافة قلت يزاد على ذلك باى خاتون سرية المتوكل الأخير ولدت العباس وحمزة ووليا الخلافة وكزل سريته أيضا ولدت داود وسليمان ووليا‌ها ثم قال الصولى لا يعرف خليفة ركب البريد إلا الهادى من جرجان إلى بغداد قال وكان نقش خاتمه الله ثقة موسى وبه يؤمن قال الصولى ولسلم الخاسر في الهادى يمدحه % موسى المطر % غيث بكر % % ثم انهمر % أولى المرر % %كم اعتسر % وكم قدر % % ثم غفر % عدل السير % % باقى الأثر % خير وشر % % نفع وضر % خير البشر % % فرع مضر % بدر بدر % % لمن نظر % هو الوزر % % لمن حضر % والمفتحر لمن غبر %

قال وهذا على جزء جزء مستفعلن مستفعلن وهو أول من عمله ولم نسمع لمن قبله

شعرا على جزء جزء وأسند الصولى عن سعيد بن سلم قال إنى لأرجو أن يغفر الله للهادى بشىء رأيته منه حضرته يوما وأبو الخطاب السعدى ينشده قصيدة في مدحه إلى ان قال % يا خير من عقدت كفاه حجزته % وخير من قلدته أمرها مضر % فقال له الهادى إلا من ويلك قال سعيد ولم يكن استثنى في شعره فقلت يا أمير المؤمنين إنما يعنى من أهل هذا الزمان ففكر الشاعر فقال % إلا النبي رسول الله إن له % فضلا وأنت بذاك الفضل تفتخر % فقال الآن أصبت واحسنت وأمر له بخمسين ألف درهم وقال المدائنى عزى الهادى رجلا في ابن له فقال سرك وهو فتنة وبلية ويحزنك ووهو ثواب ورحمة وقال الصولى قال سلم الخاسر في الهادى جامعا بين العزاء والهناء % لقد قام موسى بالخلافة والهدى % ومات أمير المؤمنين محمد % % فمات الذى غم البرية فقده % وقام الذى يكفيك من يتفقد % وقال مروان بن أبى حفصة كذلك % لقد أصبحت تختال في كل بلدة % بقبر امير المؤمنين المقابر % % ولو لم تسكن بابنه بعد موته % لما برحت تبكى عليه المنابر % % ولو لم يقم موسى عليها لرجعت % حنينا كما حن الصفايا العشائر % حديث من رواية الهادى قال الصولى حدثنى محمد بن زكريا هو الغلابى حدثنى محمد بن عبدالرحمن المكى حدثنا قسورة بن السكن الفهرى حدثنا المطلب بن عكاشة المرى قال قدمنا على الهادى شهودا على رجل شتم

قريشا وتخطى إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فجلس لنا مجلسا احضر فيه فقهاء زمانه واحضر الرجل فشهدنا عليه فتغير وجه الهادى ثم نكس رأسه ثم رفعه فقال سمعت أبى المهدى يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد عن ابيه على عن أبيه عبدالله بن عباس قال من أراد هوان قريش اهانه الله وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم اضربوا عنقه أخرجه الخطيب من طريق الصولى والحديث هكذا في هذه الرواية موقوف وقد ورد مرفوعا من وجه آخر مات في أيام الهادى من الأعلام نافع قارىء أهل المدينة وغيره الرشيد هارون أبو جعفر الرشيد هارون أبو جعفر بن المهدى محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن على ابن عبدالله بن العباس استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادى ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة قال الصولى هذه الليلة ولد له فيها عبدالله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة وكان يكنى ابا موسى فتكنى بأبى جعفر حدث عن أبيه وعن جده ومبارك بن فضالة وروى عنه ابنه المأمون وغيره وكان من أمير الخلفاء واجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج كما قال فيه أبو المعالى الكلابى % فمن يطلب لقاءك أو يرده % فبالحرمين أو أقصى الثغور % % ففى أرض العدو على طمر % وفي ارض الترفه فوق كور %

مولده بالرى حين كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهى أم الهادى وفيها يقول مروان ابن أبى حفصة % يا خيزران هناك ثم هناك % أمسى يسوس العالمين ابناك % وكان أبيض طويلا جميلا مليحا فصيحا له نظر في العلم والأدب وكان يصلى في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص وبلغه عن بشر المريسى القول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لأضربن عنقه وكان يبكى على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ وكان يحب المديح ويجيز عليه الأموالة الجزيلة وله شعر دخل عليه مرة ابن السماك الواعظ فبالغ باحترامه فقال له ابن السماك تواضعك في شرفك أشرف من شرفك ثم وعظه فأبكاه

وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض قال عبدالرزاق كنت مع الفضيل بمكة فمر هارون فقال فضيل الناس يكرهون هذا وما في الأرض أعز على منه لو مات لرأيت أمورا عظاما قال أبو معاوية الضرير ما ذكرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين

يدى الرشيد إلا قال صلى الله على سيدى وحدثه بحديثه صلى الله عليه وآله وسلم ووددت أنى أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحى فأقتل فبكى حتى انتحب وحدثته يوما حديثا أحتج آدم وموسى وعنده رجل من وجوه قريش فقال القرشى فأين لقيه فغضب الرشيد وقال النصع والسيف زنديق يطعن في حديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو معاوية فما زلت اسكنه وأقول يا أمير المؤمنين كانت منه نادرة حتى سكن وعن أبى معاوية أيضا قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدى رجل لا أعرفه ثم قال الرشيد تدري من يصب عليك قلت لا قال أنا إجلالا للعلم وقال منصور بن عمار ما رأيت اغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بن عياض والرشيد وآخر وقال عبيد الله القواريرى لما لقى الرشيد الفضيل قال له يا حسن الوجه أنت المسئول عن هذه الأمة حدثنا ليث عن مجاهد وتقطعت بهم الأسباب قال الوصلة التى كانت بينهم في الدنيا فجعل هارون يبكى ويشهق ومن محاسنه انه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الأعيان ان يعزوه في ابن المبارك قال نفطويه كان الرشيد يقتفى آثار جده أبى جعفر إلا في الحرص فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه أعطى مرة سفيان بن عيينة مائة ألف وأجاز

إسحاق الموصلى مرة بمائتى ألف وأجاز مروان بن أبى حفصة مرة على قصيدة خمسة ألآف دينار وخلعة وفرسا من مراكبه وعشرة من رقيق الروم وقال الأصمعى قال لى الرشيد يا أصمعى ما أغفلك عنا وأجفاك لنا قلت يا أمير المؤمنين ما لاقتنى بلاد بعدك حتى أتيتك فسكت فلما تفرق الناس قال ما لاقتنى قلت % كفاك كف ما تليق درهما % جودا وأخرى تعطى بالسيف الدما % فقال أحسنت وهكذا فكن وقرنا في الملا وعلمنا في الخلا وأمر لى بخمسة آلاف دينار وفي مروج المسعودى قال رام الرشيد ان يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلى الفرما فقال له يحيى بن خالد البرمكى كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم إلى الحجاز فتركه وقال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه ابو يوسف رحمه الله وشاعره مروان بن أبى حفصة ونديمه العباس بن محمد عم ابيه وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس واعظمهم ومغنيه ابراهيم الموصلى وزوجته زبيدة وقال غيره كانت أيام الرشيد كلها خير كأنها من حسنها أعراس وقال الذهبى أخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله اخبار في اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحه الله مات في ايامه من الأعلام مالك بن أنس والليث بن سعد وابو يوسف صاحب أبى حنيفة والقاسم بن معن ومسلم بن خالد الزنجى ونوح الجامع والحافظ أبو عوانة اليشكرى وأبراهيم بن سعد الزهرى وابو اسحاق الفزارى وابراهيم بن ابى يحيى شيخ الشافعى واسد الكوفى من كبار اصحاب ابى حنيفة وإسماعيل بن عياش وبشر بن المفضل وجرير

ابن عبدالحميد وزياد البكائى وسليم المقرىء صاحب حمزة وسيبويه إمام العربية وضيغم الزاهد وعبدالله العمرى الزاهد وعبدالله بن المبارك وعبدالله بن ادريس الكوفى وعبدالعزيز بن ابى حازم والدراوردى والكسائى شيخ القراء والنحاة ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة كلاهما في يوم وعلى بن مسهر وغنجار وعيسى بن يونس السبيعي والفضيل ابن عياض وابن السماك الواعظ ومروان بن ابى حفصة الشاعر والمعافى ابن عمران الموصلى ومعتمر بن سليمان والمفضل بن فضالة قاضى مصر وموسى بن ربيعة أبو الحكم المصرى احد الأولياء والنعمان بن عبدالسلام الأصبهانى وهشيم ويحيى بن ابى زائدة ويزيد بن زريع ويونس ابن حبيب النحوى ويعقوب بن عبدالرحمن قارىء المدينة وصعصعةابن سلام عالم الأندلس احد أصحاب مالك وعبدالرحمن بن القاسم اكبر أصحاب مالك والعباس بن الحنف الشاعر المشهور وأبو بكر ابن عياش المقرىء ويوسف بن الماجشون وخلائق آخرون كبار ومن الحوادث في أيامه في سنة خمس وسبعين افترى عبدالله بن مصعب الزبيرى على يحيى بن عبدالله بن حسن العلوى انه طلب إليه أن يخرج معه على الرشيد فباهله يحيى بحضرة الرشيد وشبك يده في يده وقال قل اللهم إن كنت تعلم أن يحيىلم يدعنى إلى الخلاف والخروج على أمير المؤمنين هذا فكلنى إلى حولى وقوتى واسحتنى بعذاب من عندك آمين رب العالمين فتلجلج الزبير وقالها ثم قال يحيى مثل ذلك وقاما فمات الزبيرى ليومه وفي سنة ست وسبعين فتحت مدينة

وفي سنة تسع وسبعين اعتمر الرشيد في رمضان ودام على إحرامه إلى أن حج ومشى من مكة إلى عرفات وفي سنة ثمانين كانت الزلزلة العظمى وسقط منها رأس منارة الإسكندرية وفي سنة إحدى وثمانين فتح حصن الصفصاف عنوة وهو الفاتح له وفي سنة ثلاث وثمانين خرج الخزر على ارمينية فأوقعوا بأهل الإسلام وسفكوا وسبوا أزيد من مائة ألف نسمة وجرى على الإسلام امر عظيم لم يسمع قبله مثله وفي سنة سبع وثمانين اتاه كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التى كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة رينى ملكة الروم وصورة الكتاب من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيذق فحملت إليك من اموالها أحمالا وذلك لضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابى فأردد ما حصل قبلك من أموالها وإلا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضبا حتى تمكن أحد ان ينظر إلى وجهه دون أن يخاطبه وتفرق جلساؤه من الخوف واستعجم الرأى على الوزير فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه ثم سار ليومه فلم يزل حتى نازل مدينة هرقل وكانت غزوة مشهورة وفتحا مبينا فطلب نقفور الموادعة والتزم بخراج يحمله كل سنة فأجيب فلما رجع الرشيد إلى الرقة نقض الكلب العهد لإياسه من كرة الرشيد

في البرد فلم يجترىء احد أن يبلغ الرشيد نقضه بل قال عبدالله بن يوسف التيمى % نقض الذى أعطيته نقفور % فعليه دائرة البوار تدور % % أبشر أمير المؤمنين فإنه % غنم أتاك به الإله كبير % وقال أبو العتاهية أبياتا وعرضت على الرشيد فقال أوقد فعلها فكر راجعا في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى بلغ مراده وحاز جهاده وفي ذلك يقول ابو العتاهية % ألا نادت هرقل بالخراب % من الملك الموفق للصواب % % غدا هارون يرعد بالمنايا % ويبرق بالمذكرة القضاب % % ورايات يحل النصر فيها % تمر كأنها قطع السحاب % وفي سنة تسع وثمانين فادى الروم حتى لم يبق بممالكهم في الأسر مسلم وفي سنة تسعين فتح هرقل وبث جيوشه بأرض الروم فافتتح شراحيل ابن معن بن زائدة حصن الصقالبة وافتتح يزيد بن مخلد ملقونية وسار حميد ابن معيوف إلى قبرس فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر الفا وفي سنة اثنتين وتسعين توجه الرشيد نحو خراسان فذكر محمد بن الصباح الطبرى أن أباه شيع الرشيد إلى النهروان فجعل يحادثه في الطريق إلى ان قال يا صباح لا أحسبك ترانى بعدها فقلت بل يردك الله سالما ثم قال ولا احسبك تدرى ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك وانحرف عن الطريق واوما إلى الخواص فتنحوا ثم قال امانة الله يا صباح أن تكتم على وكشف عن بطنه فإذا عصابة حرير حوالى بطنه

فقال هذه علة أكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدى على رقيب فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين ونسيت الثالث ما منهم أحد إلا ويحصى انفاسى ويعد أيامى ويستطيل دهرى فإن اردت أن تعرف ذلك فالساعة ادعو ببرذون فيجيئون به اعجف ليزيد في علتى ثم دعا ببرذون فجاءوا به كما وصف فنظر إلى ثم ركبه وودعنى وسار إلى جرجان ثم رحل منها في صفر سنة ثلاث وتسعين وهو عليل إلى طوس فلم يزل بها إلى أن مات وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ولقبه الأمين وله يومئذ خمس سنين لحرص امه زبيدة على ذلك قال الذهبي فكان هذا أول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الإمامة ثم بايع لابنه عبدالله من بعد الأمين في سنة اثنتين وثمانين ولقبه المأمون وولاه ممالك خراسان بأسرها ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين في سنة ست وثمانين ولقبه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور وهو صبى فلما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة قال بعض العقلاء لقد ألقى بأسهم بينهم وغائلة ذلك تضر بالرعية وقالت الشعراء في البيعة المدائح ثم إنه علق نسخة البيعة في البيت العتيق وفى ذلك يقول إبراهيم الموصلى % خير الأمور مغبة % وأحق امر بالتمام % % أمر قضى احكامه الرحمن % في البيت الحرام % وقال عبدالملك بن صالح في ذلك % حب الخليفة حب لا يدين له عاصى الإله وشار يلقح الفتنا % % الله قلد هارونا سياسته لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا % % وقلد الأرض هارون لرأفته % بن أمينا ومأمونا ومؤتمنا %

قال بعضهم وقد زوى الرشيد الخلافة عن ولده المعتصم لكونه أميا فساقها

الله إليه وجعل الخلفاء بعده كلهم من ذريته ولم يجعل من نسل غيره من أولاد الرشيد خليفة وقال سلم الخاسر في العهد للأمين % قل للمنازل بالكثيب الأعفر اسقيت غادية السحاب الممطر % % قد بايع الثقلان مهدى الهدى % لمحمد بن زبيدة بنة جعفر % قد وفق الله الخليفة إد بنى % بيت الخلافة للهجان الأزهر % % فهو الخليفة عن ابيه وجده % شهدا عليه بمنظر وبمخبر % فحشت زبيده فاه جوهر باعه بعشرين الف دينار

فصل في نبذ من أخبار الرشيد عفا الله عنه أحرج السلفى في الطيوريات بسنده

عن ابن المبارك قال لماأفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جوارى المهدى فراودها عن نفسها فقالت لا أصلح لك إن اباك قد طاف بى فشغف بها فأرسل إلى أبى يوسف فسأله اعندك في هذا شيء فقال يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت امة شيئا ينبغى أن تصدق لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة قال ابن المبارك لم أدر ممن أعجب من هذا الذى قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه او من هذه الأمة التى رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال اهتك حرمة أبيك وقض شهوتك وصيره في رقبتى واخرج ايضا عن عبدالله بن يوسف قال قال الرشيد لأبى يوسف إنى اشتريت جارية وأريد أن اطاها الآن قبل الاستبراء فهل عندك حيلة قال نعم تهبها لبعض ولدك ثم تتزوجها وأخرج عن إسحاق بن راهوية قال دعا الرشيد ابا يوسف ليلا فأفتاه بأمر له بمائة الف درهم فقال أبو يوسف إن رأى أمير المؤمنين امر بتعجيلها

قبل الصبح فقال عجلوها فقال بعض من عنده إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة فقال أبو يوسف فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعانى ففتحت وأسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد في السنة التى ولى الخلافة فيها حتى غزا أطراف الروم وانصرف في شعبان فحج بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا كثيرا وكان رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال له إن هذا الأمر صائر إليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله واسند عن معاوية بن صالح عن ابيه قال اول شعر قاله الرشيد انه حج سنة ولى الخلافة فدخل دارا فإذا في صدر بيت منها بيت شعر قد كتب على حائط % ألا أمير المؤمنين أما ترى % فديتك هجران الحبيب كبيرا % فدعا بدواة وكتب تحته بخطه % بلى والهدايا المشعرات وما مشى % بمكة مرفوع الأظل حسيرا % واخرج عن سعيد بن مسلم قال كان فهم الرشيد فهم العلماء أنشده العمانى في صفة فرس % كأن أذنيه إذا تشوفا % قادمة أو قلما محرفا % فقال الرشيد دع كأن قال تخال إذنيه حتى يستوى الشعر وأخرج عن عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال حلف الرشيد ان لا يدخل إلى جارية له اياما وكان يحبها فمضت الأيام ولم تسترضيه فقال % صدر عنى إذ رآنى مفتتن % وأطال الصبر لما أن فطن % % كان مملوكى فأضحى مالكى % إن هذا من أعاجيب الزمن %

ثم أحضر أبا العتاهية فقال أجزهما فقال % عزة الحب ارته ذلتى % في هواه وله وجه حسن % % فلهذا صرت مملوكا له % ولهذا شاع ما بى وعلن % واخرج ابن عساكر عن ابن علية قال اخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق لم تضرب عنقى قال له أريح العباد منك قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها ما فيها حرف نطق به قال فأين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق الفزارى وعبدالله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا وأخرج الصولى عن إسحاق الهاشمى قال كنا عند الرشيد فقال بلغنى أن العامة يظنون في بغض على بن أبى طالب ووالله ما أحب احدا حبى له ولكن هؤلاء أشد الناس بغضا لنا وطعنا علينا وسعيا في فساد ملكنا بعد اخذنا بثأرهم ومساهمتنا إياهم ما حويناه حتى إنهم لأميل إلى بنى أمية منهم إلينا فأما ولده لصلبه فهم سادة الأهل والسابقون إلى الفضل ولقد حدثنى أبى المهدى عن أبيه المنصور عن محمد بن على عن ابيه عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحسن والحسين من احبهما فقد احبنى ومن أبغضهما فقد ابغضنى وسمعه يقول فاطمة سيدة نساء العالمين غير مريم ابنة عمران وآسية بنة مزاحم روى أن ابن السماك دخل على الرشيد يوما فاستسقى فأتى بكوز فلما أخذه قال على رسلك يا

أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكى قال اشرب هنأك الله تعالى فلما شربها قال أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشترى خروجها قال بجميع ملكى قال إن ملكا قيمته شربة ماء وبوله لجدير أن لا ينافس فيه فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا

وقال ابن الجوزى قال الرشيد لشيبان غطنى قال لن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد فسر لى هذا قال من يقول لك أنت مسئول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول انتم أهل بيت مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله وفي كتاب الأوراق للصولى بسنده لما ولى الرشيد الخلافة استوزر يحيى ابن خالد قال ابراهيم الموصلى % ألم تر أن الشمس كانت مريضة % فلما أتى هارون أشرق نورها % % تلبست الدنيا جمالا بملكه % فهارون واليها ويحيى وزيرها % فأعطاه مائة ألف درهم وأعطاه يحيى خمسين ألفا ولداود بن رزين الواسطى فيه % بهارون لاح النور في كل بلدة % وقام به في عدل سيرته النهج % إمام بذات الله أصبح شغله % فأكثر ما يعنى به الغزو والحج % % تضيق عيون الخلق عن نور وجهه % إذا ما بدا للناس منظره البلج % % تفسحت الآمال في جود كفه % فأعطى الذى يرجوه فوق الذى يرجو % وقال القاضى الفاضل في بعض رسائله ما أعلم أن الملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد فإنه رجل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله قال وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين قال ثم رحل لسماعه السلطان صلاح الدين بن ايوب إلى الإسكندرية فسمعه على ابن طاهر ابن عوف ولا أعلم لهما ثالثا ولمنصور النمرى فيه % جعل القرآن إمامه ودليله % لما تخيره القرآن ذماما % وله فيه قصيدة % إن المكارم والمعروف اودية % أحلك الله منها حيث تجتمع %

ويقال إنه اجازه عليها بمائة ألف وقال الحسين بن فهم كان الرشيد يقول من أحب ما مدحت به إلى % أبو أمين ومأمون ومؤتمن % أكرم به وادلا برا وما ولدا % وقال إسحاق الموصلى دخلت على الرشيد فأنشدته % وآمره بالبخل قلت لها اقصرى % فذلك شيء ما إليه سبيل % % أرى الناس خلان الجواد ولا أرى % بخيلا له في العالمين خليل % % وإنى رأيت البخل يزرى بأهله % فأكرمت نفسى أن يقال بخيل % % ومن خير حالات الفتى لوعلمته % إذا نال شيئا أن يكون ينيل % % عطائى عطاء المكثرين تكرما % ومالى كما تعلمين قليل % % وكيف اخاف الفقر أو أحرم الغنى % ورأى أمير المؤمنين جميل % فقال لا كيف إن شاء الله يافضل أعطه مائة ألف درهم لله درأ بيات يأتينا بها ما أجود أصولها واحسن فصولها فقلت يا أمير المؤمنين كلامك أحسن من شعرى فقال يا فضل اعطه مائة ألف أخرى وفي الطيوريات بسنده إلى إسحاق الموصلى قال قال أبو العتاهية لأبى النواس البيت الذى مدحت به الرشيد لوددت أنى كنت سبقتك به إليه % قد كنت خفتك ثم آمننى % من أن أخافك خوفك الله % وقال محمد بن على الخرسانى الرشيد أول خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمى النشاب في البرجاس واول خليفة لعب بالشطرنج من بنى والعباس قال الصولى هو أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات ومن شعر الرشيد يرثى جاريته هيلانة أورده الصولى % قاسيت أوجاعا وأحزانا % لما استخص الموت هيلانا % % فارقت عيشى حين فارقتها % فما ابالى كيف ما كانا % % كانت هى الدنيا فلما ثوت % في قبرهافارقت دنيانا %

% وقد كثر الناس ولكننى % لست أرى بعدك إنسانا % % والله لا أنساك ما حركت % ريح بأعلى نجد أغصانا % وله ايضا أنشده الصولى % يار بة المنزل بالفرك % وربة السلطان والملك % % ترفقى بالله في قتلنا % لسنا من الدليم والترك % مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها في ثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس واربعون سنة وصلى عليه ابنه الصالح قال الصولى خلف الرشيد مائة الف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار وقال غيره غلط جبريل بن بختيشوع على الرشيد في علته في علاج عالجه به كان سبب منيته فهم ان يفصل أعضاءه فقال أنظرنى إلى غد فإنك تصبح فى عافية فمات ذلك اليوم وقيل إن الرشيد رأى مناما انه يموت بطوس فبكى وقال احفروا لى قبرا فحفر له ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر إلى القبر فقال يا ابن آدم تصير إلى هذا وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة وهو في محفة على شفير القبر ولما مات بويع لوالده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد فأتاه الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه واخذ رجاء الخادم

البرد والقضيب والخاتم وسار على البريد في اثنى عشر يوما من مرو حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة فدفع ذلك إلى الأمين ولأبى الشيص يرثى الرشيد % غربت في الشرق شمس % فلها عينى بدمع % % ما رأينا قط شمسا % غربت من حيث تطلع % وقال أبو النواس جامع بين العزاء والهناء % جرت جوار بالسعد والنحس % فنحن في مأتم وفي عرس %

% القلب يبكى والعين ضاحكة % فنحن في وحشة وفي أنس % % يضحكنا القائم الأمين ويبكينا % وفاة الإمام بالأمس % % بدران بدر أضحى ببغداد في الخلد % وبدر بطوس في الرمس % ومما رواه الرشيد منى الحديث قال الصولى حدثنا عبدالرحمن بن خلف حدثنى جدى الحصين بن سليمان الضبى سمعت الرشيد يخطب فقال في خطبته حدثنى مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله ولو بشق تمرة حدثنى محمد بن على عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن ابى طالب قال قال النبى صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم فإنها طريق القرآن الأمين محمد أبو عبدالله الأمين محمد ابو عبدالله بن الرشيد كان ولى عهد أبيه فولى الخلافة بعده وكان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلا جميلا ذاقوة مفرطة وبطش وشجاعة ومعرفة يقال إنه قتل مرة أسدا بيده وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة لكن كان سيء التدبير كثير التبذير ضعيف الزأى أرعن لا يصلح للآمارة فأول ما بويع بالخلافة أمر ثانى يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة ثم في سنة أربع وتسعين عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد ولاه ووقعت الوحشة بينه وبين أخية المأمون وقيل إن الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يبق عليه فأغرى الأمين به وحثه على خلعه وان يولى العهد لابنه موسى ولما بلغ المأمون عزل أخيه القاسم قطع البريد عن الأمين واسقط اسمه من الطرز والضرب ثم إن الأمين ارسل إليه يطلب منه أن يقدم موسى على نفسه ويذكر أنه قد سماه الناطق بالحق فرد المأمون ذلك واباه وخامر الرسول معه وبايعه بالخلافة سرا ثم كان يكتب إليه

بالأخبار ويناصحه من العراق ولما رجع وأخبر الأمين بامتناع المأمون أسقط اسمه من ولاية العهد وطلب الكتاب الذى كتبه الرشيد وجعله بالكعبة فأحضره ومزقه وقويت الوحشة ونصح الأمين أولو الرأى وقال له خزيمة بن حازم يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجزىء القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا ببيعتك وعهدك فإن الغادر مغلول والناكث مخذول فلم ينتصح واخذ يستميل القواد بالعطاء وبايع بولاية العهد لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وهو إذ ذاك طفل رضيع فقال بعض الشعراء في ذلك % اضاع الخلافة غش الوزير % وفسق الأمير وجهل المشير % % لواط الخليفة أعجوبة % وأعجب منه حلاق الوزير % % فهذا يدوس وهذا يداس % كذاك لعمرى خلاف الأمور % % لو يستعفان هذا بذاك % لكانا بعرضه أمر ستير % % وأعجب من ذا وذا أننا % نبايع للطفل فينا الصغير % % ومن ليس يحسن غسل استه % ولم يخل من بوله حجر ظير % % وما ذاك إلا بفضل وبكر % يريدان طمس الكتاب المنير % % وما ذان لولا انقلاب الزما % ن في العير هذان او في النفير % ولما تيقن المأمون خلعه وتسمى بإمام المؤمنين وكوتب بذلك وولى الأمين على بن عيسى بن ماهان بلاد الجبال همذان ونهاوند وقم وأصبهان في سنة خمس وتسعين فخرج على بن عيسى من بغداد في نصف جمادى الآخرة ومعه الجيش لقتال المأمون في أربعين ألفا في هيئة لم ير مثلها وأخذ معه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف فكانت الغلبة له وذبح على وهزم جيشه وحملت رأسه إلى المأمون فطيف بها في خراسان وسلم على المأمون بالخلافة وجاء الخبر الأمين وهو يتصيد

السمك فقال للذى أخبره ويلك دعنى فإن كوثرا صاد سمكتين وانا ما صدت شيئا بعد وقال عبدالله بن صالح الجرمى لما قتل على أرجف الناس ببغداد إرجافا شديدا وندم الأمين على خلعه أخاه وطمع الأمراء فيه وشغبوا جندهم لطلب الأرزاق من الأمين واستمر القتال بينه وبين أخيه وبقى أمر الأمين كل يوم في الأدبار لانهماكه في اللعب والجهل وامر المأمون في ازدياد إلى ان بايعه أهل الحرمين وأكثر البلاد بالعراق وفسد الحال على الأمين جدا وتلف أمر العسكر ونفدت خزائنه وساءت حال الناس بسبب ذلك وعظم الشر وكثر الخراب والهدم من القتال ورمى المجانيق والنفط حتى درست محاسن بغداد وعملت فيها المماثى ومن جملة ما قيل في بغداد % بكيت دما على بغداد لما

% فقدت غضارة العيش الأنيق % % اصابتها من الحساد عين % فأفنت أهلها بالمنجنيق % ودام حصار بغداد خمسة عشر شهرا ولحق غالب العباسيين واركان الدولة بجند المأمون ولم يبق مع الأمين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد والحراشفة إلى ان استهلت سنة ثمان وتسعين فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسرا فخرج الأمين وأهله من القصر إلى مدينة المنصورة وتفرق عامة جنده وغلمانه وقل عليهم القوت والماء قال محمد بن راشد أخبرنى إبراهيم بن المهدى أنه كان الأمين بمدينة المنصور قال فطلبنى ليلة فأتيت فقال ما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوءه في الماء فهل لك في الشراب قلت شأنك فشربنا ثم دعا بجارية اسمها ضعف فتطيرت من اسمها فأمرها أن تغنى فغنت بشعر النابغة الجعدى % كليب لعمرى كان أكثر ناصرا % وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم % فتطير بذلك وقال غنى غير هذا فغنت % أبكى فراقهم عينى فأرقها % إن التفرق للأحباب بكاء %

% ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم % حتى تفانوا وريب الدهر عداء % % فاليوم أبكيهم جهدي وأندبهم % حتى أؤوب وما في مقلتى ماء % فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت ظننت أنك تحب هذا ثم غنت % أما ورب السكون والحرك % إن المنايا كثيرة الشرك % % ما اختلف الليل والنهار ولا % دارت نجوم السماء في الفلك % % إلا لنقل السلطان عن مالك % قد زال سلطانه إلى ملك % % وملك ذى العرش دائم أبدا % ليس بفان ولا بمشترك % فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت في قدح بلور له قيمة فكسرته فقال ويحك يا إبراهيم أما ترى والله ما أظن أمري إلا قرب فقلت بل يطيل الله عمرك ويعز ملكك فسمعت صوتا من دجلة قضى الأمر الذي فيه تستفيان فوثب محمد مغتما وقتل بعد ليلتين أخذ وحبس في موضع ثم أدخل عليه قوم من العجم ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه وذهبوا برأسه إلى طاهر فنصبها على حائط بستان ونودى هذا رأس المخلوع محمد وجرت جثته بحبل ثم بعث طاهر بالرأس والبرد والقضيب والمصلى وهو من سعف مبطن إلى المأمون واشتد على المأمون قتل أخيه وكان يحب أن يرسل إليه حيا ليرى فيه رأيه فحقد بذلك على طاهر بن الحسين وأهمله نسيا منسيا إلى أن مات طريدا بعيدا وصدق قول الأمين فإنه كان كتب بخطه رقعة إلى الطاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها يا طاهر ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأبى مسلم وأمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم فكان مآلهم القتل منهم ولإبراهيم بن المهدى في قتل الأمين % عوجا بمغنى طلل داثر % بالخلد ذات الصخر والآجر % % والمرمر المسنون يطلى به % والباب باب الذهب الناضر %

% وأبلغا عنى مقالا إلى % المولى عن المأمور والآمر % % قولا له يا ابن ولى الهدى % طهر بلاد الله من طاهر % % لم يكفه أن حز أوداجه % ذبح الهدايا بمدى الجازر % % حتى أتى يسحب أوصاله % في شطن هذامدى السائر % % وقد برد الموت على جفنه % فطرفه منكسر الناظر % ومما قيل فيه % لم نبكيك لماذا للطرب % يا ابا موسى وترويج اللعب % % ولترك الخمس في أوقاتها % حرصا منك على ماء العنب % % وشنيف أنا لا أبكي له % وعلى كوثر لا أخشى العطب % % لم تكن تصلح للملك ولم % تعطك الطاعة بالملك العرب % % لم نبكيك لما عرضتنا % للمناجيق وطورا للسلب % ولخزيمة بن الحسن على لسان زبيدة قصيدة يقول فيها % أتى طاهر لا طهر الله طاهرا % فما طاهر فيما أتى بمطهر % % فأخرجنى مكشوفة الوجه حاسرا % وأنهب أموالى وأخرب أدؤرى % % يعز على هارون ما قد لقيته % وما مر بي من ناقص الخلق أعور % % تذكر أمير المؤمنين قرابتى % فديتك من ذى حرمة متذكر %

قال ابن جرير لما ملك الأمين ابتاع الخصيان وغالى بهم وصيرهم لخلوته ورفض النساء والجوارى وقال غيره لما ملك وجه إلى البلدان في طلب الملهين وأجرى لهم الأرزاق واقتنى الوحوش والسباع والطيور واحتجب عن أهل بيته وأمرأته واستخف بهم ومحق ما في بيوت الأموال وضيع الجواهر والنفائس وبنى عدة قصور للهو في اماكن وأجاز مرة من غنى له % هجرتك حتى قلت لا يعرف القلى % وزرتك حتى قلت ليس له صبر %

بملء زورقه ذهبا وعمل خمس حراقات جمع حراقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامى نيران يرمي بها العدو على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس وأنفق في عملها أموالا فقال أبو النواس % سخر الله للأمين مطايا % لم تسخر لصاحب المحراب % %

فإذا ماركابه سرن برا % سار في الماء راكبا ليث غاب % أسدا باسطا ذراعه يهوى % أهرت الشدق كالح الأنياب % قال الصولى حدثنا أبو العيناء حدثنا محمد بن عمرو الرومى قال خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة في وجهه فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ثم قال % ضربوا قرة عينى % ومن أجلى ضربوه % % أخذ الله لقلبى % من أناس أحرقوه % ولم يقدر على زيادة فأحضر عبدالله بن التيمى الشاعر فقال له عليهما فقال % ما لمن أهوى شبيه % فبه الدنياتتيه % % وصله حلو ولكن % هجره مر كريه % % من رأى الناس له % الفضل عليهم حسدوه % % مثل ما قد حسد القائم % بالملك أخوه % فأوقر له ثلاث بغال دراهم فلما قتل الأمين جاء التيمى إلى المأمون وامتدحه فلم يأذن له فالتجأ إلى الفضل بن سهل فأوصله إلى المأمون فلما سلم عليه قال هيه يا تيمى % مثل ما قد حسدالقائم % بالملك أخوه % فقال التيمى % نصر المأمون عبد % الله لما ظلموه %

% نقض العهد الذى قد % كان قدما أكدوه % % لم يعامله أخوه % بالذى أوصى أبوه % فعفا عنه وأمر له بعشرة آلاف درهم وقيل إن سليمان بن منصور رفع إلى الأمين أن أبا النواس هجاه فقال يا عم أقتله بعد قوله % أهدى الثناء إلى الأمين محمد % مابعده بتجارة متربص % % صدق الثناء على الأمين محمد % ومن الثناء تكذب وتخرص % % قد ينقص البدر المنير إذا استوى % وبهاء نور محمد ما ينقص % % وإذا بنور المنصور عد خصالهم % فمحمد ياقوتها المتخلص %

قال أحمد بن حنبل إنى لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على إسماعيل ابن

علية فانه أدخل عليه فقال له يا ابن الفاعلة أنت الذي تقول كلام الله مخلوق قال المسعودى ما ولى الخلافة إلى وقتنا هذا هاشمى ابن هاشمية سوى على ابن أبي طالب وابنه الحسن والأمين فإن أمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور واسمها أمة العزيز وزبيدة لقب لها وقال إسحاق الموصلى اجتمعت في الأمين خصائل لم تكن في غيره كان أحسن الناس وجها وأسخاهم وأشرف الخلفاء أبا وأما حسن الأدب عالما بالشعر لكن غلب عليه الهوى واللعب وكان مع سخائه بالمال بخيلا بالطعام جدا قال أبو الحسن الأحمر كنت ربما أنسيت البيت الذي يستشهد به في النحو فينشدنيه الأمين وما رأيت في أولاد الملوك أذكى منه ومن المأمون وكان قتله في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وله سبع وعشرون سنة مات في أيامه من الأعلام إسماعيل بن علية وغندر وشقيق البلخى الزاهد وأبو معاوية الضرير ومؤرج السدوسى وعبدالله بن كثير المقرىء

وأبو نواس الشاعر وعبدالله بن وهب صاحب الملك وورش المقرىء ووكيع وآخرون وقال على بن محمد النوفلى وغيره لم يدع للسفاح ولا للمنصور ولا للمهدى ولا للهادى ولا للرشيد على المنابر بأوصافهم ولا كتبت في كتبهم حتى ولى الأمين فدعى له بالأمين على المنابر وكتب عنه من عبدالله محمد الأمين أمير المؤمنين وكذا قال العسكرى في الأوائل أول من دعى له بلقبه على المنابر الأمين ومن شعره الأمين يخاطب أخاه المأمون ويعيره بأمه لما بلغه عنه أنه يعدد مثالبه ويفضل نفسه عليه انشده الصولى % لا تفخرن عليك بعد بقية % والفخر يكمل للفتى المتكامل % % وإذا تطاولت الرجال بفضلها % فاربع فإنك لست المتطاول % % أعطاك ربك ما هويت وإنما % تلقى خلاف هواك عند مراجل % % تعلو المنابر كل يوم آملا % مالست من بعدى إليه بواصل % % فتعيب من يعلو عليك بفضله % وتعيد في حقى مقال الباطل % قلت هذا نظم عال فإن كان له فهو أحسن من نظم أخيه وأبيه قال الصولى ومما رواه جماعة له في خادمه كوثر وقد سقاه وهو على بساط نرجس والبدر قد طلع وقد رواه بعضهم للحسين بن الضحاك الخليع وكان نديمه لا يفارقه % وصف البدر حسن وجهك حتى % خلت أنى أراه لست أراكا % % وإذا ما تنفس النرجس الغض % توهمته نسيم ثناكا % خدع للمنى تعللنى فيك % بإشراق ذا ونكهة ذاكا % لأقيمن ما حييت على الشكر % لهذا وذاك إذ حكياكا % وله في خادمه أيضا % ما يريد الناس من صب بمن يهوى كثيب %

% كوثر دينى ودنيا % ى وسقمى وطبيبى % % أعجز الناس الذى % يلحى محبا في حبيب % وله لما يئس من الملك وعلا عليه طاهر % يا نفس قد حق الحذر % أين المفر من القدر % % كل امرىء مما يخا % ف ويرتجيه على خطر % % من يرتشف صفو الزما %

ن يغص يوما بالكدر % وأسند الصولى أن الأمين قال لكاتبه اكتب من عبدالله محمد أمير المؤمنين إلى طاهر بن الحسن سلام عليك أما بعد فإن الأمر قد خرج بينى وبين أخى إلى هتك الستور وكشف الحرم ولست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد لشتات ألفتنا واختلاف كلمتنا وقد رضيت أن تكتب لى أمانا لأخرج إلى أخى فإن تفضل على فأهل لذلك وإن قتلنى فمروة كسرت مروة وصمصامة قطعت صمصامة ولن يفترسنى السبع احب إلى من أن ينبحنى الكلب فأبى طاهر عليه وأسند عن إسماعيل بن أبي محمد اليزيدى قال كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفحصان به ويقول كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم الي البدو حتي يتفصحوا وأنتم أولى بالفصاحة منهم قال الصولى ولا نعرف للأمين رواية في الحديث إلا هذا الحديث الواحد حدثنا المغيرة بن محمد المهلبى قال رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بنى هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل فسالوه عن الأمين وأدبه فوصف الحسين أدبا كثيرا قيل فالفقه قال كان المأمون أفقه منه قيل فالحديث قال ما سمعت منه حديثا إلا مرة فإنه نعى إليه غلام له مات بمكة فقال حدثنى ابي عن أبيه عن المنصور عن ابيه عن علي بن عبدالله عن ابن عباس عن ابيه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من مات محرما حشر ملبيا

قال الثعالبي في لطائف المعارف كان ابو العيناء يقول لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولى عهد فإن المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدى عمها والرشيد زوجها والأمين ابنها والمأمون والمعتصم ابنا زوجها والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها وأما ولاة العهود فكثيرة ونظيرتها من بنى أمية عاتكة بنت يزيد بن معاوية يزيد أبوها ومعاوية جدها ومعاوية بن يزيد أخوها ومروان بن الحكم حموها وعبد الملك زوجها ويزيد ابنها والوليد بن يزيد ابن ابنها والوليد وهشام وسليمان بنو زوجها ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد عبدالملك ابنا ابن زوجها المأمون عبدالله أبو العباس المأمون عبدالله أبو العباس بن الرشيد ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهى الليلة التى مات فيها الهادى واستخلف أبوه وأمه أم ولد اسمها مراجل ماتت في نفاسها به وقرأ العلم في صغره سمع الحديث من أبيه وهشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وإسماعيل بن علية وحجاج الأعور وطبقتهم وادبه اليزيدى وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وايام الناس ولما كبر عنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن روى عنه ولده الفضل ويحيى بن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسى والأمير عبدالله بن الطاهر وأحمد بن الحارث الشيعى ودعبل الخزاعى وآخرون وكان أفضل رجال بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة وسوددا وسماحة وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول في خلق القرآن ولم يل الخلافة من بنى عباس أعلم منه وكان فصيحا مفوها وكان يقول معاوية بعمره وعبدالملك بحجاجه وأنا بنفسي وكان يقال لبنى عباس فاتحة وواسطة وخاتمة الفاتحة السفاح والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد وقيل إنه ختم في بعض المضانات ثلاثا وثلاثين

ختمة وكان معروفا بالتشيع وقد حمله ذلك على خلع أخيه المؤتمن والعهد بالخلافة إلى على الرضى كما سنذكره قال أبو معشر المنجم كان المأمون أمارا بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء وعن الرشيد قال إنى لأعرف في عبدالله حزم المنصور ونسك المهدى وعزة الهادى ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع يعنى نفسه لنسبته وقد قدمت محمدا عليه وإنى لأعلم أنه منقاد إلى هواه مبذر لما حوته يده يشاركه في رأيه الإماء والنساء ولولا أم جعفر وميل بنى هاشم لقدمت عبدالله عليه استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه سنة ثمان وتسعين وهو بخرسان واكتنى بأبى جعفر قال الصولى وكانوا يحبون هذه الكنية لأنها كنية المنصور وكان لها في نفوسهم جلالة وتفاؤل بطول عمر من كنى بها كالمنصور والرشيد وفي سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولى العهد من بعده على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق حمله على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه وهو الذي لقبه الرضى وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته وكتب إلى الآفاق بذلك وأمر بترك السواد ولبس الخضرة فاشتد ذلك على بنى العباس جدا وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدى ولقب المبارك فجهز المأمون لقتاله وجرت أمور وحروب وسار المأمون إلى نحو العراق فلم ينشب على الرضى أن مات في سنة ثلاث فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا ببيعته لعلى وقد مات فردوا جوابه أغلظ جواب فسار المأمون وبلغ إبراهيم بن المهدى تسلل الناس من عهده فاختفى في ذى الحجة فكانت أيامه سنتين إلا أياما وبقى في أختفائه مدة ثمان سنين ووصل المأمون بغداد في صفر

سنة أربع فكلمه العباسيون وغيرهم في العود إلى لبس السواد وترك الخضرة فتوقف ثم أجاب إلى ذلك

وأسند الصولى أن بعض آل بيته قالت إنك على بر أولاد على بن أبي طالب والأمر فيك أقدر منك على برهم والأمر فيهم فقال إنما فعلت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولى ولم يول أحدا من بنى هاشم شيئا ثم عمر ثم عثمان كذلك ثم ولى على فولى عبدالله بن عباس البصرة وعبيدالله اليمن ومعبدا مكة وقثم البحرين وما ترك أحدا منهم حتى ولاه شيئا فكانت هذه منة في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت وفي سنة عشر تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل وبلغ جهازها ألوفا كثيرة وقام أبوها بخلع القواد وكلفتهم مدة سبعة عشر يوما وكتب رقاعا فيها أسماء ضياع له ونثرها على القواد والعباسيين فمن وقعت يده رقعة باسم ضيعة تسلمها ونثر صينية ملئت جوهرا بين يدى المأمون عند ما زفت إليه وفي سنة إحدى عشرة أمر المأمون بأن ينادى برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير وأن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب وفي سنة اثنتى عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إلى تفضيل على على أبي بكر وعمر فإشمأزت النفوس منه وكاد البلد يفتتن ولم يلتئم له من ذلك ما أراد فكف عنه إلى سنة ثمان عشرة وفي سنة خمس عشرة سار المأمون إلى غزو الروم ففتح حصن قرة عنوة وحصن ماجدة ثم سار الى دمشق ثم عاد في سنة ست عشرة إلى الروم وافتتح عدة حصون ثم عاد إلى دمشق ثم توجه إلى مصر ودخولها فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين ثم عاد في سنة سبع عشرة إلى دمشق والروم وفي سنة ثمان عشر امتحن الناس بالقول في خلق القرآن فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعى بن عمر طاهر بن الحسن في امتحان العلماء كتابا يقول فيه وقد عرف أمير المؤمنك أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر

من حشوة الرعية وسفلة العامة ممن لا نظر له ولا روية ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه أهل جهالة بالله وعمى عنه وضلالة عن حقيقة دينه وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفوه كنه معرفته ويفرقوا بينه وبين خلقه وذلك أنهم ساووا بين الله وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه وقد قال الله تعالى ^ إنا جعلناه قرآنا عربيا ^ فكل ما جعله الله فقد خلقه كما قال الله تعالى ^ وجعل الظلمات والنور ^ وقال ^ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ^ فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وقال ^ أحكمت آياته ثم فصلت ^ والله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه ثم انتسبوا إلى السنة وأظهروا أنهم أهل الحق والجماعة وأن من سواهم أهل الباطل والكفر فاستطالوا بذلك وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله إلى موافقتهم فتركوا الحق إلى باطلهم واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم إلى أن قال فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة المنقوصون من التوحيد حظا وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أوليائه والهائل على أعدائه من أهل دين الله وأحق من يتهم في صدقه وتطرح شهادته ولا يوثق به من عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالله وبالتوحيد وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ولعمر أمير المؤمنين إن اكذب الناس من كذب على الله ووحيه وتخرص الباطل ولم يعرف الله حق معرفته فاجمع من بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا وامتحنهم فيما يقولون واكشفهم عما يعتقدون في خلقه وإحداثه وأعلمهم أنى غير مستعين في عملى ولا واثق بمن لا يوثق بدينه فإذا أقروا بذلك ووافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود ومسألتهم عن علمهم في القرآن وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك وكتب المأمون إليه أيضا في أشخاص سبعة أنفس وهم محمد بن سعد كاتب الواقدى ويحيى بن معين وأبو خيثمة وأبو مسلم مستملى

يزيد بن هارون وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقى فأشخصوا إليه فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه فردهم من الرقة إلى بغداد وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولا ثم أجابوه تقية وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة ففعل ذلك فأجابه طائفة وامتنع آخرون فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفا من السيف ثم كتب المأمون كتابا آخر من جنس الأول إلى أسحاق وأمره بإحضار من امتنع فأحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل وبشر بن الوليد الكندى وأبو حسان الزيادى وعلى بن أبي مقاتل والفضل بن غانم وعبيدالله بن عمرو القواريرى وعلى بن الجعد وسجادة والذيال بن الهيثم

وقتيبة بن سعيد وسعدوية الواسطى وإسحاق بن أبي اسرائيل وابن الهرس وابن علية الأكبر ومحمد بن نوح العجلى ويحيى بن عبدالرحمن العمرى وأبو نصر التمار وأبو معمر القطيعى ومحمد بن حاتم بن ميمون وغيرهم وعرض عليهم كتاب المأمون فعرضوا ووروا ولم يجيبوا ولم ينكروا فقال لبشر بن الوليد ما تقول قال قد عرفت أمير المؤمنين غير مرة قال والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب قال أقول كلام الله قال لم أسألك عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه ثم قال لعلى بن أبي مقاتل ما تقول قال القرآن كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا وأجاب أبو حسان الزيادي بنحو من ذلك ثم قال لأحمد بن حنبل ما تقول قال كلام الله قال أمخلوق هو قال هو كلام الله لا أزيد على هذا قال ابن البكاء الأكبر أقول القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلك فقال له إسحاق بن إبراهيم والمجعول مخلوق قال نعم قال فالقرآن مخلوق

قال لا أقول مخلوق ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون فورد عليه كتاب المأمون بلغنا ما أجاب به متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل فمن لم يجب أنه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية ويقول الكتاب فأما ما قال بشر فقد كذب لم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه عهد أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص والقول بأن القرآن مخلوق فادع به إليك فإن تاب فأشهر أمره وإن أصر على شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده فاضرب عنقه وابعث إلينا برأسه وكذلك إبراهيم بن المهدى فامتحنه فإن أجاب وإلا فاضرب عنقه وأما على بن أبي مقاتل فقل له ألست القائل لأمير المؤمنين إنك تحلل وتحرم وأما الذيال فأعلمه أنه كان في الطعام الذي يسرقه من الأنبار ما يشغله وأما احمد بن يزيد أبو العوام وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن فأعلمه أنه صبي في عقله لا في سنه جاهل يحسن الجواب إذا أدب ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك وأما أحمد بن حنبل فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته واستدل على جهله وأفنه بها وأما الفضل بن غانم فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان فيه بمصر وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة يعنى ولاية القضاء واما الزيادى فأعلمه أنه كان منتحلا ولاء أول دعى فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد ابن أبيه وذكر أنه إنما قيل له الزيادى لأمر من الأمور قال وأما أبو نصر التمار فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره وأما ابن نوح والمعروف بأبي معمر وابن حاتم فأعلمهم انهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد وإن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله إلا لإربائهم وما نزل به كتاب الله في أمثالهم لاستحل ذلك فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا وصاروا للنصارى شبها وأما ابن شجاع فأعلمه أنك صاحبه بالأمس والمستخرج منه ما استخرجته من

المال الذى كان استحله من مال على بن هشام واما سعدويه الواسطى فقل له قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث والحرص على الرئاسة فيه أن يتمنى وقت المحنة واما المعروف بسجادة وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس العلماء القول بأن القرآن مخلوق فأعلمه أن في شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجادته وبالودائع التى دفعها إليه على بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وأما القواريرى ففيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه وأما يحيى العمرى فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التى حكيت عنه وإنه بعد صبى محتاج إلى أن يعلم وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن فجمجم عنها وتلجلج فيها حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فأقر ذميما فانصصه عن إقراره فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت بعد بشر وابن المهدى فاحملهم موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم فإن لم يرجعوا فاحملهم على السيف قال فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد بن حنبل وسجادة ومحمد ابن نوح والقواريرى فأمر بهم إسحاق فقيدوا ثم سألهم من الغد وهم في القيود فأجاب سجادة ثم عاودهم ثالثا فأجاب القواريرى ووجه بأحمد ابن حنبل ومحمد بن نوح إلى الروم ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا مكرهين فغضب وأمر بإحضارهم إليه فحملوا إليه فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه ولطف الله بهم وفرج عنهم وأما المأمون فمرض بالروم فلما اشتد مرضه طلب ابنه العباس ليقدم عليه وهو يظن انه لا يدركه فأتاه وهو مجهود وقد نفذت الكتب إلى البلدان فيها

من عبدالله المأمون وأخيه أبي إسحاق الخليفة من بعده بهذا النص فقيل إن ذلك وقع بأمر المأمون وقيل بل كتبوا ذلك وقت غشى أصابه

ومات المأمون يوم الخميس لاثنتى عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة بالبدندون من أقصى الروم ونقل إلى طرطوس فدفن بها قال المسعودى كان نزل على عين البدندون فأعجبه برد مائها وصفاؤه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فرأى فيها سمكة كأنها سبيكة فضة فأعجبته فلم يقدر احد يسبح في العين لشدة بردها فجعل لمن يخرجها سيفا فنزل فراش فاصطادها وطلع فاضطربت وفرت إلى الماء فتنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه ثم نزل الفراش ثانية فأخذها فقال المأمون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح فأوقدت حوله نار فأتى بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله ثم افاق المأمون من غمرته فسأل عن تفسير المكان بالعربي فقيل مد رجليك فتطير به ثم سأل عن اسم البقعة فقيل الرقة وكان فيما عمل من مولده أنه يموت بالرقة فكان يتجنب نزول الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس وقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما وردت وفاته بغداد قال أبو سعيد المخزوى % هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون % أو عن ملكه المأسوس % % خلفوه بعرصتى طرسوس % مثل ما خلفوا أباه بطوس %

قال الثعالبي لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبرا من الرشيد والمأمون

قال وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد ولم

ير الناس مثلهم فقبر عبدالله بالطائف وعبيدالله بالمدينة والفضل بالشام وقثم بسمرقند ومعبد بإفريقية

فصل في نبذ من أخبار المأمون قال نفطويه حدثنا حامد بن العباس بن الوزير

قال كنا بين يدى المأمون فعطس فلم نشمته فقال لم لا تشمتونني قلنا أجللناك يا أمير المؤمنين قال لست من الملوك التى تتجال عن الدعاء واخرج ابن عساكر عن أبي محمد اليزيدى قال كنت أؤدب المأمون فأتيته يوما وهو داخل فوجهت إليه بعض الخدم يعلمه بمكانى فأبطأ ثم وجهت إليه آخر فأبطأ فقلت إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة فقيل أجل ومع هذا إنه إذا فارقك تعرم على خدمه ولقوا منه أذى شديدا فقومه بالأدب فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر قال فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل هذا جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منه منديلا فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد متربعا ثم قال ليدخل فدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكونى إليه فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه ثم خرج فجئت فقلت لقد خفت أن تشكونى إلى جعفر فقال لي يا أبا محمد ما كنت أطلع الرشيد على هذه فكيف بجعفر إنى احتاج إلى أدب وأخرج عن عبدالله بن محمد التيمى قال اراد الرشيد سفرا فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك واعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع فمضى الأسبوع ولم يخرج فاجتمعوا إلى المأمون فسألوه أن يستعلم ذلك ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر فكتب إليه المأمون % يا خير من دبت المطبه % ومن تقدى بسرجه فرس % % هل غاية في المسير نعرفها % أم أمرنا في المسير ملتبس % % ما علم هذا إلا إلى ملك % من نوره في الظلام نقتبس %

% إن سرت سار الرشاد متبعا % وإن تقف فالرشاد محتبس % فقرأها الرشيد فسر بها ووقع فيها يا بنى ما أنت والشعر إنما الشعر ارفع حالات الدنى وأقل حالات السرى تقدى أى استمر واخرج عن الأصمعى قال كان نقش خاتم المأمون عبدالله ابن عبدالله واخرج عن محمد بن عبدالله قال لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان والمأمون قلت وقد رددت هذا الحصر فيما تقدم واخرج عن ابن عيينة قال جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت يا أمير المؤمنين مات أخى وخلف ستمائة دينار أعطونى دينارا وقالوا هذا نصيبك قال فحسب المأمون ثم كسر الفريضة ثم قال لها هذا نصيبك فقال له العلماء كيف علمت يا أمير المؤمنين فقال هذا الرجل خلف ابنتين قالت نعم قال فلهن الثلثان أربعمائة وخلف والدة فلها السدس مائة وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون وبالله ألك اثنا عشر أخا قالت نعم قال أصابهم ديناران وأصابك دينار وأخرج عن محمد بن حفص الأنماطى قال تغدينا مع المأمون في يوم عيد فوضع على مائدته أكثر من ثلثمائة لون قال فكلما وضع لون نظر المأمون إليه فقال هذا نافع لكذا ضار لكذا فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا ومنقصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا فقال له يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين

إن خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه أو في الفقه كنت على بن أبي طالب رضى الله عنه في علمه أو ذكر السخاء كنت حاتم طيىء في صفته أو صدق الحديث كنت أبا ذر في لهجته أو الكرم فأنت كعب بن أمامة في فعاله أو الوفاء فأنت السموأل بن عاديا في وفائه فسر بهذا الكلام وقال إن الإنسان إنما فضل بعقله ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم وأخرج عن يحيى بن أكثم قال ما رأيت أكمل من المأمون بت عنده ليلى فانتبه فقال يا يحيى انظر إيش عند رجلى فنظرت فلم أر شيئا فقال شمعة فتبادر الفراشون فقال انظروا فنظروا فإذا تحت فراشه حية بطوله فقتلوها فقلت قد انضاف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب فقال معاذالله ولكن هتف في هاتف الساعة وأنا نائم فقال % يا راقد الليل انتبه % إن الخطوب لها سرى % % ثقة الفتى بزمانه % ثقة محللة العرى % فانتبهت فعلمت أن قد حدث أمر إما قريب وإما بعيد فتأملت ما قرب فكان ما رأيت وأخرج عن عمارة بن عقيل قال قال لى ابن أبي حفصة الشاعر أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر فقلت من ذا يكون أفرس منه والله إنا للنشد أول البيت فيسبق إلى آخره من غير أن يكون سمعه قال إنى أنشدته بيتا أجدت فيه لم أراه تحرك له وهو هذا % أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا % بالدين والناس في الدنيا مشاغيل % فقلت له ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحة فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولا عنها وهو المطوق لها ألا قلت كما قال عمك في الوليد

% فلا هو في الدنيا يضيع نصيبه % ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله % قال ابن عساكر أخبرنا أبو العز بن كادش حدثنا محمد بن الحسن حدثنا المعافى بن زكريا حدثنا محمد بن محمود بن ابي الأزهر الخزاعى حدثنا الزبير بن بكار حدثنى النضر بن شميل قال دخلت على المأمون بمرو وعلى أطمار فقال لي يا نضر أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب فقلت يا أمير المؤمنين إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق قال لا ولكنك تتقشف فتجارينا الحديث فقال المأمون حدثنى هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز قلت صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم حدثنى عوف الأعرابي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد بالكسر من عوز وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال السداد لحن يا نضر قلت نعم ههنا وإنما لحن هشيم وكان لحانا فقال ما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في السبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أفتعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى من ولد عثمان بن عفان يقول % أضاعونى واى فتى أضاعوا % ليوم كريهه وسداد ثغر % فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا أدب له ثم قال أنشدنى يا نضر أخلب بيت للعرب قلت قول ابن بيض في الحكم بن مروان % تقول لى العيون هاجعة % أقيم علينا يوما فلم أقم % % أى الوجوه انتجعت قلت لها % لأى وجه إلا إلى الحكم % % متى يقل حاجبا سرادقه % هذا ابن بيض بالباب يبتسم % % قد كنت أسلمت فيك مقتبلا % هيهات ادخل فأعطنى سلمى % أسلمت أسلفت مقتبلا آخذ قبيلا أى كفيلا قال أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت قول ابن أبي عروبة المدينى % إنى وإن كان ابن عمى عاتبا % لمزاحم من خلفه وورائه % % ومفيده نصرى وإن كان أمرا % متزحزحا في أرضه وسمائه % % وأكون والى سره وأصونه حتى يحن إلى وقت أدائه % وإذا الحوادث أجحفت بسوامه % قرنت صحيحتنا إلى جربائه % % وإذا دعا باسمى ليركب مركبا % صعبا قعدت له على سيسائه % وإذا أتى من وجهه % لم أطلع فيما وراء خبائه % % وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل % يا ليت أن على حسن ردائه % قال أنشدنى أقنع بيت للعرب فأنشدته قول ابن عبدل % إنى امرؤ لم أزل وذاك من % الله أديبا أعلم الأدبا % % اقيم بالدار ما اطمأن بي الدار % وإن كنت نازحا طربا % % لا أحتوى خلة الصديق ولا % أتبع نفسي شيئا إذا ذهبا % أطلب ما يطلب الكريم % من الرزق بنفسي وأجمل الطلبا % % إنى رأيت الفتى الكريم إذا % رغبته في صنيعه رغبا % % والعبد لا يطلب العلاء ولا % يعطيك شيئا إلا إذا رهبا % % مثل الحمار الموقع السوء لا % يحسن شيئا إلا إذا ضربا % % ولم أجد عروة العلائق إلا الدين % لما اختبرت والحسبا % % وقد يرزق الخافض المقيم وما شد بعيس رحلا ولا قتبا % % ويحرم الرزق ذو المطية والرحل % ومن لا يزال مغتربا %

قال أحسنت يا نضر وأخذ القرطاس فكتب شيئا لا أدرى ما هو ثم قال كيف

تقول افعل من التراب قلت أترب قال ومن الطين قلت طن قال فالكتاب ماذا قلت مترب مطين قال هذه أحسن من الأولى فكتب لى بخمسين ألف درهم ثم أمر الخادم أن يوصلنى إلى الفضل بن سهل فمضيت معه فلما قرأ الكتاب قال يا نضر لحنت أمير المؤمنين قلت كلا ولكن هشيم لحانه فتبع أمير المؤمنين لفظه فأمر لى من عنده بثلاثين ألفا فخرجت إلى منزلى بثمانين ألفا وأخرج الخطيب عن محمد بن زياد الأعرابي قال بعث إلى المأمون فصرت إليه وهو في بستان يمشى مع يحيى بن أكثم فرأيتهما موليين فجلست فلما أقبلا قمت فسلمت عليه بالخلافة فسمعته يقول ليحيى يا أبا محمد ما أحسن أدبه رآنا موليين فجلس ثم رآنا مقبلين فقام ثم رد على السلام فقال اخبرنى عن قول هند بنت عتبة % نحن بنات طارق % نمشى على النمارق % مشى قطا الهمارق % من طارق هذا فنظرت في نسبها فلم أجده فقلت يا أمير المؤمنين ما أعرفه في نسبها فقال إنما أرادت النجم وانتسبت إليه لحسنها من قول الله تعالى والسماء والطارق فقلت فأيده أمير المؤمنين فقال أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبؤه ثم رمى إلى بعنبرة كان يقلبها في يده بعتها بخمسة آلاف درهم واخرج عن أبي عبادة قال كان المأمون أحد ملوك الأرض وكان يجب له هذا الاسم على الحقيقة واخرج عن ابن أبى دؤاد قال دخل رجل من الخوارج على المأمون فقال له المأمون ما حملك على خلافنا قال آية في كتاب الله قال وما هي

قال قوله تعالى ^ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ^ قال ألك علم بأنها منزلة قال نعم قال وما دليلك قال إجماع الأمة قال فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض باجماعهم في التأويل قال صدقت السلام عليك يا أمير المؤمنين وأخرج ابن عساكر عن محمد بن منصور قال قال المأمون من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من هو دونه وأخرج عن سعيد بن مسلم قال قال المأمون لوددت أن أهل الجرائم عرفوا رأيى في العفو ليذهب عنهم الخوف ويخلص السرور إلى قلوبهم وأخرج عن إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال وقف رجل بين يدى المأمون قد جنى جناية فقال له والله لأقتلنك فقال يا أمير المؤمنين تأن على فإن الرفق نصف العفو قال وكيف وقد حلفت لأقتلنك فقال لأن تلقى الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا فخلى سبيله وأخرج الخطيب عن أبي الصلت عبدالسلام بن صالح قال بت عندالمأمون ليلة فنام القيم الذى الذى كان يصلح السراج فقام المأمون وأصلحه وسمعته يقول ربما اكون في المتوضأ فيشتمنى الخدام ويفترون على ولا يدرون أنة أسمع فأعفو عنهم وأخرج الصولى عن عبدالله بن البواب قال كان المأمون يحلم حتى يغيظنا وجلس مرة يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه فمر ملاح وهو يقول أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عينى وقد قتل أخاه قال فوالله ما زاد على أن تبسم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

وأخرج الخطيب عن يحيى بن اكثم قال ما رأيت أكرم من المأمون بت عنده ليلة فأخذه السعال فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أنتبه وكان يقول أول العدل أن يعدل الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ إلى الطبقة السفلى وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن خالد البرمكى قال قال لى المأمون يا يحيى اغتنم قضاء حوائج الناس فإن الفلك أدور والدهر أجور من أن يترك لأحد حالا أو يبقى لأحد نعمة وأخرج عن عبدالله بن محمد الزهرى قال قال المأمون غلبة الحجة احب إلى من غلبة القدرة لأن غلبةالقدرة تزول بزوالها وغلبة الحجة لا يزيلها شيء واخرج عن العتبي قال سمعت المأمون يقول من لم يحمدك على حسن النية لم يشكر على جميل الفعل وأخرج عن أبي العالية قال سمعت المأمون يقول ما أقبح اللجاجة بالسلطان وأقبح من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهم وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين وأقبح منه البخل بالأغنياء والمزاح بالشيوخ والكسل بالشباب والجبن بالمقاتل وأخرج عن على بن عبدالرحيم المروزى قال قال المأمون أظلم الناس لنفسه من يتقرب إلى من يبعده ويتواضع لمن لا يكرمه ويقبل مدح من لا يعرفه وأخرج عن مخارق قال أنشدت المأمون قول أبي العتاهية % وإنى لمحتاج إلى ظل صاحب % يروق ويصفو إن كدرت عليه %

فقال لى اعد فأعدت سبع مرات فقال لى يا مخارق خذ منى الخلافة وأعطنى هذا الصاحب وأخرج عن هدبة بن خالد قال حضرت غداء

المأمون فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما في الأرض فنظر إلى المأمون فقال أما شبعت قلت بلى ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من أكل ما تحت مائدة أمن من الفقر فأمر لى بألف دينار وأخرج عن الحسن بن عبدوس الصفار قال لما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل اهدى الناس إلى الحسن فأهدى له رجل فقير مزودين في احدهما ملح وفي الآخر أشنان وكتب إليه جعلت فداك خفة البضاعة قصرت ببعد الهمة وكرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لى فيها فوجهت إليك بالمبتدإبه ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته فأخذ الحسن المزودين ودخل بهما على المأمون فاستحسن ذلك وأمر بهما ففرغا وملئا دنانير وأخرج الصولى عن محمد بن القاسم قال سمعت المأمون يقول أنا والله ألذ العفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه ولو علم الناس مقدار محبتى للعفو لتقربوا إلى بالذنوب واخرج الخطيب عن المنصور البرمكى قال للرشيد جارية وكان المأمون يهواها فبينما هى تصب على الرشيد من إبريق معها والمأمون خلفه إذ أشار إليها بقبلة فزجرته بحاجبها وأبطأت عن الصب فنظر إليها هارون الرشيد فقال ما هذا فتلكأت عليه فقال إن لم تخبرينى لأقتلنك فقالت أشار إلى عبدالله بقبلة فالتفت إليه وإذا هو قد نزل به من الحياء

والرعب ما رحمه منه فاعتنقه وقال أتحبها قال نعم قال قم فادخل بها في تلك القبة فقام فلما خرج قال له قل في هذا شعرا فقال % ظبى كنيت بطرفى % عن الضمير إليه % % قبلته من بعيد % فاعتل من شفتيه % % ورد أحسن رد % بالكسر من حاجبيه % % فما برحت مكانى % حتى قدرت عليه % وأخرج ابن عساكر عن أبي خليفة الفضل بن الحباب قال سمعت بعض النخاسين يقول عرضت على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدبة شطرنجية فساومته في ثمنها بألفى دينار فقال المأمون إن هى أجازت بيتا أقوله ببيت من عندها اشتريتها بما تقول وزدتك فأنشد المأمون % ماذا تقولين فيمن شفه أرق % من جهد حبك حتى صار حيرانا % فأجازته % إذا وجدنا محبا قد أضر به % داء الصبابة أولياه إحسانا % وأخرج الصولى عن الحسين الخليع قال لما غضب على المأمون ومنعنى رزقا لى عملت قصيدة أمتدحه بها ودفعتها إلى من أوصلها إليه وأولها % أجرنى فإنى قد ظمئت إلى الوعد % متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد % أعيذك من خلف الملوك وقد ترى % تقطيع أنفاسى عليك من الوجد % % أيبخل فرد الحسن عنى بنائل % قليل وقد أفردته بهوى فرد % إلى أن قال % رأى الله عبدالله خير عباده % فملكه والله أعلم بالعبد %

% ألا إنما المأمون للناس عصمة % مفرقة بين الضلالة والرشد % فقال المأمون قد أحسن إلا أنه القائل % أعيناى جودا وابكيالى محمدا % ولا تذخرا دمعا عليه وأسعدا % % فلا تمت الأشياء بعد محمد % ولا زال شمل الملك فيه مبددا % % ولا فرح المأمون بالملك بعده % ولا زال في الدنيا طريدا مشردا % فهذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له الحاجب فأين عادة أمير المؤمنين في العفو فقال أما هذا فنعم فأمر له بجائزة ورد رزقه عليه وأخرج عن علية عن حماد بن إسحاق قال قدم المأمون بغداد جلس للمظالم كل يوم احد إلى الظهر وأخرج عن محمد بن العباس قال كان المأمون يحب لعب الشطرنج شديدا ويقول هذا يشحذ الذهن واقترح فيها أشياء وكان يقول لا أسمعن أحدا يقول تعال حتى نلعب ولكن يقول نتداول أو نتناقل ولم يكن حاذقا بها وكان يقول أنا أدبر الدنيا فأتسع لذلك وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين وأخرج عن ابن أبى سعيد قال هجا دعبل المأمون فقال % إنى من القوم الذين سيوفهم % قتلت أخاك وشرفتك بمقعد % % شادوا بذكرك بعد طول خموله % واستنقذوك من الحضيض الأوهد % فلما سمع المأمون لم يزد على أن قال ما أقل حياء دعبل متى كنت خاملا وقد نشأت في حجر الخلفاء ولم يعاقبه وأخرج من طرق عدة أن المأمون كان يشرب النبيذ وأخرج عن الجاحظ قال كان أصحاب المأمون يزعمون أن لون وجهه وجسده لون واحد سوى ساقيه فإنهما صفراوان كأنهما طليتا بالزعفران

وأخرج عن أسحاق الموصلى قال قال المأمون ألذ الغناء ما طرب له السامع خطأ كان أو صوابا وأخرج عن على بن الحسين قال كان محمد بن حامد واقفا على رأس المأمون وهو يشرب فاندفعت عريب فغنت بشعر النابغة الجعدى % كحاشية البرد اليمانى المسهم % فأنكر المأمون أن لا تكون ابتدأت بشيء فأمسك القوم فقال نفيت من الرشيد لئن لم أصدق عن هذا لأقرن بالضرب الوجيع عليه ثم لأعاقبن عليه أشد العقوبة ولئن صدقت لأبلغن الصادق أمله فقال محمد ابن حامد أنا يا سيدى أومأت إليها بقبلة فقال الآن جاء الحق صدقت أتحب أن أزوجك بها قال نعم فقال المأمون الحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين لقد زوجت محمد بن حامد

عريب مولاتى ومهرتها عنه أربعمائة درهم وعلى بركة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خذ بيدها فقامت معه فصار المعتصم إلى الدهليز فقال له الدلالة قال لك ذاك قال دلالتى أن تغنينى الليلة فلم تزل تغنيه إلى السحر وابن حامد على الباب ثم خرجت فأخذت بيده ومضت عليه وأخرج عن ابن أبي داؤد قال اهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فيها مائتا رطل مسك ومائتا جلد سمور فقال أضعفوها له ليعلم عز الإسلام وأخرج عن إبراهيم بن الحسن قال قال المدائنى للمأمون إن معاوية قال بنو هاشم أسود واحداء ونحن أكثر سيدا فقال المأمون إنه قد أقر وادعى فهو في ادعائه خصم وفي إقراره مخصوم وأخرج عن أبي أمامة قال حدثنى بعض أصحابنا أن أحمد بن أبى خالد قرأ القصص يوما على المأمون فقال فلان الثريدى وهو اليزيدى

فضحك المأمون وقال يا غلام هات الطعام لأبى عباس فإنه أصبح جائعا فاستحيي وقال ما أنا بجائع ولكن صاحب القصة احمق نقط الياء بنقط الثاء فقال على ذلك فجاءه بطعام فأكل حتى انتهى ثم عاد فمر في قصة فلان الحمصى فقال الخبيصى فضحك المأمون وقال يا غلام جامة فيها خبيص فقال إن صاحب القصة كان أحمق فتح الميم فصارت كأنها سنتان فضحك وقال لولا حمقهما لبقيت جائعا وأخرج عن أبي عباد قال ما أظن الله خلق نفسا هى أنبل من نفس المأمون ولا أكرم وكان قد عرف شره أحمد بن أبى خالد فكان إذا وجهه في حاجة غداه قبل أن يرسله ورفع إليه في قصة إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبى خالد نزلا فإنه يعين الظالم بأكله فأجرى عليه المأمون ألف درهم كل يوم لمائدته وكان مع هذا يشره إلى طعام الناس فقال دعبل الشاعر % شكرنا الخليفة إجراءه % على ابن أبى خالد نزله % % فكف أذاه عن المسلمين % وصير في بيته شغله % وأخرج عن ابن أبي داؤد قال سمعت المأمون يقول لرجل إنما هو غدر أو يمن قد وهبتهما لك ولا تزال تسيء وأحسن وتذنب وأغفر حتى يكون العفو هو الذى يصلحك واخرج عن الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكى والمأمون وأخرج السلفى في الطيوريات عن حفص المدايني قال أتى المأمون بأسود

قد ادعى النبوة وقال أنا موسى بن عمران فقال له المأمون إن موسى بن عمران أخرج يده من جيبه بيضاء فأخرج يدك بيضاء حتى أومن بك فقال الأسود إنما جعل ذلك لموسى لما قال له فرعون أنا ربكم الأعلى فقل أنت كما قال فرعون حتى أخرج يدي بيضاء وإلا لم تبيض وأخرج أيضا أن المأمون قال ما انفتق على فتق إلا وجدت سببه جور العمال وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن أكثم قال كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فجاء رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف على طرف البساط وقال السلام عليكم فرد عليه المأمون فقال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت فيه جلسته باجتماع الأمة أم بالمغالبة والقهر قال لا بهذا ولا بهذا بل كان يتولى أمر المسلمين من عقد لى ولأخى فلما صار الأمر إلى علمت أنة محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على الرضا بى رأيت أنى متى خليت الأمر اضطرب حبل الإسلام ومرج أمرهم وتنازعوا وبطل الجهاد والحج وانقطعت السبل فقمت حياطة للمسلمين إلى أن يجمعوا على رجل يرضون به فأسلم إليه الأمر فمتى اتفقوا على رجل خرجت له من الأمر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وذهب وأخرج عن محمد بن المنذر الكندى قال حج الرشيد فدخل الكوفة فطلب المحدثين فلم يتخلف إلا عبدالله بن إدريس وعيسى بن يونس فبعث إليهما الأمين والمأمون فحدثهما ابن ادريس بمائة حديث فقال المأمون يا عم أتأذن لى أن أعيدها من حفظى قال نعم افعل فأعادها فعجب من حفظه وقال بعضهم استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس هكذا ذكره الذهبي مختصرا

وقال الفاكهى أول من كسا الكعبة الديباج الأبيض المأمون واستمر ذلك بعده إلى أيام الخليفة الناصر إلا أن محمود بن سبكتين كساها في خلال هذه المدة ديباجا أصفر ومن كلام المأمون لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال وقال أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر وإذا أدبر أن يقبل وقال أحسن المجالس ما نظر فيه إلى الناس وقال الناس ثلاثة فمنهم مثل الغذاء لا بد منه على كل حال ومنهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض ومنهم كالداء مكروه على كل حال وقال ما أعيانى جواب أحد مثل ما أعيانى جواب رجل من أهل الكوفة قدمه اهلها فشكا عاملهم فقلت كذبت بل هو رجل عادل فقال صدق أمير المؤمنين وكذبت أنا قد خصصتنا به في هذه البلدة دون باقى البلاد خذه واستعمله على بلد آخر يشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا فقلت قم في غير حفظ الله عزلته عنكم ومن شعر المأمون % لسانى

كتوم لأسراركم % ودمعى نموم لسرى مذيع % % فلولا دموعى كتمت الهوى % ولولا الهوى لم يكن لى دموع % وله في الشطرنج % ارض مربعة حمراء من أدم % ما بين إلفين معروفين بالكرم % % تذاكر الحرب فاحتلالها حيلا % من غير أن يأثما فيها بسفك دم % % هذا يغير على هذا وذاك على % هذا يغير وعين الحزم لم تنم % % فانظر إلى فطن جالت بمعرفة % في عسكرين بلا طبل ولا علم % واخرج الصولى عن محمد بن عمرو قال دخل أصرم بن حميد على المأمون وعنده المعتصم فقال يا أصرم صفنى وأخى ولا تفضل واحدا منا على صاحبه فأنشد بعد قليل

% رأيت سفينة تجرى ببحر % إلى بحرين دونهما البحور % % إلى ملكين ضوؤهما جميعا % سواء حاردونهما البصير % % كلا الملكين يشبه ذاك هذا % وذا هذا وذاك وذا أمير % % فإن يك ذا وذاك هذا % فلى فى ذا وذاك معا سرور % % رواق المجد ممدود على ذا % وهذا وجهه بدر منير %

ذكر أحاديث من رواية المأمون قال البهيقى سمعت الإمام أبا عبدالله الحاكم

قال سمعت أبا أحمد الصيرفى وسمعت جعفر بن ابى عثمان الطيالسي يقول صليت العصر في الرصافة خلف المأمون في المقصورة يوم عرفة فلما سلم كبر الناس فرأيت المأمون خلف الدرابزين وهو يقول لا يا غوغاء لا يا غوغاء غداسنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلما كان يوم الأضحى حضرت إلى الصلاة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا حدثنا هشيم بن بشير وحدثنا ابن شبرمة عن الشعبى عن البراء بن عازب عن أبى بردة بن دينار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذبح قبل أن يصلى فإنما هو لحم قدمه ومن ذبح بعد أن يصلى فقد أصاب السنة الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا اللهم أصلحنى واستصلحنى وأصلح على يدى قال الحاكم هذا حديث لم نكتبه إلا عن أبي أحمد وهو عندنا ثقة مأمون ولم يزل في القلب منه شيء حتى ذاكرت به ابا الحسن الدارقطنى فقال هذه الرواية عندنا صحيحة عن جعفر فقلت هل من متابع فيه لشيخنا أبي أحمد فقال نعم ثم قال حدثنى الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات حدثنى أبو الحسين محمد بن عبدالرحمن الروز باذى حدثنا محمد بن عبدالملك التاريخى قال الدارقطنى وما فيهم إلا ثقة مأمون حدثنا جعفر الطيالسي حدثنا يحيى بن معين قال سمعت المأمون فذكر الخطبة والحديث

وقال الصولى حدثنا جعفر الطيالسى حدثنا يحيى بن معين قال خطبنا المأمون ببغداد يوم الجمعة ووافق يوم عرفة فلما سلم كبر الناس فأنكر التكبير ثم وثب حتى أخذ بخشب المقصورة وقال يا غوغاء ما هذه التكبير في غير أيامه حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يلبى حتى رمى جمرة العقبة والتكبير في غد ظهرا عند انقضاء التلبية إن شاء الله تعالى وقال الصولى حدثنا أبو القاسم البغوى حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى قال كنا عند المأمون فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله فأحب عباد الله إلى الله عز وجل أنفعهم لعياله فصاح المأمون وقال اسكت أنا أعلم بالحديث منك حدثنيه يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق عيال الله فأحب عباد الله أنفعهم لعياله أخرجه من هذا الطريق ابن عساكر وأخرجه أبو يعلى الموصلى في مسنده غيره من طرق عن يوسف بن عطية وقال الصولى حدثنا المسيح بن حاتم العكلى حدثنا عبدالجبار بن عبدالله قال سمعت المأمون يخطب فذكر في خطبته الحياء فوصفه ومدحه ثم قال حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن أبي بكرة وعمران بن حصين قالا قال رسول صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان والإيمان من في الجنة والبذاءة من الجفاء والجفاء في النار أخرجه ابن عساكر من طريق يحيى بن أكثم عن المأمون وقال الحاكم حدثنا الحسين بن تميم حدثنا الحسين بن فهم حدثنا يحيى بن أكثم القاضى قال قال لى المأمون يوما يا يحيى إنى أريد ان أحدث فقلت ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين فقال ضعوا لى منبرا فصعد وحدث فأول

حديث حدثنا به عن هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا ثم نزل فقال لى يا يحيى كيف رأيت مجلسنا قلت أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاصة والعامة فقال لا وحياتك ما رأيت لكم حلاوة وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر وقال الخطيب حدثنا أبو الحسن

على بن القاسم الشاهد حدثنا أبو على الحسن بن محمد بن عثمان حدثنا الحسين بن عبيد الله الأبزارى حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهرى قال لما فتح المأمون مصر قال له قائل الحمد الله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوك وأدان لك العراقين والشامات ومصر وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ويحك إلا أنه بقيت لى خلة وهو أن أجلس في مجلس ويستملى يحيى فيقول لى من ذكرت رضى الله عنك فأقول حدثنا الحمادان حماد بن سلمة وحماد بن زيد قالا حدثنا ثابت البنانى عن أنس ابن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عال ابنتين أو ثلاثا أوأختين أو ثلاثا حتى يمتن أو يموت عنهن كان معى كهاتين في الجنة وأشار بالمسبحة والوسطى قال الخطيب في هذا الخبر غلط فاحش ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمادين وذلك أن مولد المأمون سنة سبعين ومات حماد بن سلمة في سنة سبع وستين قبل مولده بثلاث سنين وأما حماد بن زيد فمات في تسع وسبعين وقال الحاكم حدثنا بن يعقوب بن إسماعيل الحافظ حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال وقف المأمون يوما للأذان ونحن وقوف بين يديه إذ تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة فقال يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون إيش تحفظ في باب كذا فلم يذكر فيه شيئا فما زال المأمون يقول حدثنا هشيم وحدثنا الحجاج وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيئا فذكره المأمون ثم نظر إلى أصحابه

فقال يطلب احدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دراهم وقال ابن عساكر حدثنا محمد بن إبراهيم الغزى حدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن السرى التفليس وحدثنا أبو عبدالرحمن السلمى أخبرنى عبيدالله ابن محمد الزاهد العكبرى حدثنا عبدالله بن محمد بن مسيح حدثنا محمد بن المغلس حدثنا محمد بن السرى القنطرى حدثنا على بن عبدالله قال قال يحيى بن أكثم بت ليلة عند المأمون فانتبهت في جوف الليل وأنا عطشان فتقلبت فقال يا يحيى ما شأنك قلت عطشان فوثب من مرقده فجاءنى بكوز من ماء فقلت يا أمير المؤمنين ألا دعوت بخادم ألا دعوت بغلام قال لا حدثنى أبي عن أبيه عن جده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم وقال الخطيب حدثنا الحسن بن عثمان الواعظ حدثنا جعفر بن محمد بن الحاكم الواسطى حدثنى أحمد بن الحسن الكسائى حدثنا سليمان بن الفضل النهروانى حدثنى يحيى بن أكثم فذكر نحوه إلا أنه قال حدثنى الرشيد حدثنى المهدى حدثنى المنصور عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس حدثنى حرير ابن عبدالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيد القوم خادمهم وقال ابن عساكر حدثنا أبو الحسن على ابن أحمد حدثنا القاضى أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفى حدثنا محمد بن أحمد ابن محمد بن سليمان الغنجار حدثنا أبو أحمد على بن محمد بن عبدالله المروزى حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبدالرحمن الكاتب حدثنى محمد بن قدامة بن إسماعيل صاحب النضر بن شميل حدثنا أبو حذيفة البخارى قال سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مولى القوم منهم قال محمد بن قدامة فبلغ المأمون أن أبا حذيفة حدث بهذا عنه فأمر له بعشرة آلاف درهم

وفي أيام المأمون أحصيت أولاد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى وذلك في سنة مائتين وفي أيامه مات من الأعلام سفيان بن عيينة والإمام الشافعى وعبدالرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد القطان ويونس بن بكير راوى المغازى وأبو مطيع البخلى صاحب أبي حنيفة رحمه الله ومعروف الكرخى الزاهد وإسحاق بن بشر صاحب كتاب المبتدأ وإسحاق بن الفرات قاضى مصر من أجله أصحاب مالك وأبو عمرو الشيبانى اللغوى وأشهب صاحب مالك والحسن بن زياد اللؤلؤى صاحب أبى حنيفة وحماد بن أسامة الحافظ وروح بن عبادة وزيد بن الحباب وأبو داود الطيالسى والغازى ابن قيس من أصحاب مالك وأبو سليمان الدارانى الزاهد المشهور وعلى الرضى ابن موسى الكاظم والفراء إمام العربية وقتيبة بن مهران صاحب الإمالة وقطرب النحوى والواقدى وأبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل والسيدة نفيسة وهشام أحد النحاة الكوفيين واليزيدى ويزيد بن هارون ويعقوب بن إسحاق الحضرمى قارىء البصرة وعبدالرزاق وأبو العتاهية الشاعر وأسد السنة وأبو عاصم النبيل والفريابى وعبدالملك بن الماجشون وعبدالله بن الحكم وأبو زيد الأنصارى صاحب العربية والأصمعى وخلائق آخرون المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد المتعصم بالله ابو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة كذا

قال الذهبي وقال الصولى في شعبان سنة ثمان وسبعين وأمه أم ولد من مولدات الكوفة اسمها ماردة وكانت أحظى الناس عند الرشيد

روى عن أبيه واخيه المأمون وروى عنه إسحاق الموصلى وحمدون ابن إسماعيل وآخرون وكان ذا شجاعة وقوة وهمة وكان عريا من العلم فروى الصولى عن محمد بن سعيد عن إبراهيم بن محمد الهاشمى قال كان المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه فمات الغلام فقال له الرشيد ابوه يا محمد مات غلامك قال نعم سيدي واستراح من الكتاب فقال وإن الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه لا تعلموه قال فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة وقال الذهبي كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن وقال نفطويه والصولى للمعتصم مناقب وكان يقال له المثمن لأنه ثامن الخلفاء من بنى العباس والثامن من ولد العباس وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانيا وأربعين سنة وطالعه العقرب وهو ثامن برج وفتح ثمانية فتوح وقتل ثمانية أعداء وخلف ثمانية أولاد ومن الإناث كذلك ومات لثمان بقين من ربيع الأول وله محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به غير أنه إذا غضب لا يبالى من قتل وقال ابن أبى دؤاد كان المعتصم يخرج ساعده إلى ويقول يا أبا عبدالله عض ساعدى بأكثر قوتك فأمتنع فيقول إنه لا يضرنى فأروم ذلك فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلا عن الأسنان وقال نفطويه وكان من أشد الناس بطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبعيه فيكسره

وقال غيره هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان وكان يتشبه بملوك الأعاجم ويمشى مشيهم وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر الفا وقال ابن يونس هجا دعبل المعتصم ثم نذر به فخاف وهرب حتى قدم مصر ثم خرج إلى المغرب والأبيات التى هجاه بها هذه % ملوك بنى العباس في الكتب سبعة % ولم يأتنا في ثامن منهم الكتب % % كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة % غداة ثووا فيها وثامنهم كلب % % وإنى لأزهى كلبهم عنك رغبة % لأنك ذو ذنب وليس له ذنب % % لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم % وصيف وأشناس وقد عظم الخطب % % وإنى لأرجو أن ترى من مغيبها % مطالع الشمس قد يغص بها الشرب % % وهمك تركى عليه مهانة % فأنت له أم وأنت له أب % بويع له بالخلافة بعد المأمون وفي شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب إلى البلاد بذلك وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس منه مشقة في ذلك وقتل عليه خلقا من العلماء وضرب الإمام أحمد بن حنبل وكان ضربه في سنة عشرين وفيها تحول المعتصم من بغداد وبنى سر من رأى وذلك انه اعتنى باقتناء

الترك فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحى في شرائهم وبذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب فكانوا يطردون خيلهم في بغداد ويؤذون الناس وضاقت بهم البلد فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك قال وكيف تحاربوننى قالوا بسهام الأسحار قال لا طاقة لى بذلك فكان سبب بنائه سر من رأى وتحوله إليها وفي سنة ثلاث وعشرين غزا المعتصم الروم فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها الخليفة وشتت جموعهم وخرب ديارهم وفتح عمورية بالسيف وقتل منها ثلاثين ألفا وسبى مثلهم وكان لما تجهز لغزوها حكم المنجمون أن ذلك طالع نحس وأنه يكسر فكان من نصره وظفره ما لم يخف فقال في ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة وهى هذه % السيف أصدق أنباء من الكتب % في حده الحد بين الجد واللعب % والعلم في شهب الأرماح لامعة % بين الخميسين لا في السبعة الشهب % أين الرواية أم أين النجوم وما % صاغوه من زخرف فيها ومن كذب % % تخرصا وأحاديثا ملفقة % ليست بعجم إذا عدت ولا عرب % مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين وكان قد ذلل العدو بالنواحى ويقال إنه قال في مرض موته حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ولما احتضر جعل يقول ذهبت الحيلة فليس حيلة وقيل جعل يقول أوخذ من بين هذا الخلق وقيل إنه قال اللهم إنك تعلم أنى أخافك من قبلى ولا أخافك من قبلك وارجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلى ومن شعره % قرب النحام واعجل يا غلام % واطرح السرج عليه واللجام % % أعلم الأتراك أني خائض % لجة الموت فمن شاء أقام % وكان قد عزم على المسير إلى أقصى الغرب ليملك البلاد التى لم تدخل في ملك

بنى العباس لا ستيلاء الأموى عليها فروى الصولى عن أحمد بن الخصيب قال قال لى المعتصم إن بنى أمية ملكوا وما لأحد منا ملك وملكنا نحن ولهم بالأندلس هذا الأموى فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته وشرع في ذلك فاشتدت علته ومات وقال الصولى سمعت المغيرة بن محمد يقول يقال إنه لم يجتمع الملوك باب أحد قط اجتماعها بباب المعتصم ولا ظفر ملك قط كظفره أسر ملك أذربيجان وملك طبرستان وملك استيسان وملك الشياصح وملك فرغانة وملك طخارستان وملك الصفة وملك كابل وقال الصولى وكان نقش خاتمه الحمد الله الذي ليس كمثله شيء ومن أخبار المعتصم أخرج الصولى عن أحمد اليزيدى قال لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان وجلس فيه دخل عليه الناس فعمل إسحاق الموصلى قصيدة فيه ما سمع أحد بمثلها في حسنها إلا أنه افتتحها بقوله % يادار غيرك البلى ومحاك % يا ليت شعرى ما الذى أبلاك % فتطير المعتصم وتطير الناس وتغامزوا وتعجبوا كيف ذهب هذا على إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك وخرب المعتصم القصر بعد ذلك وأخرج عن إبراهيم بن العباس قال كان المعتصم إذا تكلم بلغ ما أراد وزاد عليه وكان أول من ثرد الطعام وكثره حتى بلغ ألف دينار في اليوم وأخرج عن أبى العيناء قال سمعت المعتصم يقول إذا نصر الهوى بطل الرأى وأخرج عن إسحاق قال كان المعتصم يقول من طلب الحق بماله وعليه أدركه وأخرج عن محمد بن عمر الرومى قال كان للمعتصم غلام يقال له عجيب

لم ير الناس مثله قط وكان مشغوفا به فعمل فيه أبياتا ثم دعانى وقال قد عملت أنى دون إخوتى في الأدب لحب أمير المؤمنين لى وميلى إلى اللعب وأنا حدث فلم أنل ما نالوا وقد عملت في عجيب أبياتا فإن كانت حسنة وإلا فاصدقنى حتى أكتمها ثم أنشد شعرا % لقد رأيت عجيبا % يحكى الغزال الربيبا % % الوجه منه كبدر % والقد يحكى القضيبا % % وإن تناول سيفا % رأيت ليثا حريبا % % وإن رمى بسهام % كان المجيد المصيبا % % طبيب ما بى من الحب % فلا عدمت الطبيبا % إنى هويت عجيبا % هوى أراه عجيبا % فحلفت له بأيمان البيعة أنه شعر مليح من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء فطابت نفسه وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال الصولى حدثناعبدالواحد بن العباس الرياشى قال كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يهدده فيه فلما قرىء عليه قال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار واخرج الصولى عن الفضل اليزيدى قال وجه المعتصم إلى الشعراء ببابه من منكم يحسن أن يقول فينا كما قال منصور النمرى في الرشيد % إن المكارم والمعروف أودية % أحلك الله منها حيث تجتمع % % من لم يكن بأمين الله معتصما % فليس بالصلوات الخمس ينتفع % % إن أخلف القطر لم تخلف فواضله % أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع % فقال أبو وهيب فينا من يقول خيرا منه فيك وقال ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها % شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

% تحكى أفاعيله في كل نائبة % الليث والغيث والصمصامة الذكر % ولما مات رثاه وزيره محمد بن عبدالملك جامعا بين العزاء والهناء فقال % قد قلت إذ غيبوك واصطفقت % عليك أيد بالتراب والطين % % اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا % ونعم الظهير للدين % % ما يجبرالله أمة فقدت % مثلك إلا بمثل هارون % حديث رواه المعتصم قال الصولى حدثنا العلائي حدثنا عبد الملك الضحاك حدثنى هاشم بن محمد حدثنى المعتصم قال حدثنى أبي الرشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى قوم من بنى فلان يتبخترون في مشيهم فعرف الغضب في وجهه ثم قرأ والشجرة الملعونة في القرآن فقيل له أي شجرة هي يا رسول الله حتى نجتنبها فقال ليست بشجرة نبات إنما هم بنو أمية إذا ملكوا جاروا وإذا أؤتمنوا خانوا وضرب بيده على ظهر عمه العباس فقال يخرج الله من ظهرك يا عم رجلا يكون هلاكهم على يده قلت الحديث موضوع وآفته العلائى وقال ابن عساكر أنبأنا أبو القاسم على بن إبراهيم حدثنا عبدالعزيز ابن أحمد حدثنى على بن الحسين الحافظ حدثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد ابن طالب البغدادى حدثنا ابن خلاد حدثنا أحمد بن محمد بن نصر الضبيعى حدثنا إسحاق بن يحيى بن معاذ قال كنت عند المعتصم أعوده فقلت أنت في عافية فقال كيف وقد سمعت الرشيد يحدث عن أبيه المهدى عن المنصور عن ابيه عن جده عن ابن عباس مرفوعا من أحتجم في يوم الخميس فمرض فيه مات فيه

قال ابن عساكر سقط منه رجلان بين ابن الضبيعى وإسحاق ثم أخرجه من طريق أخرى عن الضبيعى عن أحمد بن محمد الليث عن منصور بن النضر عن إسحاق وممن مات في أيام المعتصم من الأعلام الحميدى شيخ البخارى وابو نعيم الفضل بن دكين وابو غسان المهدى وقالوا المقرىء وخلاد المقرىء وآدم ابن أبي إياس وعفان والقعنبى وعبدان المروزى وعبدالله بن صالح كاتب الليث وإبراهيم بن المهدي وسليمان بن حرب وعلى بن محمد المدائنى وأبو عبيد القاسم بن سلام وقرة بن حبيب وعارم ومحمد بن عيسى الطباع الحافظ وأصبغ بن الفرج الفقيه المالكى وسعدويه الواسطى وأبو عمر الجرمى النحوى ومحمد بن سلام البيكندى وسنيد وسعيد بن كثير ابن عفير ويحيى بن يحيى التميمى وآخرون الواثق بالله هارون الواثق بالله هارون أبو جعفر وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد أمة أم ولد رومية اسمها قراطيس ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وولى الخلافة بعهد من أبيه بويع له في تاسع عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وفي سنة ثمان وعشرين استخلف على السلطنة أشناس التركى وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطانا فإن الترك إنما كثروا في أيام أبيه وفي سنة إحدى وثلاثين ورد كتابه إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن وكان قد تبع أباه في ذلك ثم رجع في آخر أمره وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعى وكان من أهل الحديث

قائما بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأحضره من بغداد إلى سامرا مقيدا وسأله عن القرآن فقال ليس بمخلوق وعن الرؤية في القيامة فقال كذا جاءت الرواية وروى له الحديث فقال الواثق له تكذب فقال للواثق بل تكذب أنت فقال ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر إنما كفرت برب صفته ما تقولون فيه فقال جماعة من الفقهاء المعتزلة الذين حوله هو حلال الضرب فدعا بالسيف وقال إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي فأنى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشى إليه فضرب عنقه وامر بحمل رأسه إلى بغداد فصلب بها وصلبت جثته في سر من رأى واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولى المتوكل فأنزله ودفنه ولما صلب كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبدالله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح فذكر المتوكل به أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يس بلسان طلق ورويت هذه الحكاية من غير وجه وفي هذه السنة استفك من الروم ألفا وستمائة أسير مسلم فقال ابن أبي دؤاد قبحه الله من قال من الأسارى القرآن مخلوق خلصوه وأعطوه دينارين ومن امتنع دعوه في الأسر قال الخطيب كان أحمد بن أبي دؤاد قد استولى على الواثق وحمله على التشدد في المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن ويقال إنه رجع عنه قبل موته وقال غيره حمل إليه رجل فيمن حمل مكبل بالحديد من بلاده فلما دخل

وابن أبى دؤاد حاضر قال المقيد أخبرنى عن هذا الرأى الذى دعوتم الناس إليه أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يدع الناس إليه أم شيء لم يعلمه قال ابن دؤاد بل علمه قال فكان يسعه ان لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم قال فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيتا ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا فأمر له أن يعطى ثلثمائة دينار وأن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن أبى داؤد من يومئذ والرجل المذكور هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن محمد الأذرمى شيخ أبى داود والنسائى قال ابن أبى الدنيا كان الواثق أبيض وتعلوه صفرة حسن اللحية في عينه نكتة قال يحيى بن أكثم ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ما مات وفيهم فقير وقال غيره كان الواثق وافر الأدب مليح الشعر وكان يحب خادما أهدى له من مصر فأغضبه الواثق يوما ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم والله إنه ليروم أن أكلمه من أمس فما أفعل فقال الواثق ياذا الذي بعذابي ظل مفتخرا ما أنت إلا مليك جار إذ قدرا لولا الهوى لتجارينا على قدر وإن أفق منه يوما ما فسوف ترى ومن شعر الواثق في خادمه % مهج يملك المهج % بسجى اللحظ والدعج % % حسن القدر مخطف % ذو دلال وذو غنج % % ليس للعين إن بدا % عنه باللحظ منعرج % وقال الصولى كان الواثق يسمى المأمون الأصغر لأدبه وفضله وكان

المأمون يعظمه ويقدمه على ولده وكان الواثق أعلم الناس بكل شيء وكان شاعرا وكان أعلم الخلفاء بالغناء وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقا بضرب العود راوية للأشعار والأخبار وقال الفضل اليزيدي لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من

الواثق ن فقيل له كان أروى سن المأمون فقال نعم كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق وكان الواثق لايخلط بعلم العرب شيئا وقال يزيد المهلبى كان الواثق كثير الأكل جدا وقال ابن فهم كان للواثق خوان من ذهب مؤلف من أربع قطع يحمل كل قطعة عشرون رجلا وكل ما على الخوان من غضارة وصحفة وسكرجة من ذهب فسأله ابن ابى دؤاد أن لا يأكل عليه للنهى عنه فأمر أن يكسر ذلك ويضرب ويحمل إلى بيت المال وقال الحسين بن يحيى رأى الواثق في النوم كأنه يسأل الله الجنة وأن قائلا يقول له لا يهلك على الله إلا من قلبه مرت فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك فلم يعرفوا معناه فوجه إلى أبى محلم وأحضره فسأله عن الرؤيا والمرت فقال أبو المحلم المرت القفر الذي لا ينبت شيئا فالمعنى على هذا لا يهلك على الله إلا من قلبه خال من الإيمان خلو المرت من النبات فقال له الواثق اريد شاهدا من الشعر في المرت فبادر بعض من حضر فأنشد بيتا لبنى أسد % ومرت مروتاة يحاربها القطا % ويصبح ذو علم بها وهو جاهل % فضحك أبو محلم وقال والله لا أبرح حتى أنشدك فأنشده للعرب مائة قافيه معروفة لمائة شاعر معروف في كل بيت ذكر المرت فأمر له الواثق بمائة ألف دينار

وقال حمدون بن إسماعيل ما كان في الخلفاء احد أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى ولا خلاف منه وقال أحمد بن حمدون دخل هارون بن زياد مؤدب الواثق إليه فأكرمه إلى الغاية فقيل له من هذا يا امير المؤمنين الذي فعلت به هذا الفعل فقال هذا أول من فتق لسانى بذكر الله وأدنانى من رحمة الله ومن مديح على بن الجهم فيه % وثقت بالملك % الواثق بالله النفوس % % ملك يشقى به الما % ل ولا يشقى الجليس % % أسد يضحك عن شد % اته الحرب العبوس % % أنس السيف به % واستوحش الطلق النفيس % % يا بنى العباس يأبى % الله إلا أن تروسوا % مات الواثق بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة مائتين واثنتين وثلاثين ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين % الموت فيه جميع الخلق مشترك % لا سوقة منهم يبقى ولا ملك % % ما ضر أهل قليل في تفارقهم % وليس يغنى عن الأملاك ما ملكو % وحكى أنه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينه فأكلها مات في أيامه من الأعلام مسدد وخلف بن هشام البزاز المقرىء وإسماعيل بن سعيد الشالخى شيخ اهل طبرستان ومحمد بن سعد كاتب الواقدى وأبو تمام الطائى الشاعر ومحمد بن زياد ابن الأعرابى اللغوى والبويطى صاحب الشافعى مسجونا مقيدا في المحنة وعلى بن المغيرة الأثرم اللغوى وآخرون ومن أخبار الواثق أسند الصولى عن جعفر بن الرشيد قال كنا بين

يدى الواثق وقد اصطبح فناوله خادمه مهج وردا ونرجسا فأنشد في ذلك بعد يوم لنفسه % حياك بالنرجس والورد % معتدل القامة والقد5 % فألهبت عيناه نار الهوى % وزاد في اللوعة والوجد % % أملت بالملك له قربه % فصار ملكى سبب البعد % % ورنحته سكرات الهوى % فمال بالوصل إلى الصد % % إن سئل البذل ثنى عطفه % وأسبل الدمع على الخد % % غر بما تجنيه ألحاظه % لا يعرف الإنجاز للوعد % % مولى تشكى الظلم من عبده % فأنصفوا المولى من العبد %

قال فأجمعوا أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات وقال الصولى حدثنى

عبدالله بن المعتز قال انشدنى بعض اهلنا للواثق وكان يهوى خادمين لهذا يوم يخدمه فيه ولهذا يوم يخدمه فيه % قلبى قسيم بين نفسين % فمن رأى روحا بجسمين % % يغضب ذا إن جاد ذا بالرضا % فالقلب مشغول بشجوين % وأخرج عن الحزنبل قال غنى في مجلس الواثق بشعر الأخطل % وشادن مريح بالكاس نادمنى % لا بالحصور ولا فيها بسوار % فقال أسوار أو سأر فوجه إلى ابن الأعرابي يسأل عن ذلك فقال سوار وثاب ويقول لا يثب على ندمائه وسأر مفضل في الكأس سؤرا وقد رويا جميعا فأمر الواثق لابن الأعرابي بعشرين ألف درهم وقال حدثنى ميمون بن إبراهيم حدثنى أحمد بن الحسين بن هشام قال تلاحى الحسين بن الضحاك ومخارق يوما في مجلس الواثق في أبى نواس وأبي العتاهية ايهما أشعر فقال الواثق اجعلا بينكما خطرا فجعلا بينهما مائتى دينار فقال الواثق من ههنا من العلماء فقيل أبو محلم فأحضره فسئل عن

عن ذلك فقال أبو النواس أشعر واذهب في فنون العرب واكثر افتنانا من أفانين الشعر فأمر الواثق بدفع الخطر إلى الحسين المتوكل على الله

جعفر المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد اسمها شجاع ولد سنة خمس وقيل سبع ومائتين وبويع له في ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين بعد الواثق فأظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين إلى سامرا واجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية وجلس أبو بكر بن ابي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين الف نفس وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه أيضا نحو من ثلاثين الف نفس وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له حتى قال قائلهم الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق رضى الله عنه في قتل أهل الردة وعمر بن عبدالعزيز في رد المظالم والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم وقال أبو بكر بن الخبازة في ذلك % وبعد فإن السنة اليوم أصبحت % معززة حتى كأن لم تذلل % % تصول وتسطو إذ أقيم منارها % وحط منار الإفك والزور من عل % % وولى أخو الإبداع في الدين هاربا % إلى النار يهوى مدبرا غير مقبل % % شفى الله منهم بالخليفة جعفر % خليفته ذى السنة المتوكل % % خليفة ربى وابن عم نبيه % وخير بنى العباس من منهم ولى % وجامع شمل الدين بعد تشتت % وفارى رؤس المارقين بمنصل % % أطال لنا رب العباد بقاءه % سليما من الأهوال غير مبدل % % وأبوأه بالنصر للدين جنة % يجاور في روضاته خير مرسل %

وفي هذه السنة أصاب ابن أبي داود فالج صيره حجرا ملقى فلا آجره الله ومن عجائب هذه السنة أنه هبت ريح بالعراق شديدة السموم ولم يعد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمذان واحرقت الزرع والمواشى واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشى بالطرقات وأهلكت خلقا عظيما وفي السنة التى قبلها جاءت زلزلة مهولة بدمشق وسقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأحرقتها وإلى الموصل فيقال هلك من أهلها خمسون الفا وفي سنة خمس وثلاثين ألزم المتوكل النصاري بلبس الغل وفي سنة ست وثلاثين أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقى صحراء وكان المتوكل معروفا بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاء الشعراء فما قيل في ذلك % بالله إن كانت امية قد أتت % قتل ابن بنت نبيها مظلوما % % فلقد اتاه بنو أبيه بمثله % هذا لعمرى قبره مهدوما % % أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا % في قتله فتتبعوه رميما % وفي سنة سبع وثلاثين بعث إلى نائب مصر أن يحلق لحية قاضى القضاة بمصر أبى بكر محمد بن ابى الليث وان يضربه ويطوف به على حمار ففعل ونعم ما فعل فإنه كان ظالما من رؤس الجهمية وولى القضاء بدله الحارث ابن سكين من اصحاب مالك بعد تمنع واهان القاضى المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطا ليرد الظلامات إلى أهلها وفي هذه السنة ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت والبيادر ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل ثم كفت وفي سنة ثمان وثلاثين كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا وسبوا منها

ستمائة امرأة وولوا مسرعين في البحر وفي سنة اربعين سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق كثير ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب وفي سنة إحدى وأربعين ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد وفي سنة اثنتين وأربعين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس واعمالها والرى وخراسان ونيسابور وطبرستان واصبهان وتقطعت الجبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان فصاح يا معشر الناس اتقو الله الله وصاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك وكتب البريد بذلك وأشهد عليه خمسمائة إنسان سمعوه وفيها حج من البصرة إبراهيم بن مطهر الكاتب على عجلة تجرها الإبل وتعجب الناس من ذلك وفي سنة ثلاث وأربعين قدم المتوكل دمشق فأعجبته وبنى له قصر بداريا وعزم على سكناها فقال يزيد بن محمد المهلبى % أظن الشام تشمت بالعراق % إذا عزم الإمام على انطلاق % % فإن تدع العراق وساكنيه % فقد تبلى المليحة بالطلاق % فبدا له ورجع بعد شهرين أو ثلاثة وفي سنة أربع وأربعين قتل المتوكل يعقوب بن السكيت الإمام في العربية فإنه ندبه إلى تعليم أولاده فنظر المتوكل يوما إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت من أحب إليك هما أو الحسن والحسين فقال قنبر يعنى مولى على خير منهما فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات وقيل امر

بسل لسانه

فمات وأرسل إلى ابنه بديته وكان المتوكل رافضيا وفي سنة خمس وأربعين عمت الزلازل الدنيا فأخرجت المدن والقلاع والقناطر وسقط من انطاكية جبل في البحر وسمع من السماء اصوات هائلة وزلزلت مصر وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة فمات خلق من أهل بلبيس وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل مائة ألف دينارا لإجراء الماء من عرفات إليها وكان المتوكل جوادا ممدحا يقال ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطى المتوكل وفيه يقول مروان بن أبي الجنوب % فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزد % فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا % فقال لا أمسك حتى يغرقك جودى وكان اجازه على قصيدة بمائة ألف وعشرين ألفا ودخل عليه بن الجهم يوما وبيديه درتان يقلبهما فأنشده قصيدة له فرمى إليه بدرة فقلبها فقال تستنقص بها وهي والله خير من مائة الف فقال لا ولكنى فكرت في أبيات أعملها آخذ بها الأخرى فقال قل فقال % بسر من را إمام عدل % تغرف من بحره البحار % % الملك فيه وفي نبيه % ما اختلف الليل والنهار % % يرجى ويخشى لكل خطب % كأنه جنة ونار % يداه في الجود ضرتان % عليه كلتاهما تغار % % لم تأت منه اليمين شيئا % ألا أتت مثلها اليسار % فرمى إليه بالدرة الأخرى قال بعضهم سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية كل واحد منهم أبوه خليفة منصور بن المهدى والعباس بن الهادى وأبو أحمد بن الرشيد وعبدالله بن الأمين وموسى بن المأمون واحمد بن المعتصم ومحمد بن الواثق وابنه المنتصر وقال المسعودى لا يعلم احد متقدم في جد ولا هزل إلا وقد حظى في دولته ووصل إليه نصيب وافر من المال وكان منهمكا في اللذات والشراب وكان له

أربعة آلاف سرية ووطىء الجميع وقال على بن الجهم كان المتوكل مشغوفا بقبيحة أم ولده المعتز لا يصبر عنها فوقفت له يوما وقد كتبت على خديها بالغالية جعفرا فتأملها وأنشأ يقول % كاتبة بالمسك في الخد جعفرا % بنفسى محط المسك من حيث أثرا % % لئن أودعت سطرا من المسك خدها % لقد أودعت قلبى من الحب أسطرا % وفي كتاب المحن للسلمى ان ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه عبدالله بن عبدالحكم وكان رئيس مصر ومن جلة أصحاب الملك وأنه احدث علما لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرفض أمره وكتب به إلى المتوكل فأمر باحضاره فحمل على البريد فلما سمع كلامه أولع به وأحبه وأكرمه حتى كان يقول إذا ذكر الصالحون فحيهلا بذى النون كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعتز ثم المؤيد ثم إنه اراد تقديم المعتز لمحبته لأمه فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ورؤى في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقليل من السنة أحييتها ولما قتل رثته الشعراء ومن ذلك قول يزيد المهلبى % جاءت منيته والعين هاجعة % هلاأتته المنايا والقنا قصد % % خليفة لم ينل ما ناله أحد % ولم يضع مثله روح ولا جسد % وكان من حظاياه وصيفة تسمى محبوبة شاعرة عالمة بصنوف العلم عوادة فلما قتل ضمت إلى بغا الكبير فأمر بها يوما للمنادمة فجلست منكسة فقال

غنى فاعتلت فأقسم عليها وأمر بالعود فوضع في حجرها فغنت ارتجالا % أى عيش يلذ لى % لا أرى فيه جعفرا % % ملك قد رأيته % في نجيع معفرا % % كل من كان ذا هيا % م وسقم فقد برا % % غير محبوبة التى % لو ترى الموت يشترى % % لا تشتريه بما حوته % يداها لتقبرا % % إن الموت الحزين % أطيب من أن يعمرا % فغضب بغا امر بها فسجنت فكان آخر العهد بها ومن الغرائب أن المتوكل قال للبحترى قل في شعرا وفي الفتح بن خاقان فإنى أحب أن يحيا معى ولا أفقده فيذهب عيشى ولا يفقدنى فقل في هذا المعنى فقال % يا سيدى كيف اخلفت وعدى % وتثاقلت عن وفاء بعهدى % % لا أرتنى الأيام فقدك يا فتح % ولا عرفتك ما عشت فقدى % أعظم الرزء أن تقدم قبلى % ومن الرزء أن تؤخر بعدى % % حذرا أن تكون إلفا لغيرى % إذ تفردت بالهوى فيك وحدى % فقتلا معا كما تقدم ومن أخبار المتوكل اخرج ابن عساكر أن المتوكل رأى في النوم كأن سكرا سليما نيئا سقط عليه من السماء مكتوبا عليه جعفر المتوكل على الله فلما بويع خاض الناس في تسميته فقال بعضهم نسميه المنتصر فحدث المتوكل أحمد بن أبى دؤاد بما رأى في

منامه فوجده موافقا فأمضى وكتب به إلى الآفاق وأخرج عن هشام بن عمار قال سمعت المتوكل يقول واحسرتا على محمد ابن ادريس الشافعى كنت أحب أن أكون في ايامه فأراه وأشاهده وأتعلم منه فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول يا أيها الناس

إن محمد بن إدريس المطلبى قد صار إلى رحمة الله وخلف فيكم علما حسنا فاتبعوه تهدوا ثم قال اللهم ارحم محمد بن أدريس رحمة واسعة وسهل على حفظ مذهبه وانفعنى بذلك قلت استفدنا من هذا أن المتوكل كان متمذهبا بمذهب الشافعى وهو أول من تمذهب له من الخلفاء واخرج عن أحمد بن على البصرى قال وجه المتوكل إلى أحمد بن المعدل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم له غير أحمد ابن المعدل فقال المتوكل لعبيدالله إن هذا لا يرى بيعتنا فقال له بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوءا فقال أحمد بن المعدل يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ولكن نزهتك من عذاب الله قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه وأخرج عن يزيد المهلبى قال قال لى المتوكل يا مهلبى إن الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها وأنا ألين لهم ليحبونى ويطيعونى واخرج عن عبد الأعلى بن حماد النرسى قال دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى ما أبطأك عنا منذ ثلاث لم نرك كنا هممنا لك بشيء فصرفناه إلى غيرك فقلت يا أمير المؤمنين جزاك الله عن هذا الهم خيرا ألا أنشدك بهذا المعنى بيتين قال بلى فأنشدته % لاشكرنك معروفا هممت به % إن اهتمامك بالمعروف معروف % % ولا ألومك إذا لم يمضه قدر % فالرزق بالقدر المحتوم مصروف % فأمر لى بألف دينار وأخرج عن جعفر بن عبدالواحد الهاشمى قال دخلت على المتوكل لما توفيت أمه فقال يا جعفر ربما قلت البيت الواحد فإذا جاوزته خلطت وقد قلت

وأخرج عن الفتح بن خاقان قال دخلت يوما على المتوكل فرأيته مطرقا متفكرا فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر فوالله ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشا ولا أنعم منك بالا فقال يافتح أطيب عيشا منى رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرفنا فنؤذيه ولا يحتاج إلينا فنزدريه واخرج عن أبى العيناء قال اهديت إلى المتوكل جارية شاعرة اسمها فضل فقال لها أشاعرة أنت قالت هكذا زعم من باعنى واشترانى فقال أنشدينا شيئا من شعرك فأنشدته % استقبل الملك إمام الهدى % عام ثلاث وثلاثينا % % خلافة أفضت إلى جعفر % وهو ابن سبع بعد عشرينا % % إنا لنرجو يا إمام الهدى % أن تملك الملك ثمانينا % % لا قدس الله امرءا لم يقل % عند دعائى لك آمينا % وأخرج عن على بن الجهم قال اهدى إلى المتوكل جارية يقال لها محبوبة وقد نشأت بالطائف وتعلمت الأدب وروت الأشعار فأغرى المتوكل بها ثم إنه غضب عليها ومنع جوارى القصر من كلامها فدخلت عليه يوما فقال لى قد رأيت محبوبة في منامى كأنى قد صالحتها وصالحتنى فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فقال قم بنا لننظر ما هى عليه فقمنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب على العود وتقول % أدور في القصر لا أرى أحدا % أشكو إليه ولا يكلمنى % % حتى كأنى أتيت معصية % ليست له توبة تخلصنى % % فهل شفيع لنا إلى ملك % قد زارنى في الكرى وصالحنى % % حتى إذا ما الصباح لاح لنا % عاد إلى هجره فصارمنى % فصاح المتوكل فخرجت فأكبت على رجليه تقبلهما فقالت يا سيدى

رأيتك في ليلتى هذه كأنك قد صالحتنى قال وأنا والله قد رأيتك فردها إلى مرتبتها فلما قتل المتوكل صارت إلى بغا وذكر الأبيات السابقة وأخرج عن على أن البحترى قال يمدح المتوكل فيما رفع من المحنة ويهجو ابن أبى دؤاد بقوله % أمير المؤمنين لقد شكرا % إلى آبائك الغر الحسان % % رددت الدين فذا بعد أن قد % أراه فرقتين تخاصمان % % قصمت الظالمين بكل ارض % فأضحى الظلم مجهول المكان % % وفي سنة رمت متجبريهم % على قدر بداهية عيان % % فما أبقت من ابن أبى دؤاد % سوى حسد يخاطب بالمعانى % % تحير فيه سابور بن سهل % فطاوله ومناه الأمانى % % إذا أصحابه اصطحبوا بليل % أطالوا الخوض في خلق القرآن % وأخرج عن أحمد بن حنبل قال سهرت ليلة ثم نمت فرأيت في نومى كأن رجلا يعرج بى إلى السماء وقائلا يقول % ملك يقاد إلى مليك عادل % متفضل في العفو ليس بجائر % ثم أصبحنا فجاء نعى المتوكل من سر من رأى إلى بغداد وأخرج عن عمرو بن شيبان الجهنى قال رأيت في الليلة التى قتل فيها المتوكل في المنام قائلا يقول % % يا نائم العين في أوطان جسمان % أفض دموعك يا عمرو بن شيبان % % أما

ترى الفئة الأرجاس ما فعلوا % بالهاشمى وبالفتح بن خاقان % وافى إلى الله مظلوما تضج له % أهل السموات من مثنى ووحدان % % وسوف يأتيكم أخرى مسومة % توقعوها لها شأن من الشان % % فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم % فقد بكاه جميع الإنس والجان % ثم رأيت المتوكل في النوم بعد أشهر فقلت ما فعل الله بك قال

غفر لي بقليل من السنة احييتها قلت فما تصنع ههنا قال أنتظر محمد ابنى أخاصمه إلى الله أحاديث من رواية المتوكل قال الخطيب أخبرنا أبو الحسين الأهوازى حدثنا محمد بن إسحاق ابن إبراهيم القاضى حدثنا محمد بن هارون الهاشمى حدثنا محمد بن شجاع الأحمر قال سمعت المتوكل يحدث عن يحيى بن أكثم عن محمد بن عبدالمطلب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبدالله بن يزيد عن عبدالرحمن ابن هلال عن جرير بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حرم الرفق حرم الخير أخرجه الطبرانى في معجمه الكبير من وجه آخر عن جرير وقال ابن عساكر أخبرنا نصر بن أحمد بن مقاتل السوسى حدثنى جدى أبو محمد حدثنا أبو على الحسين بن على الأهوازى حدثنا ابو محمد عبدالله ابن عبدالرحمن بن محمد الأزدى حدثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن داران غندر حدثنا هارون بن عبدالعزيز بن أحمد العباسى حدثنا احمد بن الحسن المقرىء البزار حدثنا أبو عبدالله محمد بن عيسى الكسائى واحمد بن زهير وإسحاق بن إبراهيم بن إسحاق فقالوا حدثنا على بن الجهم قال كنت عند المتوكل فتذاكروا عنده الجمال فقال ان حسن الشعر لمن الجمال ثم قال حدثنى المعتصم حدثنى المأمون حدثنا الرشيد حدثنا المهدى حدثنا المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمة إلى شحمة اذنيه كأنها نظام اللؤلؤ وكان من أجمل الناس وكان أسمر رقيق اللون لا بالطويل ولا بالقصير وكان لعبد المطلب جمة إلى شحمة اذنيه وكان لهاشم جمة إلى شحمة أذنيه قال على بن الجهم وكان للمتوكل جمة إلى شحمة أذنيه وقال لنا المتوكل كان للمعتصم جمة وكذلك للمأمون والرشيد

والمهدى والمنصور ولأبيه محمد ولجده على ولأبيه عبدالله بن عباس قلت هذا الحديث مسلسل من ثلاثة اوجه بذكر الجمة والآباء وبالخلفاء ففى إسناده ست خلفاء مات في أيام خلافة المتوكل من الأعلام أبو ثور والإمام أحمد بن حنبل وإبراهيم بن المنذر الخزامى وإسحاق بن راهوية النديم وروح المقرىء وزهير بن حرب وسحنون وسليمان الشاذكونى وأبو مسعود العسكرى وابو جعفر النفيلى وأبو بكر بن ابي شيبة وأخوه وديك الجن الشاعر وعبدالملك بن حبيب إمام المالكية وعبدالعزيز بن يحيى الغول أحد أصحاب الشافعى وعبيدالله بن عمر القواريرى وعلى بن المدينى ومحمد بن عبدالله بن نمير ويحيى بن معين ويحيى ابن بكير ويحيى بن يحيى ويوسف الأزرق المقرىء وبشر بن الوليد الكندى المالكى وابن أبى دؤاد ذاك الكلب لا رحمه الله وأبو بكر الهذلى العلاف شيخ الاعتزال ورأس أهل الضلال وجعفر بن حرب من كبار المعتزلة وابن كلاب المتكلم والقاضى يحيى بن أكثم والحارث المحاسبى وحرملة صاحب الشافعى وابن السكيت وأحمد بن منيع وذى النون المصرى الزاهد وأبو تراب النخشبى وابو عمر الدورى المقرىء ودعبل الشاعر وأبو عثمان المازنى النحوى وخلائق آخرون المنتصر بالله محمد أبو جعفر المنتصر بالله محمد أبو جعفر وقيل أبو عبدالله بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد أمه أو ولد رومية اسمها حبيشة وكان مليح الوجه أسمر أعين أقنى ربعة جسيما بطينا مليحا مهيبا وافر العقل راغبا في الخير قليل الظلم محسنا إلى العلويين وصولا لهم أزل عن آل أبى طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين ورد على آل الحسين فدك فقال يزيد المهلبي في ذلك

% ولقد بررت الطالبية بعدما % ذموا زمانا بعدها وزمانا % % ورددت ألفة هاشم فرأيتهم % بعد العداوة بينهم إخوانا % بويع له بعد مقتل أبيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذى عقده لهما المتوكل بعده وأظهر العدل والإنصاف في الرعية فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له وكان كريما حليما ومن كلامه لذة العفو أعذب من لذة التشفى وأقبح أفعال المقتدر الانتقام ولما ولى صار يسب الأتراك ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرزا فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات ويقال إن ابن طيفور نسى ذلك ومرض فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضا وقيل بل سم في كمثراه وقيل مات بالخوانيق ولما احتضر قال يا أماه

ذهبت منى الدنيا والآخرة عاجلت أبى فعوجلت مات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين عن ست وعشرين سنة أو دونها فلم يمتع بالخلافة إلا أشهرا معدودة دون ستة أشهر وقيل إنه جلس في بعض الأيام للهو وقد استخرج من خزائن أبيه فرشا فأمر بفرشها في المجالس فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة فارسية فطلب من يقرأ ذلك فأحضر رجل فنظره فقطب فقال ما هذه قال لا معنى لها فألح عليه فقال أناشيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك إلا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر وأمر بإحراق البساط وكان منسوجا بالذهب وفي لطائف المعرف للثعالبى أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر فإنه هو وآباؤه الخمسة خلفاء وكذلك أخواه المعتز والمعتمد قلت أعرق منه المستعصم الذي قتله التتار فإن آباءه الثمانية خلفاء

قال الثعالبى ومن العجائب أن أعرق الأكاسرة في الملك وهو شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر وأعرق الخلفاء في الخلافة وهو المنتصر قتل أباه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر المستعين بالله أبو العباس المستعين بالله أبو العباس احمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد اسمها مخارق وكان مليحا أبيض بوجهه أثر الجدري ألثغ ولما مات المنتصر اجتمع القواد وتشاوروا وقالوا متى وليتم احدا من أولاد المتوكل لا يبقى منه باقية فقالوا مالها إلا أحمد بن المعتصم ولد أستاذنا فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة واستمر إلى أول سنة إحدى وخمسين فتنكر له الأتراك لما قتل وصيفا وبغا ونفى باغر التركى الذي فتك بالمتوكل ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر حتى قيل في ذلك % خليفة في قفص % بين وصيف وبغا % % يقول ما قالا له % كما تقول الببغا % ولما تمكر له الأتراك خاف وانحدر من سامرا إلى بغداد فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس واخرجوا المعتز بالله وبايعوه وخلعوا المستعين ثم جهز المعتز جيشا كثيفا لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ودام القتال أشهرا وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك إسماعيل القاضى وغيره بشروط مؤكدة فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه القضاة وغيرهم فأحدر إلى واسط فأقام بها تسعة أشهر محبوسا موكلا به امين ثم رد إلى سامرا وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله فقال والله

لا أقتل أولاد الخلفاء فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة وله إحدى وثلاثون سنة وكان خيرا فاضلا بليغا أديبا وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار وصغر القلانس وكانت قبله طوالا مات في أيامه من الأعلام عبد بن حميد وأبو الطاهر بن السرح والحرث بن مسكي والبزى المقرىء وأبو حاتم السجستانى والجاحظ وآخرون المعتز بالله محمد المعتز بالله محمد وقيل الزبير ابو عبدالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وأمه ام ولد رومية تسمى قبيحة وبويع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين وخمسين وله تسع عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله احد أصغر منه وكان بديع الحسن قال على بن حرب أحد شيوخ ابن المعتز في الحديث ما رأيت خليفة أحسن منه وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب وكان الخلفاء قبل يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة وأول سنة تولى مات أشناس الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة وخلف خمسمائة ألف دينار فأخذها المعتز وخلع خلعة الملك على محمد بن عبدالله بن طاهر وقلده سيفين ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه أعنى أخا المعتز أبا أحمد وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ووشاحين مجوهرين وقلده سيفين ثم عزله من عامه ونفاه إلى واسط وخلع على بغا الشرابى وألبسه تاج الملك فخرج على المعتز بعد سنة فقتل وجىء إليه برأسه وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز اخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات بعد أيام فخشى المعتز أن يتحدث عنه أنه قتله أو احتال عليه فأحضر القضاة

حتى شاهدوه وليس به اثر وكان المعتز مستضعفا مع الأتراك فاتفق أن جماعة من كبارهم أتوه وقالوا يا أمير المؤمنين أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف وكان المعتز يخاف منه فطلب من أمه مالا لينفقه فيهم فأبت عليه وشحت نفسا ولم يكن بقى في بيت المال شىء فاجتمع الأتراك على خلعه ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا فلبسوا السلاح وجاءوا إلى دار الخلافة فبعثوا الى المعتز أن أخرج إلينا فبعث يقول قد شربت دواء وأنا ضعيف فهجم عليه جماعة وجروا برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون أخلع نفسك ثم أحضروا القاصي ابن الشوارب والشهود وخلعوه ثم أحضروا من بغداد الى دار الخلافة أبعده إلى

بغداد فسلم المعتز إليه الخلافة وبايعه ثم إن الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فأدخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ثم اخرج وهو أول ميت مات عطشا فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين واختفت امه قبيحة ثم ظهرت في رمضان وأعطت صالح ابن وصيف مالا عظيما من ذلك الف الف دينار وثلثمائة الف دينار وسقط فيه مكوك زمرد وسفط فيه لؤلؤ حب كبار وكليجة ياقوت أحمر وغير ذلك فقومت السفاط بألفى ألف دينار فلما رأى ابن وصيف ذلك قال قبحها الله عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار وعندها هذا فأخذ الجميع ونفاها إلى مكة فبقيت بها إلى أن تولى المعتمد فردها إلى سامرا وماتت سنة أربع وستين مات في أيام المعتز من الأعلام سرى السقطى الزاهد وهارون بن سعيد الأيلى والدرامى صاحب المسند والعتبى صاحب المسائل العتبية في مذهب مالك وآخرون رحمهم الله تعالى

المهتدى بالله المهتدى بالله الخليفة الصالح محمد أبو إسحاق وقيل أبو عبدالله بن الواثق ابن المعتصم بن الرشيد وامه ام ولد تسمى وردة ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومائتين وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وما قبل بيعته احد حتى أتى بالمعتز فقام المهتدى له وسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه فجيء بالشهود فشهدوا على المعتز أنه عاجز عن الخلافة فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهتدى فارتفع حينئذ المهتدى إلى صدر المجلس وكان المهتدى أسمر رقيقا مليح الوجه ورعا متعبدا عادلا قويا في أمر الله بطلا شجاعا لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا قال الخطيب لم يزل صائما منذ ولى إلى أن قتل وقال هاشم بن القاسم كنت بحضرة المهتدى عشية في رمضان فوثبت لأنصرف فقال لى أجلس فجلست وتقدم فصلى بنا ثم دعا بالطعام فأحضر طبق خلاف وعليه رغيف من الخبز النقى وفيه أنية فيه ملح وخل وزيت فدعانى إلى الأكل فابتدأت آكل ظانا انه سيؤتى بطعام فنظر إلى وقال ألم تك صائما قلت بلى قال أفلست عازما على الصوم فقلت كيف لا وهو رمضان فقال كل واستوف فليس هاهنا من الطعام غير ما ترى فعجبت ثم قلت ولم يا أمير المؤمنين وقد أسبغ الله نعمته عليك فقال إن الأمر ما وصفت ولكنى فكرت في أنه كان في بنى أمية عمر بن عبدالعزيز وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك فغرت على بنى هاشم فأخذت نفسى بما رأيت وقال جعفر بن عبدالواحد ذاكرت المهتدى بشيء فقلت له كان أحمد ابن حنبل يقول به ولكنه كان يخالف أشير إلى ما مضى من آبائه فقال رحم الله أحمد ابن حنبل والله لو جاز لى أن أتبرا من أبى لتبرأت منه ثم قال لى

تكلم بالحق وقل به فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني وقال نفطويه حدثنى بعض الهاشمين أنه وجد للمهتدى سفط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلى فيه وكان قد أطرح الملاهى وحرم الغناء وحسم أصحاب السلطان عن الظلم وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين يجلس بنفسه ويجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب وكان لا يخل بالجلوس الاثنين والخميس وضرب جماعة من الرؤساء ونفى جعفر بن محمود إلى بغداد وكره مكانه لأنه نسب عنده إلى الرفض وقدم موسى بن بغا من الرى يريد سامرا لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز واخذ اموال أمه ومعه جيشه فصاحت العامة على ابن وصيف يا فرعون قد جاءك موسى فطلب موسى بن بغا الإذن على المهتدى فلم يأذن له فهجم بمن معه عليه وهو جالس في دار العدل فأقاموه وحملوه على فرس ضعيفة وانتهبوا القصر وادخلوا المهتدى إلى دارنا جود وهو يقول يا موسى اتق الله ويحك ما تريد قال والله ما نريد إلا خيرا فاحلف لنا ان لا تمليء صالح بن وصيف فحلف لهم فبايعوه حينئذ ثم طلبوا صالحا ليناظروه على أفعاله فاختفى وندبهم المهتدى إلى الصالح فاتهموه أنه يدرى مكانه فجرى في ذلك كلام ثم تكلموا في خلعه فخرج إليهم المهتدى من الغد متقلدا بسيفه فقال قد بلغنى شأنكم ولست كمن تقدمنى مثل المستعين والمعتز والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت وهذا سيفى والله لأضربن به ما استمسكت قائمته بيدى أمادين أما حياء أما دعة لم يكون الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ثم قال ما أعلم علم صالح فرضوا وانفضوا ونادى موسى بن بغا من جاء بصالح فله عشرة آلاف دينار فلم يظفر به أحد واتفق ان بعض الغلمان دخل زقاقا وقت الحر فرأى بابا مفتوحا فدخل فمشى في دهليز مظلم فرأى صالحا نائما فعرفه وليس عنده احد فجاء إلى موسى فأخبره فبعث جماعة فأخذوه وقطعت رأسه وطيف به وتألم المهتدى

لذلك في الباطن ثم رحل موسى ومعه بكيال إلى السن في طلب مساور فكتب المهتدى إلى بكيال ان يقتل موسى ومفلحا احد أمراء الأتراك أيضا أو يمسكهما ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم فأوقف بكيال موسى على كتابه وقال إنى لست أفرح بهذا وإنما هذا يعمل علينا كلنا فأجمعوا على قتل المهتدى وساروا إليه فقاتل عن المهتدى المغاربة والفراغنة والأسروسنية وقتل من الأتراك في يوم اربعة آلاف ودام القتال إلى أن هزم جيش الخليفة وأمسك هو فمصر على خصيتيه فمات وذلك في رجب سنة ست وخمسين فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوما وكان لما قامت الأتراك عليه ثار العوام وكتبوا رقاعا وألقوها في المساجد يا معشر المسلمين ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاهى لعمر بن عبدالعزيز ان ينصره الله على عدوه المعتمد على الله أبو العباس المعتمد على الله أبو العباس وقيل أبو جعفر احمد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وامه رومية اسمها فتيان ولما قتل المهتدى كان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه وبايعوه ثم انه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق وصيرابنه جعفرا ولي عهده وولاه مصر والمغرب ولقبه المفوض إلى الله وانهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا اخاه طلحة وفي ايامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها واخربوها وبذلوا السيف واحرقوا وخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات وامير عسكره في أكثرها الموفق أخوه واعقب ذلك الوباء الذى لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ثم اعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست وخمسين إلى سنة سبعين فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله وأسمه بهبوذ وكان ادعى انه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وانه مطلع على المغيبات

وذكر الصولي أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمي وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلثمائة ألف وكان له منبر في مدينة يصعد عليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن ولما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق ومدحه الشعراء وكان يوما مشهودا وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي اخذها وهي كثيرة كواسط ورامهرمز وفي سنة ستين من أيامه وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كرالحنطة في بغداد مائة وخمسين دينارا وفيها اخذت الروم بلد لؤلؤة وفي سنة إحدى وستين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر ثم من بعده لأخيه الموفق طلحة وولى ولده المغرب والشام والجزيرة وأرمينية وولي أخاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند وعقد لكل منهما لواءين أبيض وأسود وشرط إن حدث به حدث أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ وكتب العهد وأنفذه مع قاضي القضاه ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة وفي سنة ست وستين وصلت عساكر الروم إلى ديار بكر ففتكوا وهرب أهل الجزيرة والموصل وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها وفي سنة سبع وستين استولى أحمد بن عبدالله الحجابي على خراسان وكرمان وسجستان وعزم على قصد العراق وضرب السكة باسمه وعلى الوجه الآخر اسم المعتمد وهذا محل الغرابة ثم إنه في آخر السنة قتله غلمانه فكفى الله شره

وفي سنة تسع وستين اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق فإنه كان خرج عليه في سنة اربع وستين ثم اصطلحا فلما اشتد تخيله منه هذا العام كاتب المعتمد ابن طولون نائبه بمصر واتفقا على أمر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق وخرج المعتمد من سامرا على وجهه التنزه وقصده دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب إلى إسحاق بن كنداج ليرده فركب ابن كنداج من نصيبين إلى المعتمد فلقيه بين الموصل والحديثة فقال يا أمير المؤمنين أخوك في وجه العدو وأنت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجى فيغلب عدوك على ديار آبائك وفي كلمات أخر ثم وكل بالمعتمد جماعة ورسم على طائفة من خواصه ثم بعث إلى المعتمد يقول ما هذا بمقام فارجع فقال المعتمد فاحلف لى أنك تنحدر معى ولا تسلمنى فحلف له وانحدر من سامرا فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه إسحاق إليه فأنزله في دار احمد بن الخصيب ومنعه من نزول دار الخلافة ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه ولما بلغ الموفق ذلك بعث إلى اسحاق بخلع وأموال وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ولقبه ذا السندين ولقب صاعدا ذا الوزارتين وأقام صاعد في خدمة المعتمد ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد في ذلك % أليس من العجائب ان مثلى % يرى ما قل ممتنعا عليه % % وتؤخذ باسمه

الدنيا جميعا % وما من ذاك شيء في يديه % % إليه تحمل الأموال طرا % ويمنع بعض ما يجبى إليه % وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به ثم أدخل المعتمد واسط ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع الفقهاء والقضاة والأعيان وقال قد نكث الموفق بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد فخلعوه إلا القاضى بكار بن قتيبة فإنه قال أنت أوردت على المعتمد كتابا بولايته العهد فأورد على كتابا آخر منه بخلعه فقال إنه محجور عليه ومقهور فقال لا أدري فقال ابن طولون غرك الناس بقولهم ما في الدنيا مثل بكار أنت شيخ قد خرفت وحبسه وقيده واخذ منه جميع عطاياه

من سنين فكانت عشرة آلاف دينار فقيل إنها وجدت في بيت بكار يختمها وبلغ الموفق ذلك فأمر بلعن ابن طولون على المنابر ثم في شعبان من سنة سبعين أعيد المعتمد إلى سامرا ودخل بغداد ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه ومات ابن طولون في هذه السنة فولى الموفق ابنه أبا العباس أعماله وجهزه إلى مصر في جنود العراق وكان خمارويه بن أحمد بن طولون أقام على ولايات أبيه بعده فوقع بينه وبين أبي العباس ابن الموفق وقعه عظيمة بحيث جرت الأرض من الدماء وكان النصر للمصريين وفي هذه السنة انبثق ببغداد في نهر عيسى بثق فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار وفيها نازلت الروم طرسوس في مائة ألف فكانت النصرة للمسلمين وغنموا مالايحصى وكان فتحا عظيما عديم المثل وفيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض في اليمن وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كتامة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر ورأى منهم طاعة وقوة فصحهم إلى المغرب فكان ذلك أول شأن المهدي وفي سنة إحدى وسبعين قال الصولي ولي هارون بن إبراهيم الهاشمي الحسبة فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها وفي سنة ثمان وسبعين غارنيل مصر فلم يبق منه شء وغلت الأسعار وفيها مات الموفق واستراح منه المعتمد وفيها ظهرت القرامطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون أنه لاغسل من الجنابة وأن الخمر حلال ويزيدون في آذانهم وأن محمد بن الحنفية رسول الله وأن الصوم في السنة يومان يوم النيروز ويوم المهرجان وأن

الحج والقبلة إلى بيت المقدس وأشياء أخرى ونفق قولهم على الجهال واهل البر وتعب الناس بهم وفي سنة تسع وسبعين ضعف أمر المعتمد جدا لتمكن أبي العباس بن الموفق من الأمور وطاعة الجيس له فجلس المعتمد مجلسا عاما وأشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد وبايع لأبي العباس ولقبه المعتضد وأمر المعتضد في هذه السنة أن لايقعد في الطريق منجم ولاقصاص واستحلف الوراقين أن لايبيعوا كتب الفلاسفة والجدل ومات المعتمد بعد أشهر من هذه السنة فجأه فقيل إنه سم وقيل بل نام فغم في بساط وذلك ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة إلا أنه كان مقهورا مع أخيه الموفق لاستيلائه على الأمور ومات وهو المحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضا وممن مات في ايامه من الأعلام البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والربيع الجيزي ولربيع المرادي والمزني ويونس بن عبدالأعلى والزبير بن بكار وأبو الفضل الرياشي ومحمد بن يحيى الذهلي وحجاج بن يوسف الشاعر والعجلي الحافظ وقاضي القضاة ابن أبي الشوارب والسوسي المقريء وعمر بن شبة وأبو زرعة الزازي ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم والقاضي بكار وداود الظاهري وابن دارة وبقي بن مخلد وابن قتيبة وأبو حاتم الرازي وآخرون ومن قول عبدالله بن المعتز في المعتمد يمدحه % ياخير من تزجى المطى له % ويمر حبل العهد موثقه % % أضحى عنان الملك مقتسرا % بيديك تحبسه وتطلقه % % فاحكم لك الدنيا وساكنها % ماطاش سهم أنت موفقه % ومن شعر المعتمد لما حجر عليه % اصبحت لا أملك دفعا لما % أسام من خسف ومن ذلة %

% تمضي أمور الناس دوني ولا % يشعرني في ذكرها قلتي % % إذا اشتهيت الشيء ولو ابه % عني وقالوا ههنا علتي % وقال الصولي كان له وراق يكتب شعره بماء الذهب ورثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابوري بقوله % لقد قر طرف الزمان النكد % وكان سخينا كليلا رمد % % وبلغت الحادثات المنى % بموت إمام الهدى المعتمد % % ولم يبق لي حذر بعده % فدون المصائب فلتجتهد % المعتضد بالله أحمد المعتضد بالله أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد ولد في ذي القعدة سنة

اثنتين وأربعين ومائتين وقال الصولي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأمه أم ولد أسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار وبويع له في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد عمه المعتضد وكان ملكا شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من أفراد خلفاء بني العباس وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته وكان قليل الرحمة إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفيرة ويطم عليه وكان ذا سياسة عظيمة قال عبدالله بن حمدون خرج المعتضد يتصيد فنزل إلى جانب مقثأة وأنا معه فصاح الناطور فقال على به فأحضر فسأله فقال ثلاثة غلمان نزلوا المقثأة فأخربوها فجيء بهم فضربت أعناقهم من الغد في المقثأة ثم كلمني بعد مدة فقال اصدقني فيما ينكر على الناس قلت الدماء قال والله ماسفكت دما حراما منذ وليت قلت فلم قتلت أحمد بن الطيب قال دعاني إلى الإلحاد قلت فالثلاثة الذين نزلوا المقثأة قال والله ماقتلتهم وإنما قتلت لصوصا قد قتلوا وأوهمت أنهم هم

وقال إسماعيل القاضي دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحدث صباح الوجوه روم فنظرت إليهم فلما أردت القيام قال لي أيها القاضي والله ماحللت سروايلي على حرام قط ودخلت مرة فدفع إلى كتابا فنظرت فيه فإذا [هو] قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء قفلت منصف هذا زنديق فقال أمختلق قلت لا ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعه ومن أباح المتعة لم يبح الغناء وما من عالم إلا وله زلة ومن اخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه فأمر بالكتاب فأحرق وكان المتضد شهما جلدا موصوفا بالرجلة قد لقي الحروب وعرف فضله فقام بالأمر أحسن قيام وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة وسكنت الفتن في ايامه لفرط هيبته وكانت أيامه طيبه كثيرة الأمن والرخاء وكان قد أسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وكان يسمى السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس وكان قد خلق وضعف وكاد يزول وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل وفي ذلك يقول ابن الرومي يمدحه % هنيئا بني العباس إن إمامكم % إمام الهدى والبأس والجود أحمد % % كما بأبي العباس أنشئ ملككم % كذا بأبي العباس أيضا يجدد % % إمام يظل الأمس يعمل نحوه % تلهف ملهوف ويشتاقه الغد % وقال في ذلك ابن المعتز أيضا % أما ترى ملك بني هاشم % عاد عزيزا بعد ما ذللا % % ياطالبا للملك كن مثله % تستوجب الملك ن وإلا فلا %

وفي أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق وصلى بالناس صلاة الأضحى فكبر في الأولى ستا وفي الثانية واحدة ولم تسمع منه الخطبة وفي سنة ثمانين دخل داعي المهدي إلى القيروان وفشا أمره ووقع القتال بينه وبين صاحب إفريقية وصار أمره في زيادة وفيها ورد كتاب من الدبيل أن القمر كسف في شوال وأن الدنيا أصبحت مظلمة إلى العصر فهبت ريح سوداء فدامت إلى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة وأذهبت عامة المدينة فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفا وفي سنة أحدى وثمانين فتحت مكورية في بلاد الروم وفيها غارت مياه الري وطبرستان حتى بيع الماء ثلاثة ارطال بدرهم وقحط الناس وأكلوا الجيف وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجدا إلى جانب المسجد الحرام وفي سنة أثنتين وثمانين ابطل ما يفعل في النيروز من وقيد النيران وصب الماء على الناس وأزال سنة المجوس وفيها زفت إليه قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون فدخل عليها في ربيع الأول وكان في جهازها اربعة آلاف تكة مجوهرة وعشرة صناديق جوهر وفي سنة ثلاث وثمانين كتب إلى الآفاق بأن يورث ذوو الأرحام وأن يبطل ديوان المواريث وكثر الدعاء للمعتضد وفي سنة اربع وثمانين ظهره بمصر حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر إلى

وجه الرجل فيراه أحمر وكذا الحيطان فتضرع الناس بالدعاء إلى الله تعالى وكانت من العصر إلى الليل قال ابن جرير وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية على المنابر فخوفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة فلم يلتفت وكتب كتابا في ذلك ذكر فيه كثيرا من مناقب على ومثالب معاوية فقال له القاضي يوسف يا أمير المؤمنين أخاف الفتنة عند سماعه فقال إن تحركت العامة وضعت السيف فيها قال فما تصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل فأمسك المعتضد عن ذلك وفي سنة خمس [وثمانين] هبت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت في الأمصار وورقع عقبها برد وزنة البردة مائة وخمسون درهما وقلعت الريح نحو خمسمائة نخلة ومطرت قرية حجارة سودا وبيضا وفي سنة ست [وثمانين] ظهر بالبحرين ابو سعيد القرمطي وقويت شوكته وهو أبوأبي طاهر سليمان الذي يأتى أنه قلع الحجر الأسود ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة وأغار على

البصرة ونواحيها وهزم جيش الخليفة مرات ومن أخبار المعتضد ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن ابي الحسين الخصيبي قال وجه المعتضد إلى القاضي ابي حازم يقول إن لي على فلان مالا وقد بلغني أن غرماءه أثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا كأحدهم فقال أبو حازم قل له أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ذاكر لما فقال لي وقت قلدني إنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي ولايجوز لي أن احكم في مال رجل لمدع إلا ببينة فرجع إليه فأخبره فقال قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فإن

زكيا قبلت شهادتهما وإلا امضيت ما قد ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فزعا ولم يدفع إلى المعتضد شيئا قال ابن حمدون النديم غرم المعتضد على عمارة البحيرة ستين ألف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دريرة فقال أبن بسام % ترك الناس بحيره % وتخلى في البحيرة % % قاعدا يضرب بالطبل على حر دريره % فبلغ ذلك المعتضد فلم يظهر أنه بلغه ثم أمر بتخريب تلك العمارات ثم ماتت دريرة في ايام المعتضد فجزع عليها جزعا شديدا وقال يرثيها % ياحبيبا لم يكن يعدله عندي حبيب % % أنت عن عيني بعيد % ومن القلب قريب % ليس لي بعدك في شيء % من اللهو نصيب % % لك من قلبي على قلبي % وإن بنت رقيب % % وخيال منك مذ غبت % خيال لايغيب % % لو تراني كيف لي بعدك % عول ونحيب % % وفؤادي حشوه من % حرق الحزن لهيب % % لتيقنت بأني % فيك محزون كئيب % % ما أراى نفس وإن سليتها % عنك تطيب % لي دمع ليس يعصيني % وصبر ما يجيب % وقال بعضهم يمدح المعتضد وهي على جزء جزء % طيف ألم بذي سلم % % بين الخيم يطوى الأكم % % جاد نعم يشفى السقم %

% ممن لثم وملتزم % % فيه هضم إذا يضم % داوي الألم ثم انصرم % % فلم أنم شوقا وهم % % اللوم ذم كم ثم كم % % لوم الأصم أحمد لم % % كل الثلم مما أنهدم % % هو العلم والمعتصم % % خير النسم خالا وعم % % حوى الهمم وما احتلم % % طود اشم سمح الشيم % % جلا الظلم كالبدر تم % % رعى الذمم حمى الحرم % % فلم يؤم خص وعم % % بما قسم له النعم % % مع النقم والخير جم % % إذا ابتسم والماء دم % % إذا انتقم % اعتل المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين عله صعبة وكان مزاجه تغير من كثرة إفراطه في الجماع ثم تماسك فقال ابن المعتز % طار قلبي بجناح الوجيب % جزعا من حادثات الخطوب % % وحذارا أن يشاك بسوء % أسد الملك وسيف الحروب %

ثم انتكس ومات يوم الاثنين لثمان بقين منه وحكى المسعودي قال شكوا في موت المعتضد فتقدم إليه الطبيب وحبس نبضه ففتح عيينه ورفس الطبيب برجله فتدحاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته ولما احتضر أنشد % تمتع من الدنيا فإنك لاتبقى % وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا % % ولاتأمنن الدهر إني أمنته % فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا % % قتلت صناديد الرجال فلم أدع % عدوا ولم أمهل على ظنه خلقا % % وأخليت دور الملك من كل بازل % % وشتتهم غربا ومزقتهم شرقا % % فلما بلغت النجم عزا ورفعة % ودانت رقاب الخلق اجمع لي رقا % رماني الردى سهما فأخمد جمرتي % فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى % % فأفسدت دنياي ودييني سفاهة % فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى % % فياليت شعري بعدموتي ما أرى % إلى نعمة لله أم ناره ألقى % ومن شعر المعتضد % ياالاحظي بالفتور والدعج % وقاتلى بالدلال والغنج % % أشكو إليك الذي لقيت من الوجد % فهل لي إليك من فرج % % حللت بالطرف والجمال من الناس محل العيون والمهج % وله أنشده الصولي % لم يلق من حر الفراق % احد كما أنا منه لاق % % ياسائلي عن طعمة % ألفيته مر المذاق % جسمي يذوب ومقلتي % عبرى وقلبي ذو احتراق % مالي أليف بعدكم % إلى اكتئابي واشتياقي % % فالله يحفظكم جميعا % في مقام وانطلاق %

ولابن المعتز يرثيه % يادهر ويحك ما أبقيت لي أحدا % وأنت والد سوء تأكل الولدا % أستغفر الله بل ذا كله قدر % رضيت بالله ربا واحدا صمدا % % ياساكن القبر في غبراء مظلمة % بالظاهرية مقصى الدار منفردا % % أين الجيوش التي قد كنت تنجبها % أين الكنوز التي احصيتها عددا % % اين السرير الذي قد كنت تملؤه % مهابة من رأته عينه ارتعدا % % اين الأعادي الأولى ذللت

مصعبهم % أين الليوث التي صيرتها بددا % اين الجياد التي حجلتها بدم % وكن يحملن منك الضيغم الأسدا % % أين الرماح التي غديتها مهجا % مذمت ماوردت قلبا ولا كبدا % % أين الجنان التي تجرى جداولها % وتسجيب إليها الطائر الغردا % % أين الوصائف كالغزلان راتعة يسحبن من حلل موشية حددا % % أين الملاهي وأين الراح تحسها % % ياقوتة كسبت من فضة زردا % % أين الوثوب إلى الأعداء مبتغيا % % صلاح ملك بني العباس إذ فسدا % % مازلت تفسر منهم كل قسورة % % وتحطم العالي الجبار معتمدا % % ثم انقضيت فلا عين ولا اثر % حتى كأنك يوما لم تكن أحدا % مات في ايام المعتضد من الأعلام ابن المواز المالكي وابن أبي الدنيا وإسماعيل القاضي والحارث بن ابي اسامة وأبو العيناء والميرد وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفيه والبحتري الشاعر وخلائق آخرون وخلف المعتضد من الأولارد أربعة ذكور ومن الإناث أحدى عشرة

المكتفى بالله أبو محمد المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد ولد في غرة ربيع الآخر سنة اربع وستين ومائتين وأمه تركية أسمها جيجك وكان يضرب بحسنها المثل حتى قال بعضهم % قايست بين جمالها وفعالها % فإذا فإذا الملاحة بالخيانة لا تفى % % والله لا كلمتها ولو أنها % كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفى % وعهد إليه أبوه فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين قال الصولى وليس من الخلفاء من اسمه على إلا هو وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولا من يكنى أبا محمد سوى الحسن بن على والهادى والمكتفى ولما بويع له عند موت أبيه كان غائبا بالرقة فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيدالله وكتب له فوافى بغداد في سابع من جمادى الأولى ومر بدجلة في سمارية وكان يوما عظيما وسقط أبو عمر القاضى من الزحمة في الجسر وأخرج سالما ولما نزل المكتفى بدار الخلافة وقالت الشعراء وخلع على القاسم الوزير سبع خلع وهدم المطامير التى اتخذها أبوه وصيرها مساجد وأمر برد البساتين والحوانيت التى أخذها أبوه من الناس ليعملها قصرا إلى أهله وسار سيرة جميلة فأحبه الناس ودعوا له وفي هذه السنة زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياما وفيها هبت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها ولم يسمع بمثل ذلك وفيها خرج يحيى بن زكرويه القرمطى فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة إلى أن قتل في سنة تسعين فقام عوضه اخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعنى

في السورة ولقب غلاما له المطوق بالنور وظهر على الشام وعاث وأفسد وتسمى بأمير المؤمنين المهدى ودعى له على المنابر ثم قتل الثلاثة في سنة إحدى وتسعين وفي هذه السنة فتحت انطالية باللام من بلاد الروم عنوة وغنم منها ما لا يحصى من الأموال وفي سنة اثنتين زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خرجت بغداد وبلغت الزيادة أحدا وعشرين ذراعا ومن شعر الصولى يمدح المكتفى ويذكر القرمطى قد كفى المكتفي الخليفة % % ما كان قد حذر الى أن قال % آل عباس أنتم % سادة الناس والغرر % % حكم الله أنكم % حكماء على البشر % % وأولو الأمر منكم % صفوة الله والخير % % من رأى أن مؤمنا % من عصاكم فقد كفر % % أنزل الله ذاكم % قبل في محكم السور %

قال الصولى سمعت المكتفى يقول في علته والله ما آسى إلا على سبعمائة ألف

دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها وكنت مستغنيا عنها أخاف أن أسأل عنها وإنى أستغفر الله منها مات المكتفى شابا في ليلة الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمان بنات وممن مات في أيامه من الأعلام عبدالله بن أحمد بن حنبل وثعلب إمام العربية وقنبل المقرىء وابو عبدالله البوشنجى الفقيه والبزار صاحب المسند وأبو مسلم الكجى والقاضى ابو حازم وصالح جزرة ومحمد بن نصر المروزى

الإمام وأبو الحسن النورى شيخ الصوفية وأبو جعفر الترمذى شيخ الشافعية بالعراق ورأيت في تاريخ نيسابور لعبد الغافر عن أبى الدنيا قال لما أفضت الخلافة إلى المكتفى كتبت إليه بيتين % إن الحق التأديب حق الأبوه % عند أهل الحجى وأهل المروه % % وأحق الرجال أن يحفظوا ذا % ك ويرعوه أهل بيت النبوة %

قال فحمل إلى عشرة آلاف درهم وهذا يدل على تأخر ابن ابى الدنيا إلى ايام

المكتفى المقتدر بالله أبو الفضل المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأمه رومية وقيل تركية أسمها غريب وقيل شغب ولما اشتدت علة أخيه المكتفى سأل عنه فصح عنده أنه احتلم فعهد إليه ولم يل الخلافة قبله أصغر منه فإنه وليها وله ثلاث عشرة سنة فاستصباه الوزير العباس بن الحسن فعمل على خلعه ووافقه جماعة على أن يولوا عبدالله بن المعتز فأجاب ابن المعتز بشرط أن لا يكون فيها دم فبلغ المقتدر ذلك فأصلح حال العباس ودفع إليه أموالا أرضته فرجع عن ذلك وأما الباقون فإنهم ركبوا عليه في العشرين من ربيع الأول سنة ست والمقتدر يلعب الأكرة فهرب ودخل وأغلقت الأبواب وقتل الوزير وجماعة وأرسل الى ابن المعتز فجاء وحضر القواد والقضاة والأعيان وبايعوه بالخلافة ولقبوه الغالب بالله فاستوزر محمد بن داود بن الجراح واستقصى أبا المثنى أحمد بن يعقوب ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز قال المعافى بن زكريا الجريرى لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا

على شيخنا محمد بن جرير الطبري فقال ما الخبر قيل بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة قيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل أبو المثنى فأطرق ثم قال هذا الأمر لا يتم قيل له زكيف قال كل واحد ممن سميتهم متقدم في معناه عالى الرتبة والزمان مدبر والدنيا مولية وما ارى هذا إلا إلى اضمحلال وما ارى لمدته طولا وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر لكى ينقل ابن المعتز إلى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقى معه إلا طائفة يسيرة فقالوا يا قوم نسلم هذا الأمر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا فلبسوا السلاح وقصدوا المخرم وبه ابن المعتز فلما رآهم من حوله ألقى الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ووقع النهب والقتل في بغداد وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسلموا إلى يونس الخازن فقتلهم إلا أربعة منهم القاضى ابو عمر سلموا من القتل وحبس ابن المعتز ثم اخرج فيما بعد ميتا واستقام الأمر للمقتدر فاستوزر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات فسار أحسن سير وكشف المظالم وحض المقتدر على العدل ففوض إليه الأمور لصغره واشتغل باللعب واللهو وأتلف الخزائن وفي هذه السنة أمر المقتدر أن لا يستخدم اليهود والنصارى وأن يركبوا بالأكف وفيها غلب أمر المهدى بالمغرب وسلم عليه بالإمامة ودعى له بالخلافة وبسط في الناس العدل والإحسان فانحرفوا إليه وتمهدت له المغرب وعظم ملكه وبنى المهدي وهرب أمير إفريقية زياد الله بن الأغلب إلى مصر ثم أتى العراق وخرجت المغرب على أمر بنى العباس من هذا التاريخ

فكانت مدة ملكهم جميع الممالك الإسلامية مائة وبضعا وستين سنة ومن هنا دخل النقص عليهم قال الذهبي اختل النظام كثيرا في أيام المقتدر لصغره وفي سنة ثلاثمائة ساخ جبل بالدينور في الأرض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى وفيها ولدت بغلة فلوا فسبحان القادر على ما يشاء وفي سنة إحدى وثلثمائة ولى الوزير على بن عيسى فسار بعفة وعدل وتقوى وأبطل الخمور وأبطل من المكوس ما ارتفاعه في العام خمسمائة ألف دينار وفيها أعيد القاضى أبو عمر إلى القضاء وركب المقتدر إلى من داره إلى الشماسية وهى أول ركبة ركبها وظهر فيها للعامة وفيها أدخل الحسين الحلاج مشهورا على جمل إلى بغداد فصلب حيا ونودى عليه هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس إلى أن قتل في سنة تسع وأشيع عنه أنه ادعى الإلهية وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف ويكتب إلى أصحابه من النور الشعشعانى ونوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن ولا الحديث ولا الفقه وفيها سار المهدى الفاطمى يريد مصر في أربعين الفا من البربر فحال النيل بينه وبينها فرجع إلى الاسكندرية وأفسد فيها وقتل ثم رجع فسار إليه جيش المقتدر إلى برقة وجرت لهم الحروب ثم ملك الفاطمى الاسكندرية والفيوم من هذا العام وفي سنة اثنتين ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار وختن معهم طائفة من الأيتام وأحسن إليهم وفيها صلى العيد في جامع مصر ولم يكن يصلى فيه العيد قبل ذلك فخطب

بالناس على ابن أبي شيخة من الكتاب نظرا وكان من غلطه أن قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون وفيه أسلم الديلم على يد الحسن بن علي العلوي الأطروش وكان مجوسيا وفي سنة أربع وقع الخوف ببغداد من حيوان يقال له الزبزب ذكر الناس أنهم يرونه بالليل على الأسطحة وأنه يأكل الأطفال ويقطع ثدى المرأة فكانوا يتحارسون ويضربون بالطاسات ليهرب واتخذ الناس لأطفالهم مكاب ودام عدة ليال وفي سنة خمس قدمت رسل ملك الروم بهدايا وطلبت عقد هدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما فأقام العسكر وصفهم بالسلاح

وهم مائة وستون ألفا من باب الشماسية الى دار الخلافة وبعدهم الخدام وهم سبة آلاف خادم ويليهم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج والبسط اثنين وعشرين ألفا وفي الحضرة مائة سبع في السلاسل إلى غير ذلك وفي هذه السنة وردت هدايا صاحب عمان وفيها طير أسود يتكلم بالفارسية والهندية أفصح من الببغا وفي سنة ست فتح مارستان أم المقتدر وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار وفيها صار الأمر والنهى لحرم الخليفة ولنسائه لركاكته وآل الأمر إلى أن أمرت أم المقتدر بمثل القهرمانة أن تجلس للمظالم وتنظر في رقاع الناس كل جمعة فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها وفيها عاد القائم محمد بن المهدى الفاطمى إلى مصر فأخذ أكثر الصعيد وفي سنة ثمان غلت الأسعار ببغداد وسبغت العامة لكون حامد بن العباس ضمن السواد وجدد المظالم ووقع النهب وركب الجند فيها وشتتهم العامة ودام

القتال أياما وأحرق العامة الحبس وفتحو السجون ونهبوا الناس ورجموا الوزير واختلفت أحوال الدولة العباسية جدا وفيها ملكت جيوش القائم الجزيرة من الفسطاط وأشتد قلق أهل مصر وتأهبوا للحروب وجرت أمور وحروب يطول شرحها وفي سنة تسع قتل الحلاج بإفتاء القاضى أبى عمر والفقهاء والعلماء أنه حلال الدم وله في أحواله السنية أخبار أفردها الناس بالتصنيف وفي سنة إحدى عشرة أمر المقتدر برد المواريث إلى ما حيرها المعتضد من توريث ذوى الأرحام وفي سنة ثنتى عشرة فتحت فرغانة على يد والى خرسان وفي سنة اربع عشرة دخلت الروم ملطية بالسيف وفيها جمدت دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب وهذا بم يعهد وفي سنة خمس عشرة دخلت الروم دمياط وأخذوا من فيها وما فيها وضربوا الناقوس في جامعها وفيها ظهرت الديلم على الرى والجبال فقتل خلق وذبحت الأطفال وفي سنة ست عشرة بنى القرمطى دارا سماها دار الهجرة وكان في هذه السنين قد كثر فساده واخذه البلاد وفتكه بالمسلمين واشتد الخطب به وتمكنت هيبته في القلوب وكثر أتباعه وبث السرايا وتزلزل له الخليفة وهزم جيش المقتدر غير مرة وانقطع الحج في هذه السنين خوفا من القرامطة ونزح أهل مكة عنها وقصدت الروم ناحية خلاط واخرجوا المنبر من جامعها وجعلوا الصليب مكانه وفي سنة سبع عشرة خرج مؤنس الخادم الملقب بالمظفر على المقتدر لكونه بلغه أنه يريد أن يولى إمرة الأمراء هارون بن غريب مكان المؤنس وركب معه سائر جيش الأمراء والجنود وجاءوا إلى دار الخلافة فهربت خواص المقتدر

واخرج المقتدر بعد العشاء وذلك في ليلة رابع عشر لمحرم من داره وأمه وخالته وحرمه ونهب لأمه ستمائة ألف دينار وأشهد عليه بالخلع واحضر محمد بن المعتضد وبايعه مؤنس والأمراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة إلى أبي على بن مقلة وذلك يوم السبت وجلس القاهر بالله يوم الأحد وكتب الوزير عنه إلى البلاد وعمل الموكب يوم الاثنين فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة ورزق السنة ولم يكن مؤنس حاضرا فارتفعت الأصوات فقتلوا الحاجب ومالوا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر ليردوه إلى الخلافة فحملوه على اعناقهم من دار مؤنس إلى قصر الخلافة وأخذ القاهر فجيء به وهو يبكى ويقول الله الله في نفسى فاستدناه وقبله وقال له يا أخي أنت والله لا ذنب لك والله لا جرى عليك مني سوء أبدا إلى لأقاليم بعود الخلافة إلى خلافته وبذل المقتدر الأموال في الجند وفي هذه السنة سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمى فوصلوا إلى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه واقام بها احد عشر يوما ثم رحلوا وبقى الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون الف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع وقيل إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملا من مكة إلى هجر فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن قال محمد بن الربيع بن سليمان كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وانا أراه فعيل صبرى وقلت يا رب ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات وصعد القرمطى على باب الكعبة وهو يقول % أنا بالله وبالله انا % يخلق الخلق وأفنيهم أنا %

ولم يفلح أبو طاهر القرمطى بعدها وتقطع جسده بالجدري وفي هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى وعسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناها يقعده الله على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة ودام الخصام واقتتلوا جماعة كثيرة وفي سنة تسع عشرة نزل القرمطى الكوفة وخاف أهل بغداد من دخوله إليها فاستغاثوا ورفعوا أصواتهم والمصاحف وسبوا المقتدر وفيها دخلت الديلم

الدينور فسبوا وقتلوا وفي سنة عشرين ركب المؤنس على المقتدر فكان معظم جند مؤنس من البربر فلما التقى الجمعان رمى البربر المقتدر بحربة سقط منها على الأرض ثم ذبحه بالسيف وشل رأسه على رمح وسلب ما عليه وبقى مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له بالموضع ودفن وذلك يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال وقيل إن وزيره اخذ له ذلك اليوم طالعا فقال له المقتدر أي وقت هو قال وقت الزوال فتطير وهم بالرجوع فأشرفت خيل المؤنس ونشبت الحرب وأما البربرى الذي قتله فإن الناس صاحوا عليه فسار نحو دار الخلافة ليخرج القاهر فصادفه حمل شوك فزحمه إلى دكان لحام فعلقه كلاب وخرج الفرس من مشواره من تحته فمات فحطه الناس واحرقوه بالحمل الشوك وكان المقتدر جيد العقل صحيح الرأى لكنه كان مؤثر للشهوات والشراب مبذرا وكان النساء غلبن عليه فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل واعطى زيدان القهرمان سبحة جوهر لم ير مثلها وأتلف أموالا كثيرة وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان غير الصقالبة والروم والسود وخلف اثنى عشر ولدا ذكرا وولى الخلافة من أولاده ثلاثة الراضى والمتقى والمطيع وكذلك اتفق للمتوكل

والرشيد وأما عبدالملك فولى الأمر من أولاده أربعة ولا نظير لذلك إلا في الملوك وكذا قال الذهبي قلت في زماننا ولى الخلافة من أولاد المتوكل خمسة المستعين العباس والمعتضد داود والمستكفى سليمان والقائم حمزة والمستنجد يوسف ولا نظير لذلك وفي لطائف المعارف للثعالبى نادرة لم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا المتوكل والمقتدر فقتلا جميعا المتوكل ليلة الأربعاء والمقتدر يوم الأربعاء ومن محاسن المقتدر ما حكاه ابن شاهين ان وزيره على بن عيسى أراد ان يصلح بين ابن صاعد وبين أبى بكر بن ابى داود السجستانى فقال الوزير يا أبا بكر أبو محمد أكبر منك فلو قمت إليه قال لا أفعل فقال الوزير أنت شيخ زيف فقال ابن أبى داود الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من فقال هذا ثم قام ابن ابى داود وقال تتوهم أنى أذل لك لأجل أن رزقى يصل إلى على يدك والله لا أخذت من يدك شيئا أبدا فبلغ المقتدر ذلك فصار يزن رزقه بيده ويبعث به في طبق على يد الخادم مات في أيام المقتدر من الأعلام محمد بن ابى داود الظاهرى ويوسف ابن يعقوب القاضى وابن شريح شيخ الشافعية والجنيد شيخ الصوفية وأبو عثمان الحيرى الزاهد وأبو بكر البرديجى وجعفر الفريابى وابن بسام الشاعر والنسائى صاحب السنن والجبائى شيخ المعتزلة وابن المواز النحوى وابن الجلاء شيخ الصوفية وأبو يعلى الموصلى صاحب المسند والأشنانى المقرىء وابن سيف من كبار قراء مصر وأبو بكر الرويانى صاحب المسند وابن المنذر الإمام وابن جرير الطبرى والزجاج النحوى وابن خزيمة وابن زكريا الطبيب والأخفش الصغير وبنان الجمال وأبو بكر بن أبى داود

السجستانى وابن السراج النحوى وأبو عوانة صاحب الصحيح وأبو القاسم البغوى المسند وأبو عبيد بن حربويه والكعبى شيخ المعتزلة وأبو عمر القاضى وقدامة الكاتب وخلائق آخرون القاهر بالله أبو المنصور القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل أمه أم ولد فتنة لما قتل المقتدر أحضر هو ومحمد بن المكتفى فسألوا ابن المكتفى أن يتولى فقال لا حاجة لي في ذلك وعمى هذا أحق به فكلم القاهر فأجاب فبويع ولقب القاهر بالله كما لقب به في سنة سبع عشرة فأول ما فعل ان صادر آل المقتدر وعذبهم وضرب أم المقتدر حتى ماتت في العذاب وفي سنة إحدى وعشرين شغب عليه الجند واتفق مؤنس وابن مقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفى فتحيل القاهر عليهم إلى ان امسكهم وذبحهم وطين على ابن المكتفى بين حيطتين وأما ابن مقلة فاختفى فأحرقت داره ونهبت دور المخالفين ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا واستقام الأمر للقاهر وعظم في القلوب وزيد في ألقابه المنتقم من أعداء دين الله ونقش ذلك على السكة وفي هذه السنة امر بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنين ونفى المخانيث وكسر آلات اللهو وأمر ببيع المغنيات من الجوارى على أنهن سوادج وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ولا يفتر عن سماع الغناء وفي سنة اثنتين وعشرين ظهرت الديلم وذلك لأن أصحاب مرداويج دخلوا أصبهان وكان من قواده على بن بويه فاقتطع مالا جليلا فانفرد عن مخدومه ثم التقى هو ومحمد بن ياقوت نائب الخليفة فهزم محمد واستولى

ابن بويه على فارس وكان بويه فقيرا صعلوكا يصيد السمك رأى كأنه بال فخرج من ذكره عمود نار ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا فعبرت بأن أولاده يملكون الدنيا ويبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت عليه النار فمضت السنون وآل الأمر على هذا إلى أن صار قائدا

لمرداويج ابن زياد الديلمى فأرسله يستخرج له مالا من الكرخ فاستخرج خمسمائة ألف درهم واتى همذان ليملكها فغلق أهلها في وجهه الأبواب فقتلهم وفتحها عنوة وقيل صلحا ثم صار إلى شيراز ثم أنه قل عنده من مال فنام على ظهره فخرجت حية من سقف المجلس فأمر بنقضه فخرجت صناديق ملأى ذهبا فأنفقها في جنده وطلب خياطا يخيط له شيئا وكان أطروشا فظن أنه قد سعى به فقال والله ما عندى سوى اثنى عشر صندوقا لا أعلم ما فيها فأحضرت فوجد فيها مالا عظيما وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروه فوجدوا فيه كنزا واستولى على البلاد وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة وفي هذه السنة قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل النوبختى الذي قد كان اشار بخلافة القاهر ألقاه على رأسه في بئر وطمت وذنبه انه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية واشتراها فحقد عليه وفيها تحرك الجند عليه لأن ابن مقلة في اختفائه كان يوحشهم منه ويقول لهم إنه بنى لكم المطامير ليحبسكم وغير ذلك فأجمعوا على الفتك به فدخلوا عليه بالسيوف فهرب فأدركوه وقبضوا عليه في سادس من جمادى الآخرة وبايعوا أبا العباس محمد بن المقتدر ولقبوه الراضى بالله ثم أرسلوا إلى القاهر الوزير والقضاة أبا الحسين بن القاضى أبى عمر والحسن بن عبدالله

ابن أبي الشوارب وأبا طالب بن البهلول فجاؤه فقيل له ما تقول قال أنا أبو المنصور محمد بن المعتضد لى في أعناقكم بيعة وفي أعناق الناس ولست أبرئكم ولا أحلكم منها فقوموا فقاموا فقال الوزير يخلع ولا نفكر فيه أفعاله مشهورة وقال القاضي أبو الحسين فدخلت على الراضى وأعدت عليه ما جرى وأعلمته أنى أرى إمامته فرضا فقال انصرف ودعنى وإياه فأشار سيماء مقدم الحجرية على الراضى بسلمه فكحله بمسمار محمى قال محمود الأصبهانى كان سبب خلع القاهر سوء سيرته وسفكه الدماء فامتنع من الخلع فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه وقال الصولى كان أهوج سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير التلون والاستحالة مدمن الخمر ولولا جودة حاجبه سلامة لأهلك الحرث والنسل وكان قد صنع حربة يحميها فلا يطرحها حتى يقتل بها انسانا قال على بن محمد الخراسانى أحضرنى القاهر يوما والحربة بين يديه فقال أسألك عن خلفاء بنى العباس عن أخلاقهم وشيمم قلت أما السفاح فكان مسرعا إلى سفك الدماء واتبعه عماله على مثل ذلك وكان مع ذلك سمحا وصولا بالمال قال فالمنصور قلت كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبى طالب وكانوا قبلها متفقين وهو أول خليفة قرب المنجمين وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية وكتاب كليلة ودمنة وكتاب إقليدس وكتب اليونان فنظر الناس فيها وتعلقوا بها فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق جمع المغازى والسير والمنصور اول من استعمل مواليه وقدمهم على العرب قال فالمهدى قلت كان جوادا عادلا منصفا

رد ما أخذ أبوه من الناس غصبا وبالغ في إتلاف الزنادقة وبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى قال فالهادى قلت كان جبارا متكبرا فسلك عماله طريقه على قصر ايامه قال فالرشيد قلت كان مواظبا على الغزو والحج وعمر القصور والبرك بطريق مكة وبنى الثغور كأذنة وطرسوس والمصيصة ومرعش وعم الناس إحسانه وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم وهو أول خليفة لعب بالصولجة ورمى النشاب في البرجاس ولعب بالشطرنج من بنى العباس قال فالأمين قلت كان جوادا إلا أنه انهمك في لذاته ففسدت الأمور قال فالمأمون قلت غلب عليه النجوم والفلسفة وكان حليما جوادا قال فالمعتصم قلت سلك طريقه وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الأعاجم واشتغل بالغزو والفتوح قال فالواثق قلت سلك طريقة أبيه قال فالمتوكل قلت خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات ونهى عن الجدال والمناظرات والأهواء وعاقب عليها وأمر بقراءة الحديث وسماعه ونهى عن القول بخلق القرآن فأحبه الناس ثم سأل عن باقى الخلفاء وانا أجيبه بما فيهم فقال لى سمعت كلامك وكأنى أشاهد القوم ثم قام وقال المسعودى أخذ القاهر مؤنس وأصحابه مالا عظيما فلما خلع وسمل طولب بها فأنكر فعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشيء فأخذه الراضى بالله فقر به وأدناه وقال له قد ترى مطالبة الجند بالمال وليس عندى شيء والذى عندك فليس بنافع لك فاعترف به فقال اما إذ فعلت هذا فالمال مدفون في البستان وكان قد أنشأ بستانا فيه أصناف الشجر حملت إليه من البلاد وزخرفته وعمل فيه قصرا وكان الراضى مغرما بالبستان

والقصر فقال وفي أى مكان المال منه فقال أنا مكفوف ولا أهتدى إلى مكان فاحفر البستان تجده فحفر الراضى البستان واساسات القصر وقلع الشجر فلم يجد شيئا فقال له واين المال فقال وهل عندى مال وإنما كان حسرتى في جلوسك في البستان وتنعمك فأردت أن

افجعك فيه فندم الراضى وحبسه فأقام إلى سنة ثلاث وثلاثين ثم اطلقوه وأهملوه فوقف يوما بجامع المنصور بين الصفوف وعليه مبطنة بيضاء وقال تصدقوا على فأنا من قد عرفتم وذلك في أيام المستكفى ليشنع عليه فمنع من الخروج إلى أن مات سنة تسع وثلاثين في جمادى الأولى عن ثلاث وخمسين سنة وكان له من الولد عبدالصمد وأبو القاسم وأبو الفضل وعبدالعزيز ومات في ايامه من الأعلام الطحاوى شيخ الحنفية وابن دريد وأبو هاشم الجبائى وآخرون الراضى بالله أبو العباس الراضى بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وامه أم ولد رومية اسمها ظلوم وبويع له يوم خلع القاهر فأمر ابن مقلة ان يكتب كتابا فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس وفي هذا العام أى عام اثنتين وعشرين وثلثمائة من خلافته مات مرداويج مقدم الديلم بأصبهان وكان قد عظم أمره وتحدثوا أنه يريد قصد بغداد وأنه مسالم لصاحب المجوس وكان يقول أنا أرد دولة العجم وأمحق دولة العرب

وفيها بعث على بن بويه إلى الراضى يقاطعه على البلاد التى استولى عليها بثمان مائة ألف ألف درهم كل سنة فبعث له لواء وخلعا ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال وفيها مات المهدى صاحب المغرب وكانت أيامه خمسا وعشرين سنة وهو جد خلفاء المصريين الذين يسمونهم الجهلة الفاطميين فإن المهدى هذا ادعى أنه علوى وإنما جده مجوسى قال القاضى أبو بكر الباقلانى جد عبيدالله الملقب بالمهدى مجوسى دخل عبيدالله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من العلماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الاسلام أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على اسلوبه اباحوا الخمور والفروج واشاعوا الرفض وقام بالأمر بعد موت هذا ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد وفي هذه السنة ظهر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى القراقر وقد شاع عنه أنه يدعى الإلهية وانه يحيى الموتى فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه وفيها توفى أبو جعفر السجزى أحد الحجاب قيل بلغ من العمر مائة واربعين سنة وحواسه جيدة وفيها انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين وفي سنة ثلاث وعشرين تمكن الراضى بالله وقلد ابنيه أبا الفضل وأبا جعفر المشرق والمغرب وفيها كانت واقعة ابن شنبوذ المشهورة واستتابته عن القراءة بالشاذ والمحضر الذى كتب عليه وذلك بحضرة الوزير أبى على بن مقلة

وفيها في جمادى الأولى هبت ريح عظيمة ببغداد واسودت الدنيا وأظلمت من العصر إلى المغرب وفيها في ذى القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضا عظيما ما رؤى مثله وفي سنة اربع وعشرين تغلب محمد بن رائق أمير واسط ونواحيها وحكم على البلاد وبطل أمر الوزارة والدواوين وتولى هو الجميع وكتابه وصارت الأموال تحمل إليه وبطلت بيوت المال وبقى الراضى معه صورة وليس من الخلافة إلا الأسم وفي سنة خمس وعشرين اختل الأمر جدا وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها أو عامل لا يحمل مالا وصاروا مثل ملوك الطوائف ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد مع كون يد ابن رائق عليه ولما ضعف أمر الخلافة في هذه الأزمان ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الأقاليم قويت همة صاح الأندلس الأمير عبدالرحمن بن محمد الأموى المروانى وقال أنا أولى الناس بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله واستولى على أكثر الأندلس وكانت له الهيبة الزائدة والجهاد والغزو والسيرة المحمودة استأصل المتغلبين وفتح سبعين حصنا فصار المسمون بأمير المؤمنين في الدنيا ثلاثة العباسى ببغداد وهذا بالأندلس والمهدى بالقيروان وفي سنة ست وعشرين خرج يحكم على ابن رائق فظهر عليه واختفى ابن رائق فدخل بحكم بغداد فأكرمه الراضى ورفع منزلته ولقبه أمير الأمراء وقلده إمارة بغداد وخراسان وفي سنة سبع وعشرين كتب أبو على عمر بن يحيى العلوى إلى القرمطى وكان يحبه أن يطلق طريق الحاج ويعطيه عن كل جمل خمسة دنانير فأذن وحج الناس وهى أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج

وفي سنة ثمان وعشرين غرقت بغداد غرقا عظيما حتى بلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعا وغرق الناس والبهائم وانهدمت الدور وفي سنة تسع وعشرين اعتل الراضى ومات في شهر ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف وكان سمحا كريما أديبا شاعرا فصيحا محبا للعلماء وله شعر مدون وسمع الحديث من البغوى وغيره قال الخطيب للراضى فضائل منها أنه آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة خطب يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الندماء وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين وآخر خليفة سافر بزى القدماء ومن شعره % كل صفو إلى

كدر % كل أمر إلى حذر % % ومصير الشباب لل % موت فيه أو الكدر % % در در المشيب من % واعظ ينذر البشر % % أيها الآمل الذى % تاه في لجة الغرر % % أين من كان قبلنا % ذهب الشخص والأثر % % رب فاغفر خطيئتى % أنت يا خير من غفر % ذكر أبو الحسن بن رزقويه عن إسماعيل الخطبي قال وجه إلى الراضى ليلة الفطر فجئت إليه فقال يا اسمعيل قد عزمت في غد على الصلاة بالناس فما الذى أقول إذا انتهيت إلى الدعاء لنفسى فأطرقت ساعة ثم قلت قل يا امير المؤمنين ^ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك ألتى أنعمت على وعلى والدى ^ الآية فقال لى حسبك ثم تبعنى خادم فأعطانى أربعمائة دينار مات في أيامه من الأعلام نفطويه وابن مجاهد المقرىء وابن كاس الحنفى وابن أبى حاتم ومبرمان وابن عبدربه صاحب العقد والإصطخرى شيخ الشافعية وابن شنبوذ وأبو بكر الأنبارى

المتقى لله أبو إسحاق المتقى الله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة ابن المتوكل بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضى وهو ابن أربع وثلاثين سنة وأمه أمة اسمها خلوب وقيل زهرة ولم يغير شيئا قط ولا تسرى على جاريته التى كانت له وكان كثير الصوم والتعبد ولم يشرب نبيذا قط وكان يقول لا أريد نديما غير المصحف ولم يكن له سوى الأسم والتدبير لأبى عبدالله أحمد بن على الكوفى كاتب بجكم وفي هذه السنة من ولايته سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصورة وكانت تاج بغداد ومأثره بنى العباس وهى من بناء المنصور ارتفاعها ثمانون ذراعا وتحتها إيوان طوله عشرون ذراعا في عشرين ذراعا وعليها تمثال فارس بيده رمح فإذا استقبل بوجهه جهة علم أن خارجيا يظهر من تلك الجهة فسقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد وفي هذه السنة قتل بجكم التركي فولى إمرة الامراء مكانه كورتكين الديلمى وأخذ المتقى حواصل بجكم التى كانت ببغداد وهى زيادة على ألف ألف دينار ثم في هذا العام ظهر ابن رائق فقاتل كورتكين ببغداد فهزم كورتكين واختفى وولى ابن رائق إمرة الأمراء مكانه وفي سنة ثلاثين كان الغلاء ببغداد فبلغ كرا الحنطة ثلثمائة وستة عشر دينارا واشتد القحط وأكلوا الميتات وكان قحطا لم ير ببغداد مثله ابدا وفيها خرج أبو الحسين على ابن محمد اليزيدى فخرج لقتاله الخليفة وابن رائق فهزما وهربا إلى الموصل ونهبت بغداد ودار الخلافة فلما وصل الخليفة

إلى تكريت وجد هناك سيف الدولة ابا الحسن على بن عبدالله بن حمدان وأخاه الحسن وقتل ابن رائق غيلة فولى الخليفة مكانه الحسن بن حمدان ولقبه ناصر الدولة وخلع على أخيه ولقبه سيف الدولة وعاد إلى بغداد وهما معه فهرب اليزيدى إلى واسط ثم ورد الخبر في ذى القعدة أن اليزيدى يريد بغداد فاضطرب الناس وهرب وجوه أهل بغداد وخرج الخليفة ليكون مع ناصر الدولة وسار سيف الدولة لقتال اليزيدى فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن وهزم اليزيدى فعاد بالويل إلى واسط فساق سيف الدولة إلى واسط فانهزم اليزيدى إلى البصرة وفي سنة إحدى وثلاثين وصلت الروم إلى ارزن وميافارقين ونصيبين فقتلوا وسبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه على انهم يطلقون جميع من سبوا فأرسل إليهم واطلقوا الأسرى وفيها هاج الأمراء بواسط على سيف الدولة فهرب في البريد يريد بغداد ثم صار إلى الموصل اخوه ناصر الدولة خائفا لهرب أخيه وسار من واسط تورون فقصد بغداد وقد هرب منه سيف الدولة إلى الموصل فدخل تورون بغداد في رمضان فخلع عليه المتقى وولاه أمير الأمراء ثم وقعت الوحشة بين المتقى وتورون فأرسل تورون أبا جعفر بن شيرزاد من واسط إلى بغداد فحكم عليها وامر ونهى فكاتب المتقى ابن حمدان بالقدوم عليه فقدم في جيش عظيم واستتر ابن شيرزاد فسار المتقى بأهله إلى تكريت وخرج ناصر الدولة بجيش كثير من الأعراب والأكراد إلى قتال تورون فالتقيا بعكبرا فانهزم ابن حمدان والمتقى إلى الموصل ثم تلاقوا مرة أخرى فانهزم ابن حمدان والخليفة إلى نصيبين فكتب الخليفة إلى الأخشيد صاحب مصر أن يحضر إليه ثم بان له من بنى

حمدان الملل والضجر فراسل الخليفة تورون في الصلح فأجاب وبالغ في الإيمان ثم حضر الأخشيد إلى المتقى وهو بالرقة وقد بلغه مصالحة تورون فقال يا أمير المؤمنين انا عبدك وابن عبدك وقد عرفت الأتراك وفجورهم وغدرهم فالله الله في نفسك سر معى إلى مصر فهى لك وتأمن على نفسك فلم يقبل فرجع الأخشيد إلى بلاده وخرج المتقى من الرقة إلى بغداد في رابع من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وخرج للقائه تورون فلتقيا بين الأنبار وهيت فترجل تورون وقبل الأرض فأمر المتقى بالركوب فلم يفعل ومشى بين يديه إلى المخيم الذي ضربه له فلما

نزل قبض عليه وعلى ابن مقلة ومن معه ثم كحل الخليفة وأدخل بغداد مسمول العينين وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب واحضر تورون عبدالله بن المكتفى وبايعة بالخلافة ولقب المستكفى بالله ثم بايعه المتقى المسمول وأشهد على نفسه بالخلع مع ذلك لعشر بقين من المحرم وقيل من صفر ولما كحل قال القاهر % صرت وإبراهيم شيخى عمى % لابد للشيخين من مصدر % % مادام تورون له إمرة % مطاعة فالميل في المجمر % ولم يحل الحول على تورون حتى مات وأما المتقى فإنه أخرج الى جزيرة مقابلة للسندية فسجن بها فأقام بالسجن خمس وعشرين سنة إلى أن مات في شعبان سنة سبع وخمسين وفي أيام المتقى كان ابن حمدى اللص ضمنه ابن شيرزاد لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة وعشرين الف دينار في الشهر فكان يكبس بيوت الناس بالمشعل والشمع ويأخذ الأموال وكان اسكورج الديلمى قد ولى شرطة بغداد فأخذه ووسطه وذلك سنة ثنتين وثلاثين مات في أيام المتقى من الأعلام أبويعقوب النهرجورى أحد أصحاب

الجنيد والقاضى ابو عبيد الله المحاملى وابو بكر الفرغانى الصوفى والحافظ أبو العباس بن عقدة وابن ولاد النحوى وآخرون ولما بلغ القاهر أنه سمل قال صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث فكان كذلك سمل المستكفى المستكفى بالله أبو القاسم المستكفي بالله أبو القاسم عبدالله بن المكتفى بن المعتضد أمه أم ولد اسمها أملح الناس بويع له بالخلافة عند خلع المتقى في صفر سنة ثلاث وثلاثين وعمره أحدى وأربعون سنة ومات تورون في ايامه ومعه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد فطمع في المملكة وحلف العساكر لنفسه فخلع عليه الخليفة ثم دخل أحمد بن بويه بغداد فاختفى شيرزاد ودخل ابن بويه دار الخلافة فوقف بين يدى الخليفة فخلع عليه ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة واخاهما الحسن ركن الدولة وضرب ألقابهم على السكة ولقب المستكفى نفسه إمام الحق وضرب ذلك على السكة ثم إن معز الدولة قوى أمره وحجر على الخليفة وقدر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلآف درهم فقط وهو أول من ملك العراق من الديلم وأول من أظهر السعاة في بغداد واغرى المصارعين والسباحين فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة حتى صار السابح يسبح وعلى يده كانون وفوقه قدرة فيسبح حتى ينضج اللحم ثم أن معز الدولة تخيل من المستكفى فدخل عليه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين فوقف والناس وقوف على مراتبهم فتقدم اثنان من الديلم إلى الخليفة فمد يديه إليهما ظنا أنهما يريدان تقبيلهما فجذباه من السرير حتى طرحاه إلى الأرض وجراه بعمامته وهجم الديلم دار الخلافة إلى الحرم ونهبوها فلم يبق فيها شيء ومضى معز الدولة إلى منزله وساقوا المستكفى ماشيا إليه وخلع وسملت عيناه يومئذ وكانت خلافته سنة واربعة أشهر واحضروا الفضل بن المقتدر وبايعوه

ثم قدموا ابن عمه المستكفى فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع ثم سجن إلى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وله ست وأربعون سنة وشهران وكان يتظاهر بالتشيع المطيع لله أبو القاسم المطيع لله ابو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد أمه أم ولد اسمها شغله ولد سنة إحدى وثلثمائة وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفى في جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار فقط وفي هذه السنة من خلافته اشتد الغلاء ببغداد حتى أكلوا الجيف والروث وماتوا على الطرق واكلت الكلاب لحومهم وبيع العقار بالرغفان ووجد الصغار مشوية مع المساكين واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم والكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقى وفيها وقع بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان فخرج لقتاله ومعه المطيع ثم رجع والمطيع معه كالأسير وفيها مات الأخشيد صاحب مصر وهو محمد بن طغج الفرغانى والأخشيد ملك الملوك وهو لقب لكل من ملك فرغانة كما أن الأصبهذ لقب ملك طبرستان وصول ملك جرجان وخاقان ملك الترك والأفشين ملك أشر وسنة وسامان ملك سمرقند وكان الأخشيد شجاعا مهيبا ولى مصر من قبل القاهر وكان له ثمانية آلاف مملوك وهو أستاذ كافور وفيها مات القائم العبيدى صاحب المغرب وقام بعده ولى عهده ابنه المنصور بالله إسماعيل وكان القائم شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر سب الأنبياء وكان منادية ينادى العنوا الغار وما حوى وقتل خلقا من العلماء

وفي سنة خمس وثلاثين جدد معز الدولة الإيمان بينه وبين المطيع وأزال عنه التوكيل وأعاده إلى دار الخلافة وفي سنة ثمان وثلاثين سأل معز الدولة أن يشرك معه في الأمر اخاه على ابن بويه عماد الدولة ويكون من بعده فأجابه المطيع ثم لم ينشب أن مات عماد الدولة من عامه فأقام المطيع اخاه ركن الدولة والد عضد الدولة وفي سنة تسع وثلاثين أعيد الحجر الأسود إلى موضعه وجعل له طوق فضة يشد به وزنه

ثلاثة آلاف وسبعمائة وستون درهما ونصف وقال محمد بن نافع الخزاعى تأملت الحجر الأسود وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وفي سنة إحدى وأربعين ظهر قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح على انتقلت إليه وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها وآخر يدعى أنه جبريل فضربوا فتعززوا بالإنتماء إلى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت فكان هذا من أفعاله الملعونة وفيها مات المنصور العبيدي صاحب المغرب بالمنصورية التى مصرها وقام بالأمر ولى عهده ابنه معد ولقب بالمعز لدين الله وهو الذي بنى القاهرة وكان المنصور حسن السيرة بعد أبيه وابطل المظالم فأحبه الناس وأحسن أيضا ابنه السيرة وصفت له المغرب وفي سنة ثلاث واربعين خطب صاحب خراسان للمطيع ولم يكن خطب له قبل ذلك فبعث إليه المطيع اللواء والخلع وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس إلى الله بالدعاء وفي سنة ست وأربعين نقص البحر ثمانين ذراعا وظهر فيه جبال والجزائر وأشياء لم تعهد وكان بالرى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد الطالقان

ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الرى واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الأرض عظام الموتى وتفجرت منها المياه وتقطع بالرى جبل وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها وانخرقت الأرض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هكذا نقل ابن الجوزى وفي سنة سبع وأربعين عادت الزلازل بقم وحلوان والجبال فأتلفت خلقا عظيما وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والأشجار وفي سنة خمسين بنى معز الدولة ببغداد دارا هائلة عظيمة أساسها في الأرض ستة وثلاثون ذراعا وفيها قلد القضاء ابا العباس عبدالله بن الحسن بن ابي الشوارب وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدبادب والبوقات وفي خدمته الجيش وشرط على نفسه أن يحمل في كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتى ألف درهم وكتب عليه بذلك سجلا وامتنع المطيع من تقلده ومن دخوله عليه وأمر ان لا يمكن من الدخول إليه أبدا وفيها ضمن معز الدولة الحسبة ببغداد والشرطة وكل ذلك عقب ضعفة ضعفها وعوفى منها فلا كان الله عافاه وفيها أخذت الروم جزيرة أقريطش من المسلمين وكانت فتحت في حدود الثلاثين والمائتين وفيها توفى صاحب الأندلس الناصر لدين الله وقام بعده ابنه الحاكم وفي سنة إحدى وخمسين كتبت الشيعة ببغداد على ابواب المساجد لعنة معاوية ولعنة من غصب فاطمة حقها من فدك ومن منع الحسن أن يدفن مع جده ولعنة من نفى أباذر ثم إن ذلك محى في الليل فأراد معز الدولة أن يعيده فأشار عليه الوزير المهلبى أن يكتب مكان ما محى لعن الله الظالمين لآل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصرحوا بلعنة معاوية فقط وفي سنة اثنتين وخمسين يوم عاشوراء الزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين وهذا أول يوم نيح عليه فيه ببغداد واستمرت هذه البدعة سنين وفي ثانى عشر ذى الحجة منها عمل عيد غدير خم وضربت الدبادب وفي هذه السنة بعث بعض بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة والالتصاق في الجنب ولهما بطنان وسرتان ومعدتان ويختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما ولكل واحد كفان وذراعان ويدان وفخذان وساقان وإحليلان وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى المرد ومات أحدهما وبقى أياما واخوه حى فأنتن وجمع ناصر الدولة الأطباء على ان يقدروا على فصل الميت من الحي فلم يقدروا ثم مرض الحى من رائحة الميت ومات وفي سنة ثلاث وخمسين عمل لسيف الدولة خيمة عظيمة الارتفاع عمودها خمسون ذراعا وفي سنة أربع وخمسين ماتت أخت معز الدولة فنزل المطيع في طيارة إلى دار معز الدولة يعزيه فخرج إليه معز الدولة ولم يكلفه الصعود من الطيارة وقبل الأرض مرات ورجع الخليفة إلى داره وفيها بنى يعقوب ملك الروم قيسارية قريبا من بلاد المسلمين وسكنها ليغير كل وقت وفي سنة ست وخمسين مات معز الدولة فأقيم ابنه بختيار مكانه في السلطنة ولقبه المطيع عز الدولة وفي سنة سبع ملك القرامطة دمشق ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا

من مصر وعزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فأخذوها وقامت دولة الرفض في الأقاليم المغرب ومصر والعراق وذلك أن كافورا الأخشيدي صاحب مصر لما مات اختل النظام وقلت الأموال على الجند فكتب جماعة إلى المعز يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصر فأرسل مولاه جوهرا القائد في مائة ألف فارس فملكها ونزل موضع القاهرة اليوم واختطها وبنى دار الإمارة للمعز وهى المعروفة الآن

بالقصرين وقطع خطبة بنى العباس ولبس السواد وألبس الخطباء البياض وأمر ان يقال في الخطبة اللهم صلى على محمد المصطفى وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول وصل على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله وذلك كله في شهر شعبان سنة ثمان وخمسين ثم في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين أذنوا في مصر بحى على خير العمل وشرعوا في بناء الجامع الأزهر ففرغ في رمضان سنة إحدى وستين وفي سنة تسع وخمسين انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع الشمس وسمع بعد انقضاضه صوت كالرعد الشديد وفي سنة ستين أعلن المؤذنون بدمشق فى الأذان بحى على خير العمل بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله ولم يجسر احد على مخالفته وفي سنة اثنتين وستين صادر السلطان بختيار المطيع فقال المطيع أنا ليس لى غير الخطبة فإن أحببتم اعتزلت فشدد عليه حتى باع قماشه وحمل أربعمائة الف درهم وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر وفيها قتل رجل من أعوان الموالى ببغداد فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازى من طرح النار من النحاسين إلى السماكين فاحترق حريق عظيم لم ير مثله واحترقت اموال واناس كثيرون في الدور والحمامات وهلك الوزير من عامه لا رحمه الله

وفي رمضان من هذه السنة دخل المعز إلى مصر ومعه توابيت آبائه وفي سنة ثلاث وستين قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد بن أم شيبان الهاشمى بعد تمنع وشرط لنفسه شروطا منها ان لا يرتزق على القضاء ولا يخلع عليه ولا يشفع إليه فيما يخالف الشرع وقرر لكاتبه في كل شهر ثلثمائة درهم ولحاجبه مائة وخمسين وللفارض على بابه مائة ولخازن ديوان الحكم والأعوان ستمائة وكتب له عهد صورته هذا ما عهد به عبدالله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن صالح الهاشمى حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصورة والمدينة الشرقية من الجانب الشرقى والجانب الغربى والكوفة وسقى الفرات وواسط وكرخى وطريق الفرات ودجلة وطريق خراسان وحلوان وقرميسين وديار مضر وديار ربيعة وديار بكر والموصل والحرمين واليمن ودمشق وحمص وجند قنسرين والعواصم ومصر والإسكندرية وجند فلسطين والأردن واعمال ذلك كلها ومن يجرى من ذلك من الأشراف على من يختاره من العباسيين بالكوفة وسقى الفرات واعمال ذلك وما قلده إياه من قضاء القضاة وتصفح أحوال الحكام والاستشراف على ما يجرى عليه أمر الأحكام من سائر النواحى والأمصار التى تشتمل عليه المملكة وتنتهى إليها الدعوة وإقرار من يحمد هديه وطريقه والاستبدال بمن يذم شيمته وسجيته احتياطا للخاصة والعامة وجنوا على الملة والذمة عن علم بأنه المقدم في بيته وشرفه المبرز في عفافته الزكى في دينة وأمانته الموصوف في ورعه ونزاهته المشار إليه بالعلم والحجى المجمع عليه في الحلم والنهى البعيد من الأدناس اللابس من التقى أجمل اللباس النقى الحبيب المحبو بصفاء الغيب العالم بصالح الدنيا العارف بما يفسد سلامة العقبى أمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية وليجعل كتاب الله في كل ما يعمل

فيه رويته ويرتب عليه حكمه وقضيته إمامه الذي يفزع إليه وان يتخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منارا يقصده ومثالا يتبعه وان يراعى الإجماع وان يقتدى بالأئمة الراشدين وان يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع وأن يحضر مجلسه من يستظهر بعلمه ورأيه وأن يسوى بين الخصمين إذا تقدما إليه في لحظه ولفظه ويوفى كلا منهما من إنصافه وعدله حتى يأمن الضعيف حيفه ويأس القوى من ميله وأمره أن يشرف على اعوامه وأصحابه ومن يعتمد عليه من أمنائه واسبابه إشرافا يمنع من التخطى إلى السيرة المحظورة ويدفع عن الإسفاف إلى المكاسب المحجورة وذكر من هذا الجنس كلاما طويلا قلت كان الخلفاء يولون القاضى المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التى تحت ملكهم ثم يستنيب القاضى من تحت أمره من شاء في كل إقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب قاضى القضاة ولا يلقب به إلا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضى فقط أو قاضى بلد كذا واما الآن فصار في البلد الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب قاضى القضاة ولعل آحاد نواب أولئك كان في حكمه أضعاف ما كان في حكم الواحد من قضاة القضاة الآن ولقد كان قاضى القضاة إذ ذاك أوسع حكما من سلاطين هذا الزمان وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاث وستين حصل للمطيع فالج وثقل لسانه فدعاه حاجب عز الدولة الحاجب سبكتكين إلى خلع نفسه وتسليم الأمر الى ولده الطائع لله ففعل وعقد له الأمر في يوم الأربعاء ثالث عشرى ذى القعدة فكانت مدة خلافة المطيع تسعا وعشرين سنة وأشهرا وأثبت خلعه على القاضى ابن أم شيبان وصار بعد خلعه يسمى الشيخ الفاضل قال الذهبى وكان المطيع وابنه مستضعفين مع بنى نويه ولم يزل أمر الخلفاء في ضعف إلى أن استخلف المقتفى لله فانصلح أمر

الخلافة قليلا وكان

دست الخلافة لبنى عبيد الرافضة بمصر أميز وكلمتهم أنفذ ومملكتهم تناطح مملكة العباسيين في وقتهم وخرج المطيع إلى واسط مع ولده فمات في المحرم سنة اربع وستين قال ابن شاهين خلع نفسه غير مكره فيما صح عندى قال الخطيب حدثنى محمد بن يوسف القطان سمعت أبا الفضل التميمى سمعت المطيع لله سمعت شيخى ابن منيع سمعت احمد بن حنبل يقول إذا مات أصدقاء الرجل ذل وممن مات في أيام المطيع من الأعلام الخرقى شيخ الحنابلة وأبو بكر الشلبى الصوفى وابن القاص إمام الشافعية وأبو رجاء الأسوانى وأبو بكر الصولى والهيثم بن كليب الشاشى وأبو الطيب الصعلوكى وابو جعفر النحاس النحوى وأبو نصر الفارابى وابو إسحاق المروزى أمام الشافعية وأبو القاسم الزجاجى اللنحوى والكرخى شيخ الحنفية والدينورى صاحب المجالسة وأبو بكر الضبعى والقاضى أبو القاسم التنوخى وابن الحداد صاحب الفروع وأبو على ابن أبى هريرة من كبار الشافعية وأبو عمر الزاهد والمسعودى صاحب مروج الذهب وابن درستويه وأبو على الطبرى أول من جرد الخلاف والفاكهى صاحب تاريخ مكة والمتنبى الشاعر وابن حبان صاحب الصحيح وابن شعبان من أئمة المالكية وأبو على القالى وأبو الفرج صاحب الأغانى الطائع لله أبو بكر الطائع لله ابو بكر عبدالكريم بن المطيع أمه أم ولد اسمها هزار نزل له أبوه عن الخلافة وعمره ثلاث وأربعون سنة فركب وعليه البردة ومعه الجيش وبين يديه سبكتكين وخلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة وعقد له

اللواء ولقبه نصر الدولة ثم وقع بين عز الدولة وسبكتكين فدعا سبكتكين الأتراك لنفسه فأجابوه وجرى بينه وبين عز الدولة حروب وفي ذى الحجة من هذه السنة أي سنة ثلاث وستين وثلثمائة أقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدى وفي سنة اربع وستين قدم عضد الدولة بغداد لنصرة عز الدولة على سبكتكين فأعجبته بغداد وملكها فعمل عليها واستمال الجند فشغبوا على عز الدولة فأغلق بابه وكتب عضد الدولة عن الطائع إلى الآفاق باستقرار الأمر العضد الدولة فوقع بين الطائع وبين غضد الدولة فقطعت الخطبة للطائع بسبب ذلك ببغداد وغيرها من يوم العشرين من جمادى الأولى إلى أن أعيدت في عاشر رجب وفي هذه السنة وبعدها غلا الرفض وفار بمصر والشام والمشرق والمغرب ونودى بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدى وفي سنة خمسة وستين نزل ركن الدولة بن بويه عما بيده من الممالك لأولاده فجعل لعضد الدولة فارس وكرمان ولمؤيد الدولة الرى وأصبهان ولفخر الدولة همذان والدينور وفي رجب منها عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس قاضى القضاة ابن معروف وحكم لأن عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف هو وفيها كانت وقعة بين عز الدولة وعضد الدولة وأسر فيها غلام تركى لعز الدولة فجن عليه واشتد حزنه وامتنع من الأكل وأخذ في البكاء واحتجب عن الناس وحرم على نفسه الجلوس في الدست وكتب إلى عضد الدولة يسأله أن يرد الغلام إليه ويتذلل فصار ضحكة بين الناس وعوتب فما ارعوى لذلك وبذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له في الواحدة مائة ألف دينار وقال للرسول إن توقف عليك في رده

فزد ما رأيت ولا تفكر فقد رضيت أن آخذه واذهب إلى أقصى الأرض فرده عضد الدولة عليه وفيها أسقط الخطبة من الكوفة لعز الدولة وأقيمت لعضد الدولة وفيها مات المعز لدين الله العبيدى صاحب مصر وأول من ملكها من العبيديين وقام بالأمر بعده ابنه نزاز ولقب العزيز وفي سنة ست وستين مات المنتصر بالله الحكم بن الناصر لدين الله الأموى صاحب الأندلس وقام بعده ابنه المؤيد بالله هشام وفي سنة سبع وستين التقى عز الدولة وعضد الدولة فظفر عضد الدولة وأخذ عز الدولة أسيرا وقتله بعد ذلك وخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفا وعقد له لواءين بيده احدهما مفضض على رسم الأمراء والآخر مذهب على رسم ولاة العهود ولم يعقد اللواء الثانى لغيره قبله وكتب له عهدا وقرىء بحضرته ولم يبق أحد إلا تعجب ولم تجر العادة بذلك إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فإذا أخذه قال أمير المؤمنين هذا مهدى إليك فاعمل به وفي سنة ثمان وستين أمر الطائع بأن تضرب الدبادب على باب عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء وان يخطب له على منابر الحضرة قال ابن الجوزى وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلقا لولاة العهود وقد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدبادب بمدينة السلام فسأل المطيع في ذلك فلم يأذن له وما حظى عضد الدولة بذلك إلا لضعف أمر الخلافة وفي سنة تسع وستين ورد رسول العزيز صاحب مصر إلى بغداد

وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه تاج الملة ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابه وجلس الطائع على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضيب وهو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل أن تكون حجابا للطائع حتى لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل الأتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الأشراف واصحاب المراتب من الجانبين ثم اذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الأرض فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة ما هذا أيها الملك أهذا هو الله فالتفت إليه وقال هذا خليفة الله في الأرض ثم استمر يمشى ويقبل الأرض سبع مرات فالتفت الطائع إلى خالص الخادم وقال استدنه فصعد عضد الدولة فقبل الأرض مرتين فقال له ادن إلى فدنا وقبل رجله وثنى الطائع يمينه عليه وامره فجلس على الكرسي بعد أن كرر عليه اجلس وهو يستعفى فقال له أقسمت عليك لتجلسن فقبل الكرسي وجلس فقال له الطائع قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله إلى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتى واسبابى فتول ذلك فقال يعيننى الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته ثم افاض عليه الخلع وانصرف قلت انظر إلى هذا الأمر وهو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن احد ما ضعفت في زمنه ولا قوى أمر سلطان ما قوى أمر عضد الدولة وقد صار الأمر في زماننا إلى ان الخليفة يأتى السلطان يهنئه برأس الشهر

فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته ويجلسا معا خارج المرتبة ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس ويجلس السلطان في دست مملكته ولقد حدثت ان السلطان الأشرف برسباى لما سافر إلى آمد لقتال العدو وصحب الخليفة معه كان الخليفة راكبا أمامه يحجبه والهيبة والعظمة للسلطان والخليفة كآحاد الأمراء الذين في خدمة السلطان وفي سنة سبعين خرج من همذان عضد الدولة وقدم بغداد فلتقاه الطائع ولم تجر عادة بخروج الخلفاء لتلقى أحد فلما توفيت بنت معز الدولة ركب المطيع إليه فعزاه فقبل الارض وجاء رسول عضد الدولة يطلب من الطائع أن يتلقاه فما وسعه التأخر وفي سنة اثنتين وسبعين مات عضد الدولة فولى الطائع مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة ولقبه شمس الملة وخلع عليه سبع خلع وتوجه وعقد له لواءين ثم في سنة ثلاث وسبعين مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة وفي سنة خمس وسبعين هم صمصام الدولة أن يجعل المكس على ثياب الحرير والقطن مما ينسج ببغداد ونواحيها ووقع له في ضمان ذلك الف ألف درهم في السنة فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكاد البلد يفتن فأعفاهم من ضمان ذلك وفي سنة ست وسبعين قصد شرف الدولة اخاه صمصام الدولة فانتصر عليه وكحله ومال العسكر إلى شرف الدولة وقدم بغداد وركب الطائع إليه يهنئه بالبلاد وعهد إليه بالسلطنة وتوجه وقرىء عهده والطائع يسمع

وفي سنة ثمان وسبعين امر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في سيرها كما فعل المأمون وفيها اشتد الغلاء ببغداد جدا وظهر الموت بها ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط منه وجاءت ريح عظيمة بفح الصلح حرقت دجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها وأغرقت كثيرا من السفن واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب فطرحت ذلك في أرض جوخى فشوهد بعد ايام وفي سنة تسع وسبعين مات شرف الدولة وعهد إلى أخيه أبى نصر فجاءه الطائع إلى دار المملكة يعزيه فقبل الأرض غير مرة ثم ركب أبو نصر إلى الطائع وحضر الأعيان فخلع الطائع على أبى نصر سبع خلع أعلاها سوداء وعمامة سوداء وفي عنقه طوق كبير وفي يده سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف ثم قبل الأرض بين يدى الطائع وجلس على كرسى وقرىء عهده ولقبه الطائع بهاء الدولة وضياء الملة وفي سنة إحدى وثمانين قبض على الطائع وسببه أنه حبس رجلا من خواص بهاء الدولة فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع في الرواق متقلدا سيفا فلما قرب بهاء الدولة قبل الأرض وجلس على الكرسي وتقدم اصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع من سريره وتكاثر الديلم فلفوه في كساء واصعد إلى دار السلطنة وارتج البلد ورجع بهاء الدولة وكتب على الطائع أيمانا بخلع نفسه وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله وشهد عليه الأكابر والأشراف وذلك في تاسع عشر شهر شعبان

ونفذ إلى القادر بالله ليحضر وهو بالبطيحة واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرما محترما في أحسن حال حتى إنه حمل إليه ليلة شمعة قد أوقد نصفها فأنكر ذلك فحملوا إليه غيرها إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وصلى عليه القادر بالله في داره وشيعه الأكابر والخدم ورثاه الشريف الرضى بقصيدة وكان شديد الانحراف على آل أبي طالب وسقطت الهيبة في ايامه جدا حتى هجاه الشعراء مات في ايام الطائع من الأعلام ابن السنى الحافظ وابن عدى والقفال الكبير والسيرافى النحوى وأبو سهل الصعلوكى وابو بكر الرازى الحنفى وابن خالوية والأزهرى إمام اللغة وأبو إبراهيم الفارابى صاحب ديوان الأدب والرفاء الشاعر وأبو زيد المروزى الشافعى والداركى وأبو بكر الأبهري شيخ المالكية وأبو الليث السمرقندى إمام الحنفية وأبو على الفارسى النحوى وابن الجلاب المالكى القادر بالله أبو العباس القادر بالله ابو العباس احمد بن إسحاق بن المقتدر ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وأمه أمة واسمها تمنى وقيل دمنة بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع وكان غائبا فقدم في عاشر رمضان وجلس من الغد جلوسا عاما وهنىء وأنشد بين يديه الشعراء من ذلك قول الشريف الرضى

% شرف الخلافة يا بنى العباس % اليوم جدده أبو العباس % % ذا الطود أبقاه الزمان ذخيرة % من ذلك الجبل العظيم الراسى %

قال الخطيب وكان القادر من السترو الديانة والسيدة وإدامة التهجد بالليل

وكثرة البرو الصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعرف بها كل احد مع حسن المذهب وصحة الأعتقاد تفقه على العلامة أبي بشر الهروى الشافعى وقد صنف كتابا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث واورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة اصحاب الحديث بجامع المهدى وبحضرة الناس ترجمة ابن الصلاح في طبقات الشافعية وقال الذهبى في شوال من سنة ولايته عقد مجلس عظيم وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة وفيها دعا صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوى إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله وسلم عليه بالخلافة فانزعج صاحب مصر ثم ضعف امر أبى الفتوح وعاد إلى طاعة العزيز العبيدي وفي سنة اثنتين وثمانين ابتاع الوزير ابو نصر سابور ازدشير دارا بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ووقف بها كتبا كثيرة وفي سنة اربع وثمانين عاد الحاج العراقى من الطريق اعتراضهم الأصيفر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا برسمه فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضا اهل الشام ولا اليمن إنما حج أهل مصر وفي سنة سبع وثمانين مات السلطان فخر الدولة وأقيم ابنه رستم مقامه في السلطنة بالرى واعمالها وهو ابن أربع سنين ولقبه القادر مجد الدولة قال الذهبى ومن الأعجوبات هلاك تسعة ملوك على نسق في سنتى

سبع وثمانين وثمان وثمانين منصور بن نوح ملك ما وراء النهر وفخر الدولة ملك الرى والجبال والعزيز العبيدى صاحب مصر وفيهم يقول أبو منصور عبدالملك الثعالبى % ألم ترمذ عامين أملاك عصرنا % يصيح بهم للموت والقتل صائح % % فنوح بن منصور طوته يد الردى % على حسرات ضمنها الجوانح % ويابؤس منصور ففى يوم سرخس % تمزق عنه ملكه وهو طائح % % وفرق عنه الشمل بالسمل واغتدى % أميرا ضريرا تعتريه الجوائح % % وصاحب مصر قد مضى بسبيله % ووالى الجبال غيبته الضرائح % % وصاحب جرجانية في ندامة % ترصده طرف من الحين طامح % % وخوارزم شاه شاه وجهه نعيمه % وعن له يوم من النحس طالح % % وكان علا في الأرض يخطبها أبو % على الى أن طوحته الطوئح % % وصاحب بست ذلك الضيغم الذى % براثنه للمشرقين مفاتح % % أناخ به من صدمه الدهر كلكل % فلم تغن عنه والمقدر سانح % % جيوش إذا أربت على عدد الحصى % تغص بها قيعانها والصحاصح % % ودارت على صمصام دولة بويه % دوائر سوء سلبهن فوادح % وقد جاز والجوزجان قناطر الحياة فوافته المنايا الطوامح وذكر الذهبى أن العزيز صاحب مصر مات سنة ست وثمانين وفتحت له زيادة على آبائه حمص حماة وحلب وخطب له بالموصل وباليمن وضرب اسمه فيها على السكة والأعلام وقام بالأمر بعده ابنه منصور ولقب الحاكم بأمر الله وفي سنة تسعين ظهر بسجستان معدن ذهب فكانوا يصفون من التراب الذهب الأحمر

وفي سنة ثلاث وتسعين أمر نائب دمشق الأسودالحاكمى بمغربى فطيف به على حمار ونودى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم ضرب عنقه رحمه الله ولا رحم قاتله ولا أستاده الحاكم وفي سنة اربع وتسعين قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى

قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبيين وكتب له من شيراز العهد فلم ينظر في القضاء لامتناع القادر من الإذن له وفي سنة خمس وتسعين قتل الحاكم بمصر جماعة من الأعيان صبرا وأمر بكتب سب الصحابة على ابواب المساجد والشوارع وأمر العمال بالسب وفيها أمر بقتل الكلاب وأبطل الفقاع والملوخيا ونهى عن السمك الذى لا قشر له وقتل جماعة ممن باع ذلك بعد نهيه وفي سنة ست وتسعين أمر الناس بمصر والحرمين إذا ذكر الحاكم ان يقوموا ويسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع وفي سنة ثمان وتسعين وقعت فتنة بين الشيعة واهل السنة في بغداد وكاد الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقتل فيها وصاح الرافضة ببغداد يا حاكم يا منصور فأحفظ القادر من ذلك وانفذ الفرسان الذين على بابه لمعاونة اهل السنة فانكسر الروافض وفيها هدم الحاكم بيعة قمامة التى بالمقدس وامر بهدم جميع الكنائس التى بمصر وامر النصارى بأن تحمل في أعناقهم الصلبان طول الصليب ذراع ووزنه خمسة ارطال بالمصري واليهود ان يحملوا في أعناقهم قرم الخشب في زنة الصلبان وان يلبسوا العمائم السود فأسلم طائفة منهم ثم بعد ذلك أذن في إعادة البيع والكنائس واذن لمن أسلم ان يعود إلى دينه لكونه مكرها وفي سنة تسع وتسعين عزل أبو عمرو قاضى البصرة وولى القضاء أبو الحسن ابن ابى الشوارب فقال العصفرى الشاعر

% عندى حديث طريف % بمثله يتغنى % % عن قاضيين يعزى % هذا وهذا يهنى % % وذا يقول حيرانا % وذا يقول استرحنا % % ويكذبان جميعا % ومن يصدق منا % وفيها وهى سلطان بنى أمية بالأندلس وانخرم نظامهم وفي سنة اربعمائة نقصت دجلة نقصانا لم يعهد واكتريت لأجل جزائر ظهرت ولم يكن قبل ذلك قط وفي سنة اثنتين نهى الحاكم عن بيع الرطب وحرقه وعن بيع العنب وأباد كثيرا من الكروم وفي سنة أربع منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا واستمر ذلك إلى ان مات وفي سنة إحدى عشرة قتل الحاكم لعنه الله بحلوان قرية بمصر وقام بعده ابنه على ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله وتضعضعت دولتهم في أيامه فخرجت عنهم حلب واكثر الشام وفي سنة اثنتين وعشرين توفى القادر بالله ليلة الاثنين الحادي عشر من ذى الحجة عن سبع وثمانين سنة ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة اشهر وممن مات في أيامه من الأعلام أبو أحمد العسكرى الأديب والرمانى النحوى وابو الحسن الماسرجسى شيخ الشافعية وابو عبيد الله المرزبانى والصاحب بن عباد وهو وزير مؤيد الله وهو أول من سمى بالصاحب من الوزراء والدارقطنى الحافظ المشهور وابن شاهين وابو بكر الأودنى إمام الشافعية ويوسف بن السيرافى وابن زولاق المصري وابن أبى زيد المالكى شيخ المالكية وأبو طالب المكى صاحب قوت القلوب وابن بطة

الحنبلى وابن سمعون الواعظ والخطابى والحاتمى اللغوى والأدفوى ابو بكر وزاهر السرخسى شيخ الشافعية وابن غلبون المقرىء والكشميهنى روای الصحيح والمعافى بن زكريا النهروانى وابن خويز منداد وابن جنى والجوهرى صاحب الصحاح وابن فارس صاحب المجمل وابن منده الحافظ والإسماعيلي شيخ الشافعية واصبغ بن الفرج شيخ المالكية وبديع الزمان أول من عمل المقامات وابن لال وابن ابى زمنين وابو حيان التوحيدى والوأواء الشاعر والهروى صاحب الغريبين وأبو الفتح البستى الشاعر والحليمى شيخ الشافعية وابن الفارض وأبو الحسن القابسى والقاضى أبو بكر الباقلانى وابو الطيب الصعلوكى وابن الأكفانى وابن نباته صاحب الخطب والصيمرى شيخ الشافعية والحاكم صاحب المستدرك وابن كج والشيخ أبو حامد الإسفرايني وابن فورك والشريف الرضى وأبو بكر الرازى صاحب الألقاب والحافظ عبدالغنى بن سعيد وابن مردويه وهبة الله بن سلامة الضرير المفسر وابو عبد الرحمن السلمى شيخ الصوفية وابن البواب صاحب الخط وعبدالجبار المعتزلى والمحاملى امام الشافعية وأبو بكر القفال شيخ الشافعية والأستاذ ابو إسحاق الإسفرايني واللالكائى وابن الفخار عالم الأندلس وعلى بن عيسى الربعى النحوى وخلائق أخرون قال الذهبى كان في هذا العصر رأس الأشعرية ابو إسحاق الإسفرايني ورأس المعتزلة القاضى عبدالجبار ورأس الرافضة الشيخ المقتدر ورأس الكرامية محمد بن الهيصم ورأس القراء ابو الحسن الحمامى ورأس المحدثين الحافظ عبدالغنى بن سعيد ورأس الصوفية ابو عبدالرحمن السلمى ورأس الشعراء أبو عمر بن دراج ورأس المجودين ابن البواب ورأس الملوك السلطان محمود بن سبكتكين قلت ويضم إلى هذا رأس الزنادقة الحاكم بأمر الله ورأس اللغويين

الجوهرى ورأى النحاة ابن جنى ورأس البلغاء البديع ورأس الخطباء ابن نباتة ورأس المفسرين أبو القاسم بن حبيب النيسابورى ورأس الخلفاء القادر بالله فإنه من أعلامهم تفقه وصنف وناهيك بأن الشيخ تقى الدين ابن الصلاح عده من الفقهاء الشافعية وأورده في طبقاتهم ومدته في الخلافة من أطول المدد القائم بأمر الله أبو جعفر القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر ولد في نصف ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وأمه أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى ولى الخلافة عند موت أبيه في يوم الإثنين الحادى عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وكان ولى عهده في الحياة وهو الذي لقبه بالقائم بأمر الله قال ابن الأثير كان جميلا مليح الوجه أبيض مشربا حمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصدقة والصبر له عناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة مؤثرا للعدل والإحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شيء طلب منه قال الخطيب ولم يزل أمر القائم بأمر بالله مستقيما إلى ان قبض عليه في سنة خمسين وأربعمائة وكان السبب في ذلك أن ارسلان التركى المعروف بالبساسيرى كان قد عظم أمره واستفحل شأنه لعدم نظرائه وانتشر ذكره وتهيبته امراء العرب والعجم ودعى له على المنابر وجبى الأموال وخرب القرى

ولم يكن القائم يقطع أمرا دونه ثم صح عنده سوء عقيدته وبلغه انه عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب الخليفة ابا طالب محمد ابن مكيال سلطان الغز المعروف بطغرلبك وهو بالرى يستنهضه في القدوم ثم احرقت دار البساسيرى وقدم طغرلبك في سنة سبع وأربعين فذهب البساسيرى إلى الرحبة وتلاحق به خلق من الأتراك وكاتب صاحب مصر فأمده بالأموال وكاتب تبال أخا طغرلبك واطمعه بمنصب أخيه فخرج تبال واشتغل به طغرلبك ثم قدم البساسيرى بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية ووقع القتال بينه وبين الخليفة ودعى لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور وزيد في الأذان حى على خير العمل ثم خطب له في كل الجوامع إلا جامع الخليفة ودام القتال شهرا ثم قبض البساسيرى على الخليفة في ذى الحجة وسيره إلى غابة وحبسه بها واما طغرلبك فظفر بأخيه وقتله ثم كاتب متولى غابة في رد الخليفة إلى داره مكرما فحصل الخليفة في مقر عزة في الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين ودخل بأبهة عظيمة والأمراء والحجاب بين يديه وجهز طغرلبك جيشا فحاربوا البساسيرى فظفروا به فقتل وحمل رأسه إلى بغداد ولما رجع الخليفة إلى داره لم ينم بعدها إلا على فراش مصلاه ولزم الصيام والقيام وعفا عن كل من آذاه ولم يسترد شيئا مما نهب من قصره إلا بالثمن وقال هذه أشياء احتسبناها عند الله ولم يضع رأسه بعدها على مخدة

ولما نهب قصره لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهى وروى انه لما سجنه البساسيرى كتب قصته وأنفذها إلى مكة فعلقت في الكعبة فيها إلى الله العظيم من المسكين عبده اللهم إنك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر اللهم إنك غنى بعلمك وإطلاعك على خلقك عن إعلامى هذا عبد قد كفر نعمك وما شكرها وألغى العواقب وما ذكرها اضغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا وأساء إلينا عتوا وعدوا اللهم قل الناصر واعتز الظالم وأنت المطلع العالم المنصف الحاكم بك نعتز عليه وإليك نهرب من بين يديه فقد تعزز علينا بالمخلوقين ونحن نعتز بك وقد حاكمناه إليك وتوكلنا في أنصافنا منه عليك ورفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين وفي سنة ثمان وعشرين مات الظاهر العبيدي صاحب مصر واقيم ابنه المستنصر بعده وهو ابن سبع سنين فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة اشهر قال الذهبى ولا أعلم احدا في الإسلام لا خليفة ولا سلطانا أقام هذه المدة وفي أيامه كان الغلاء بمصر الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف فأقام سبع سنين حتى اكل الناس بعضهم بعضا وحتى قيل أنه بيع رغيف بخمسين دينارا وفي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدي بالمغرب وخطب لبنى العباس وفي سنة إحدى وخمسين كان عقد الصلح بين السلطان إبراهيم بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وبين السلطان جغرى بك بن سلجوق

أخى طغرلبك صاحب خراسان بعد حروب كثيرة ثم مات جغرى بك في السنة واقيم مكانه ابنه ألب ارسلان وفي سنة اربع وخمسين زوج الخليفة ابنته لطغرلبك بعد أن دافع بكل ممكن وانزعج واستعفى ثم لان لذلك برغم منه وهذا أمر لم ينله احد من ملوك بنى بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم قلت والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلا عن السلطان فإنا الله وإنا إليه راجعون ثم قدم طغرلبك في سنة خمس وخمسين فدخل بابنة الخليفة واعاد المواريث والمكوس وضمن بغداد بمائة وخمسين الف دينار ثم رجع إلى الرى

فمات بها في رمضان فلا عفا الله عنه وأقيم في السلطنة بعده ابن اخيه عضد الدولة الب أرسلان صاحب خراسان وبعث إليه القائم بالخلع والتقليد قال الذهبي وهو أول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد وبلغ ما لم يبلغه أحد من الملوك وافتتح بلادا كثيرة من بلاد النصارى واستوزر نظام الملك فأبطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الشعرية وانتصر للشافعية واكرم إمام الحرمين وأبا القاسم القشيرى وبنى النظامية قيل وهى اول مدرسة بنيت للفقهاء وفي سنة ثمان وخمسين ولدت بباب الأزج صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان على بدن واحدد وفيها ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة تمامه بشعاع عظيم وهال الناس ذلك وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوؤه وغاب وفي سنة تسع وخمسين فرغت المدرسة النظامية ببغداد وقرر لتدريسها الشيخ أبو أسحاق الشيرازى فاجتمع الناس فلم يحضر واختفى فدرس

ابن الصباغ صاحب الشامل ثم تلطفوا بالشيخ ابى إسحاق حتى اجاب ودرس وفي سنة ستين كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التى خربتها حتى طلع الماء من رؤس الأبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون الفا وابعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى ارضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم وفي سنة إحدى وستين احترق جامع دمشق وزالت محاسنه وتشوه منظره وذهبت سقوفه المذهبة وفي سنة اثنتين وستين ورد رسول امير مكة على السلطان الب ارسلان بأنه اقام الخطبة العباسية وقطع خطبة المستنصر المصري وترك الأذان بحى على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين الف دينار وخلعا وسبب ذلك ذلة المصريين بالقحط المفرط سنين متوالية حتى اكل الناس الناس وبلغ الإردب مائة دينار وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاث دنانير وحكى صاحب المرآة أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه بمد بر فلم يلتفت إليها احد وقال بعضهم يهنىء القائم % وقد علم المصرى ان جنوده % سنو يوسف فيها وطاعون عمواس % % أقامت به حتى استراب بنفسه % وأوجس منها خيفة أي إيجاس % وفي سنة ثلاث وستين خطب بحلب للقائم للسلطان الب ارسلان لما رأوا قوة دولتهما وإدبار دولة المنتصر وفيها كانت وقعة عظيمة بين الإسلام والروم ونصر المسلمون ولله

الحمد ومقدمه السلطان ألب أرسلان واسر ملك الروم ثم أطلقه بمال جزيل وهادنه خمسين سنة ولما أطلق قال للسلطان اين جهة الخليفة فأشار له فكشف رأسه وأومأ إلى الجهة بالخدمة وفي سنة اربع وستين كان الوباء في الغنم إلى الغاية وفي سنة خمس وستين قتل السلطان الب أرسلان وقام في الملك بعده ولده ملكشاه ولقب جلال الدولة ورد تدبير الملك إلى نظام الملك ولقبه الأتابك وهو أول من لقبه ومعناه الأمير الوالد وفيها اشتد الغلاء بمصر حتى أكلت امرأة رغيفا بألف دينار وكثر الوباء إلى الغاية وفي سنة ست وستين كان الغرق العظيم ببغداد وزادت دجلة ثلاثين ذراعا ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الأموال والأنفس والدواب وركبت الناس في السفن وأقيمت الجمعة في الطيار على وجه الماء مرتين وقام الخليفة يتضرع إلى الله وصارت بغداد ملقة واحدة وانهدم مائة الف دار أو أكثر وفي سنة سبع وستين مات الخليفة القائم بأمر الله ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان وذلك أنه افتصد ونام فانحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير فاستيقظ وقد انحلت قوته فطلب حفيده ولى العهد عبدالله بن محمد ووصاه ثم توفى ومدة خلافته خمس وأربعون سنة مات في أيامه من الأعلام أبو بكر البرقانى وأبو الفضل الفلكى والثعلبى المفسر والقدورى شيخ الحنفية وابن سينا شيخ الفلاسفة ومهيار الشاعر وأبو نعيم صاحب الحلية وأبو زيد الدبوسى والبرادعى المالكى صاحب التهذيب وأبو الحسين البصرى المعتزلى ومكى صاحب الإعراب والشيخ ابو محمد الجوينى والمهدوى صاحب التفسير والإفليلى

والثمانيني وأبو عمرو الدانى والخليل صاحب الإرشاد وسليم الرازى وأبو العلاء المعري وأبو عثمان الصابونى وابن بطال شارح البخاري والقاضى أبو الطيب الطبري وابن شيطا المقرىء والماوردى الشافعى وابن باب شاذ والقضاعى صاحب الشهاب وابن برهان النحوى وابن حزم الظاهرى والبيهقى وابن سيده صاحب المحكم وأبو يعلى بن الفراء شيخ الحنابله والحضرمى من الشافعية والهذلى صاحب الكامل في القراءات والفريابي والخطيب والبغدادي وابن رشيق صاحب العمدة وابن عبدالبر المقتدي بأمر الله أبو القاسم المقتدى بأمر الله ابو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله مات ابوه في حياة القائم وهو حمل فولد بعد وفاة ابيه بستة أشهر وأمه أم ولد اسمها أرجوان وبويع له بالخلافة عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وكانت البيعة بحضرة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وابن الصباغ والدامغانى وظهر

في أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة في البلدان وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة بخلاف من تقدمه ومن محاسنه انه نفى المغنيات والخواطى ببغداد وأمر أن لا يدخل احد الحمام إلا بمئزر وخرب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس وكان دينا خيرا قوى النفس عالى الهمة من نجباء بنى العباس وفي هذه السنة من خلافته أعيدت الخطبة للعبيدى بمكة وفيها جمع نظام الملك المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله النظام مبدأ التقاويم

وفي سنة ثمان وستين خطب للمقتدى بدمشق وأبطل الأذان بحى على خير العمل وفرح الناس بذلك وفي سنة تسع وستين قدم بغداد أبو نصر بن الأستاذ أبى القاسم القشيرى حاجا فوعظ بالنظامية وجرى له فتنة كبيرة مع الحنابلة لأنه تكلم على مذهب الأشعرى وحط عليهم وكثر اتباعه والمتعصبون له فهاجت فتن وقتلت جماعة وعزل فخر الدولة بن جهير من وزارة المقتدى لكونه شذ عن الحنابلة وفي سنة خمس وسبعين بعث الخليفة الشيخ أبا إسحاق الشيرازى رسولا إلى السلطان يتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح بن ابى الليث عميد العراق وفي سنة سبع وسبعين رخصت الأسعار بسائر البلاد وارتفع الغلاء وفيها ولي الخليفة أبا الشجاع محمد بن الحسين الوزارة ولقبه ظهير الدين وأظن ذلك اول حدوث التلقيب بالإضافة إلى الدين وفي سنة سبع وسبعين سار سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب قونية وأقصراءبجيوشه إلى الشام فأخذ أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وارسل إلى السلطان ملكشاه يبشره قال الذهبى وآل سلجوق هم ملوك بلاد الروم وقد امتدت أيامهم وبقى منهم بقية إلى زمن الملك الظاهر بيبرس وفي سنة ثمان وسبعين جاءت ريح سوداء ببغداد بعد العشاء واشتد الرعد والبرق وسقط الرمل وتراب كالمطر ووقعت عدة صواعق في كثير من البلاد فظن الناس أنها القيامة وبقيت ثلاث ساعات بعد العصر وقد شاهد هذه الكائنة الإمام أبو بكر الطرطوشى وأوردها في أماليه وفي سنة تسع وسبعين أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش إلى المقتدى يطلب أن يسلطنه وأن يقلده ما بيده من البلاد فبعث إليه الخليفة الخلع

والأعلام والتقليد ولقبه بأمير المسلمين ففرح بذلك وسر به فقهاء المغرب وهو الذي أنشأ مدينة مراكش وفيها دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذى الحجة وهو أول من دخوله إليها فنزل بدار المملكة ولعب بالكرة وقد تقاوم الخليفة ثم رجع إلى اصبهان وفيها قطعت خطبة العبيدى بالحرمين وخطب للمقتدى وفي سنة إحدى وثمانين مات ملك غزنة المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتين وقام مقامه ابنه جلال الدين مسعود وفي سنة ثلاث وثمانين عملت بغداد مدرسة لتاج الملك مستوفى الدولة بباب أبرز ودرس بها أبو بكر الشاشى وفي سنة أربع وثمانين استولت الفرنج على جميع جزيرة صقلية وهى أول ما فتحها المسلمون بعد المائتين وحكم عليها آل الأغلب دهرا إلى أن استولى العبيدى المهدى على المغرب وفيها قدم السلطان ملكشاه بغداد وأمر بعمل جامع كبير بها وعمل الأمراء حوله دورا ينزلونها ثم رجع إلى أصبهان وعاد إلى بغداد في سنة خمس وثمانين عازما على الشر وأرسل إلى الخليفة يقول لا بد أن تترك لى بغداد وتذهب إلى أى بلد شئت فانزعج الخليفة وقال أمهلنى ولو شهرا قال ولا ساعة واحدة فأرسل الخليفة إلى وزير السلطان يطلب المهلة إلى عشرة أيام فاتفق مرض السلطان وموته وعد ذلك كرامة للخليفة وقيل إن الخليفة جعل يصوم فإذا أفطر جلس على الرماد ودعا على ملكشاه فاستجاب الله دعاءه وذهب إلى حيث ألقت ولما مات كتمت زوجته تركان خاتون موته وأرسلت إلى الأمراء سرا فاستحلفتهم لولده محمود وهو ابن خمس سنين فحلفوا له وأرسلت إلى المقتدى في أن يسلطنه فأجاب ولقبه ناصر الدنيا والدين ثم خرج عليه أخوه بركياروك بن ملكشاه فقلده الخليفة ولقبه ركن الدين وذلك في المحرم

سنة سبع وثمانين واربعمائة وعلم الخليفة على تقليده ثم مات الخليفة من الغد فجأة فقيل إن جاريته شمس النهار سمته وبويع لولده المستظهر وممن مات في ايام المقتدى من الأعلام عبدالقادر الجرجانى وابو الوليد الباجى والشيخ ابو إسحاق الشيرازى والأعلم النحوى وابن الصباغ صاحب الشامل والمتولى وإمام الحرمين والدامغانى الحنفى وابن فضالة المجاشعى والبزدوى شيخ الحنفية المستظهر بالله ابو العباس المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله ولد في شوال سنة سبعين وأربعمائة وبويع له عند موت أبيه وله ست عشرة سنة وشهران قال ابن الأثير كان لين الجانب كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع في اعمال البر حسن الخط جيد التوقعات ولا يقاربه فيها احد ويدل على فضل غزير وعلم واسع سمحا جوادا محبا للعلماء والصلحاء ولم تصف له الخلافة بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب وفي

هذه السنة من أيامه مات المستنصر العبيدى صاحب مصر وقام بعده ابنه المستعلى أحمد وفيها أخذت الروم بلنسية وفي سنة ثمان وثمانين قتل أحمدخان صاحب سمرقند لأنه ظهر منه الزندقة فقبض عليه الأمراء واحضروا الفقهاء فأتفقوا بقتله فقتل لا رحمه الله وملكوا ابن عمه وفي سنة تسع وثمانين اجتمعت الكواكب السبعة سوى زحل في برج الحوت فحكم المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح فاتفق أن الحجاج نزلوا في دار المناقب فأتاهم السيل غرق اكثرهم

وفي سنة تسعين قتل السلطان أرسلان ارغون بن ألب أرسلان السلجوقى صاحب خرسان فتملكها السلطان بركياروق ودانت له البلاد والعباد وفيها خطب للعبيدى بحلب وأنطاكية والمعرة وشيزر شهرا ثم اعيدت الخطبة العباسية وفيها جاءت الفرنج فأخذوا نيقية وهو أول بلد اخذوه ووصلوا إلى كفر طاب واستباحوا تلك النواحى فكان هذا أول مظهر الفرنج بالشام قدموا في بحر القسطنطينية في جمع عظيم وانزعجت الملوك والرعية وعظم الخطب فقيل إن صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلاءهم على الشام كاتب الفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملكوها وكثر النفير على الفرنج من كل جهة وفي سنة اثنتين وتسعين انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان وفيها اخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف وقتلوا به أكثر من سبعين الف منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في الكنيسة واحرقوها عليهم وورد المستنفرون إلى بغداد فأوردوا كلاما أبكى العيون واختلفت السلاطين فتمكنت الفرنج من الشام واللأبيوردى في ذلك % مزجنا دماء بالدموع السواجم % فلم يبق منا عرصة للمراحم % % وشر سلاح المرء دمع يفيضه % إذا الحرب شبت نارها بالصوارم % % فإيها بني الإسلام إن وراءكم % وقائع يلحقن الذرى بالمناسم % % أنائمة في ظل أمن وغبطة % وعيش كنوار الخميلة ناعم % % وكيف تنام العين ملء جفونها % على هبوات أيقظت كل نائم % % وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم % ظهور المذاكى أو بطون القشاعم % % تسومهم الروم الهوان وأنتم % تجرون ذيل الخفض فعل المسالم %

% فكم من دماء قد ابيحت ومن دمى % توارى حياء حسنها بالمعاصم % % بحيث السيوف البيض محمرة الظبا % وسمر العوالى داميات اللهازم % % يكاد لهن المستجن بطيبة % ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم % % أرى أمتى لا يشرعون إلى العدى % رماحهم والدين واهى الدعائم % % ويجتنبون النار خوفا من الردى % ولا يحسبون العار ضربة لازم % % أنرضى صناديد الأعراب بالأذى % وتغضى على ذل كماة الأعاجم % % فليتهم إذا لم يذودوا حمية % عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم % وفيها خرج محمد بن ملكشاه على أخيه السلطان بركياروق فانتصر عليه فقلده الخليفة ولقبه غياث الدنيا والدين وخطب له ببغداد ثم جرت بينهما عدة وقعات وفيها نقل المصحف العثمانى من طبرية إلى دمشق خوفا عليه وخرج الناس لتلقيه فآووه في خزانة بمقصورة الجامع وفي سنة أربع وتسعين كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشتد الخطب بهم حتى كانت الأمراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم وقتلوا الخلائق منهم الروياني صاحب البحر وفيها أخذ الفرنج بلد سروج وحيفا وأرسوف وقيسارية وفي سنة خمس وتسعين مات المستعلى صاحب مصر وأقيم بعده الآمر بأحكام الله منصور وهو طفل له خمس سنين وفي سنة ست وتسعين جرت فتن للسلطان فترك الخطباء الدعوة للسلطان واقتصروا على الدعوة للخليفة لا غير وفي سنة سبع وتسعين وقع الصلح بين السلطانين محمد وبركياروق وسببه أن الحروب لما تطاولت بينهما وعم الفساد وصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والسلطنة مطموعا فيها واصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين دخل العقلاء بينهما في الصلح وكتبت العهود والأيمان

والمواثيق وارسل الخليفة خلع السلطنة إلى بركياروق وأقيمت له الخطبة ببغداد وفي سنة ثمان وتسعين مات السلطان بركياروق فأقام الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه وقلده الخليفة وخطب له ببغداد وله دون خمس سنين فخرج عليه عمه محمد واجتمعت الكلمة عليه فقلده الخليفة وعاد إلى أصبهان سلطانا متمكنا مهيبا كثير الجيوش وفيها كان ببغداد جدرى مفرط مات فيه خلق من الصبيان لا يحصون وتبعه وباء عظيم وفي سنة تسع وتسعين ظهر رجل بنواحى نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق فأخذ وقتل وفي سنة خمسمائة أخذت قلعة اصبهان التى ملكها الباطنية وهدمت وقتلوا وسلخ كبيرهم وحشى جلده تبنا فعل ذلك السلطان محمد بعد حصار شديد فالله الحمد وفي

سنة إحدى وخمسمائة رفع السلطان الضرائب والمكوس ببغداد وكثر الدعاء له وزاد في العدل وحسن السيرة وفي سنة اثنتين عادت الباطنية فدحلوا شيرز على حين غفلة من اهلها فملكوها وملكوا القلعة وأغلقوا الأبواب وكان صاحبها خرج يتنزه فعاد وابادهم في الحال وقتل فيها شيخ الشافعية الرويانى صاحب البحر قتله الباطنية في بغداد كما تقدم وفي سنة ثلاث أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سنين وفي سنة اربع عظم بلاء المسلمين بالفرنج وتيقنوا استيلاءهم على أكثر الشام وطلب المسلمون الهدنة فامتنعت الفرنج وصالحوهم بألوف دنانير كثيرة فهادنوا ثم غدروا لعنهم الله وفيها هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس حتى لا يبصر الرجل

يده ونزل على الناس رمل وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد إلى الصفرة وكان ذلك من العصر إلى ما بعد المغرب وفيها كانت ملحمة كبيرة بين الفرنج وبين ابن تاشفين صاحب الأندلس نصر فيها المسلمون وقتلوا وأسروا وغنموا مالا يعبر عنه وبادت شجعان الفرنج وفي سنة سبع جاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل ملك الفرنج الذي بالقدس فوقع بينهم معركة هائلة ثم رجع مودود إلى دمشق فصلى الجمعة يوما في الجامع وإذا بباطنى وثب عليه فجرحه فمات من يومه فكتب ملك الفرنج إلى صاحب دمشق كتابا فيه وإن أمه قتلت عميدها في يوم عيد في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها وفي سنة إحدى عشرة جاء سيل عرم غرق سنجار وسورها وهلك خلق كثير حتى إن السيل اخذ باب المدينة فذهب به عدة فراسخ واختفى تحت التراب الذي جره السيل وظهر بعد سنين وسلم طفل في سرير له حمله السيل فتعلق السرير بزيتونة وعاش وكبر وفيها مات السلطان محمد وأقيم بعده ابنه محمود وله اربع عشرة سنة وفي سنة اثنتى عشرة مات الخليفة المستظهر بالله في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول فكانت مدته خمسا وعشرين سنة وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة وصلى عليه ابنه المسترشد وماتت بعده بقليل جدته أرجوان والدة المقتدى قال الذهبي ولا يعرف خليفة عاشت جدته بعده إلا هذا رأت ابنها خليفة ثم ابن ابنها ثم ابن ابن ابنها ومن شعر المستظهر % أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا % لما مددت إلى رسم الوداع يدا % % وكيف أسلك نهج اصطبار وقد % ارى طرائق في مهوى الهوى قددا %

% إن كنت أنقض عهد الحب ياسكنى % من بعد هذا فلا عاينتكم ابدا % وللصارم البطائحى مدحا % أصبحت بالمستظهر بن المقتدى % بالله ابن القائم ابن القادر % % مستعصما أرجو نوال أكفه % وبأن يكون على العشيرة ناصرى % % فيقر مع كبرى قرارى عنده % ويفوز من مدحى بشعر سائر % فوقع المستظهر بجائزتين بخير بين الصلة والانحدار والمقام والإدرار وقال السلفى قال لى ابو الخطاب بن الجراح صليت بالمستظهر في رمضان فقرأت إن ان ابنك سرق رواية رويناها عن الكسائى فبما سلمت قال هذه قراءة حسنة فيها تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب مات في أيامه من الأعلام أبو المظفر السمعانى ونصر المقدسى وابو الفرج وشيذلة والروياني والخطيب التبريزى والكيا الهراسى والغزالى والشاشى الذي صنف له كتاب الحلية وسماه المستظهرى والأبيوردى اللغوى المسترشد بالله ابو المنصور المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولد في ربيع الأول سنة خمس وثمانين واربعمائة وامه أم ولد وبويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان ذاهمة عالية وشهامة زائدة وإقدام ورأى وهيبة شديدة ضبط امور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب واحيا رسم الخلافة ونشر عظامها وشيد اركان الشريعة وطرز اكمامها وباشر الحروب بنفسه وخرج عدة نوب إلى الحلة والموصل وطريق خراسان إلى ان خرج النوبة الأخيرة وكسر جيشه بقرب همذان وأخذ أسيرا إلى أذربيجان وقد سمع الحديث من ابى القاسم بن بيان وعبدالوهاب بن هبة الله السبتى وروى عنه محمد بن عمر بن مكى الأهوازى ووزيره على بن طراد وإسماعيل بن طاهر الموصلى

ذكر ذلك ابن السمعانى وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية ناهيك بذلك فقال هو الذي صنف له ابو بكر الشاشى كتابة العمدة في الفقه وبلقبه اشتهر الكتاب فإنه كان حينئذ يلقب عمدة الدنيا والدين وذكره ابن السبكى في طبقات الشافعية وقال كان في أول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد في بيت للعبادة وكان مولده في يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان سنة ست وثمانين وأربعمائة وخطب له ابوه بولاية العهد ونقش أسمه على السكة في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وكافي مليح الخط ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله يستدرك على كتابه ويصلح اغاليط في كتبهم وأما شهامته وهيبته وشجاعته وإقدامه فأمر أشهر من الشمس ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك إلى ان خرج الخرجة الأخيرة إلى العراق وانكسر واخذ ورزق الشهادة وقال الذهبي مات السلطان

محمود بن محمد ملكشاه سنة خمس وعشرين فأقيم ابنه داود مكانه فخرج عليه عمه مسعود بن محمد فاقتتلا ثم اصطلحاعلى الاشتراك بينهما ولكل مملكة وخطب لمسعود بالسلطنة ببغداد ومن بعده لداود وخلع عليهما ثم وقعت الوحشة بين الخليفة ومسعود فخرج لقتاله فلتقى الجمعان وغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر مسعود وأسر الخليفة وخواصه فحبسهم بقلعة بقرب همذان فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا في الأسواق التراب على رؤوسهم وبكوا وضجوا وخرج النساء حاسرات يندبن الخليفة ومنعوا الصلوات والخطبة قال ابن الجوزى وزلزلت بغداد مرار كثيرة ودامت كل يوم خمس مرات أو ستا والناس يستغيثون فأرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الأرض بين يديه ويسأله العفو والصفح ويتنصل غاية

التنصل فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية مالا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ودام ذلك عشرين يوما وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ولقد خفت على نفسى من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس من الصلاة في الجوامع ومنع الخطباء مالا طاقة لى بحمله فالله الله تتلاقى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عاداتنا وعادة آبائنا ففعل مسعود جميع ما أمره به وقبل الأرض بين يدي الخليفة ووقف يسأل العفو ثم أرسل سنجر رسولا آخر ومعه العسكر يستحث مسعودا على إعادة الخليفة إلى مقر عزه فجاء في العسكر سبعة عشر من الباطنية فذكر أن مسعودا ما علم بهم وقيل بل علم بهم وقيل بل هو الذى دسهم فهجموا على الخليفة في خيمته ففتكوا به وقتلوا جماعة من أصحابه فما شعر بهم العسكر إلا وقد فرغوا من شغلهم فأخذوهم وقتلوهم إلى لعنة الله وجلس السلطان للعزاء واظهر المساءة بذلك ووقع النحيب والبكاء وجاء الخبر إلى بغداد فاشتد ذلك على الناس وخرجوا حفاة مخرقين الثياب والنساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثى لأن المسترشد كان محببا فيهم ببره ولما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم وكان قتل المسترشد رحمه الله بمراغة يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومن شعره % أنا الأشقر المدعو في الملاحم % من يملك الدنيا بغير مزاحم % % ستبلغ أرض الروم خيلى وتنتضى % بأقصى بلاد الصين بيض صوارمى % ومن شعره لما أسر

% ولاعجبا للاسد إن ظفرت بها % كلاب الاعادي من فصيح وأعجم % % فحربة وحشى سقت حمزة الردى % وموت علي من حسام ابن ملجم % وله لما كسر وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر % قالوا تقيم وقد أحا ط بك العدو ولا تفر % % فأجبتهم المرء ما لم يتعظ بالوعظ غر % % لانلت خيرا ما حييت ولاعداني الدهر شر % إن كنت أعلم أن غير الله ينفع أو يضر % قال الذهبي وقد خطب بالناس يوم عيد أضحى فقال الله أكبر ما سبحت الأنواء

وأشرق الضياء وطلعت ذكاء وعلت على الأرض السماء الله أكبر همي سحاب ولمع سراب وانجح طلاب وسر قادما إياب وذكر خطبة بليغة ثم جلس ثم قام فخطب وقال اللهم أصلحني في ذريتي وأعني على ما وليتني وأوزعني شكر نعمتك ووفقني وانصرني فلما أنهاها وتهيأ للنزول بدره أبو المظفر الهاشمي فأنشده % عليك سلام الله ياخير من علا % على منبر قد حف أعلامه النصر % % وأفضل من أم الأنام وعمهم % بسريته الحسنى وكان له الأمر % % وأفضل أهل الأرض شرقا ومغربا % ومن جده من أجله نزل القطر % % لقد شنفت أسماعنا منك خطبة % وموعظة فصل يلين لها الصخر % % ملأت بها كل القلوب مهابة % فقد رجفت من خوف تخويفها مصر % % وزدت بها عدنان مجدا مؤثلا % فأضحى بها بين الأنام لك الفخر % % وسدت بني العباس حتى لقد غدا % ياهي بك السجاد والعالم البحر % % وفلله عصر أنت فيه إمامنا % ولله دين أنت فيه لنا الصدر % % بقيت على الأيام والملك كلما % تقادم عصر أنت فيه أتى عصر %

% واصبحت بالعيد السعيد مهنأ % تشرفنا فيه صلاتك والنحر % وقال وزيرة جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة يمدحه % وجدت الورى كالماء طعما ورقة % وأن أمير المؤمنين زلالة % % وصورت معنى العقل شخصا مصورا % وأن أمير المؤمنين مثاله % % ولولا مكان الدين والشرع والتقى % لقلت من الإعظام جل جلاله % وفي سنة اربع وعشرين من ايامه ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل نارا

أحرقت من البلد مواضع ودورا كثيرة وفيها قتل صاحب مصر الآمر بأحكام الله منصور عن غير عقب وقام بعده ابن عمه الحافظ عبدالمجيد بن محمد بن المنتصر وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان وخاف الناس منها وقد قتلت جماعة أطفال وممن مات في ايام المسترشد من الأعلام شمس الأئمة أبو الفضل إمام الحنفية وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي وقاضي القضاة أبو الحسن الدمغاني وابن بليمة المقرئ والطغرائي صاحب لامية العجم وأبوعلي الصدفي الحافظ وأبو نصر القشيري وابن القطاع اللغوي ومحي السنة البغوي وابن الفحام المقرئ والحريري صاحب المقامات والميداني صاحب الأمثال وأبو الوليد بن رشد المالكي والإمام أبو بكر الطرطوشي وأبو الحجاج السرقسطي وابن السيد البطليوسي وأبو علي الفارقي من الشافعية وابن الطراوة النحوي وابن الباذش وظافر الحداد الشاعر وعبدالغفار الفارسي وخلائق آخرون

الراشد بالله أبو جعفر الراشد بالله ابو جعفر منصور بن المسترشد ولد في سنة اثنتين وخمسائة وامه أم ولد ويقال إنه ولد مسدودا فأحضروا الأطباء فأشاروا بأن يفتح له مخرج بآلة من ذهب ففعل به ذلك فنفع وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ثلاث عشرة وبويع له بالخلافة عند قتل أبيه في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وكان فصيحا أديبا شاعرا شجاعا سمحا جوادا حسن السيرة يؤثر العدل ويكره الشر ولما عاد السلطان مسعود إلى بغداد خرج هو إلى الموصل فأحضروا القضاة والأعيان والعلماء وكتبوا محضرا فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصح إمامته وهل إذا ثبت فسقه يجوز للسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيرا منه فأفتوا بجواز خلعه وحكم بخلعه [أبوطاهر] بن الكرخي قاضي البلد وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ولقب المقتفى لأمر الله وذلك في سادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاثين وبلغ الراشد الخلع فخرج من الموصل إلى بلاد آذربيجان وكان معه جماعة فقسطوا على مراغة مالا وعاثوا هناك ومضوا إلى همدان وافسدوا بها وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين وحلقوا لحى جماعة من العلماء ثم مضوا إلى أصبهان فحاصروها ونهبوا الفرى ومرض الراشد بظاهر اصبهان مرضا شديدا فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فراشين معه فقتلوه بالسكاكين ثم قتلوا كلهم وذلك في سادس عشر

رمضان سنة اثنتين وثلاثين وجاء الخبر إلى بغداد فقعدوا للعزاء يوما واحدا قال العماد الكاتب كان للراشد الحسن اليوسفي والكرم الحاتمي قال ابن الجوزي وقد ذكر الصولي أن الناس يقولون إن كل سادس يقوم للناس يخلع فتأملت هذا فرأيته عجبا قلت وقد سقت بقية كلامه في الخطبة ولم تؤخذ البردة والقضيب من الراشد حتى قتل فأحضرا بعد قتله إلى المقتفى المقتفى لأمر الله أبو عبيدالله المقتفى لأمر الله أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه حبشية وبويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه وعمره أربعون سنه وسبب تلقيبه بالمقتفى أنه رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتف لأمر الله فلقب المقتفى لأمر الله وبعث السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد فأخذ جميع مافي دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وستور وسرادق ولم يترك في إصطبل الخلافة سوى أربعة افراس وثمانية أبغال برسم الماء فيقال إنهم بايعوا المقتفى على أن لايكون عنده خيل ولا آلة سفر ثم في سنة إحدى وثلاثين أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ولم يترك له إلا العقار الخاص وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار فقال المقتفى ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله

فجرى ما جرى وأن الراشد ولى ففعل مافعل ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق إلا الأثاث فأخذته كله وتصرفت في دار الضرب وأخذت التركات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها فإني عاهدت الله أن لا آخذ من المسلمين حبة ظلما فترك السطان الأخذ من الخليفة وعاد إلى جباية الأملاك من الناس وصادر التجار فلقي الناس من ذلك شدة ثم في جمادي الأولى أعيدت بلاد الخليفة معاملاته والتركات إليه وفي هذه السنة رقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم ير فأصبح أهل بغداد صائمين لتمام العدة فلما أمسوا رقبوا الهلال فما رأوه أيضا وكانت السماء جليلة صاحية ومثل هذا لم يسمع بمثله في التواريخ وفي سنة ثلاث وثلاثين كان ببحترة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق ثم خسف ببحترة وصار مكان البلد ماء أسود وفيها استولى

الأمراء على مغلات البلاد وعجز السلطان مسعود ولم يبق له إلا الاسم وتضعضع أيضا أمر السلطان سنجر فسبحان مذل الجبابرة وتمكن الخليفة المفتفى وزادت حرمته وعلت كلمته وكان ذلك مبدأ صلاح الدولة العباسية فلله الحمد وفي سنة إحدى وأربعين قدم السلطان مسعود بغداد وعمل دار ضرب فقبض الخليفة على الضراب الذي تسبب في إقامة دار الضرب فقبض مسعود على حاجب الخليفة فغضب الخليفة وغلق الجامع والمساجد ثلاثة أيام ثم اطلق الحاجب فأطلق الضراب وسكن الأمر وفيها جلس أبن العبادي الواعظ فحضر السلطان مسعود وتعرض بذكر مكس البيع وماجرى على الناس ثم قال ياسلطان العالم أنت تهب في ليلة

لمطرب بقدر هذا الذي يؤخذ من المسلمين فاحسبني ذلك المطرب وهبه لي واجعله شكرا لله بما أنعم عليك فأجاب ونودي في البلد بإسقاطه وطيف بالألواح التي نقش عليها ترك المكوس وبين يديه الدباب والبوقات وسمرت ولم تزل إلى أن أمر الناصر لدين الله بقلع الألواح وقال مالنا حاجة بآثار الأعاجم وفي سنة ثلاث وأربعين حاصرت الفرنج دمشق فوصل إليها نور الدين محمود بن زنكي وهو صاصب حلب يؤمئذ وأخوه غازي صاحب الموصل فنصر المسلون والله الحمد وهزم الفرنج واستمر نور الدين في قتال الفرنج وأخذ ما استولوا عليه من بلاد المسلمين وفي سنة اربع وأربعين مات صاحب مصر الحافظ لدين الله واقيم ابنه الظافر إسماعيل وفيها جاءت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشر مرات وتقطع منه جبل بحلوان وفي سنة خمس وأربعين جاء باليمن بمطر كله دم وصارت الآرض مرشوشة بالدم وبقي اثره في ثياب الناس وفي سنة سبع وأربعين مات السلطان مسعود قال ابن هبيرة وهو وزير المقتفى لما تطاول على المقتفى أصحاب مسعود وأساؤا الأدب ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة اتفق الرأي على الدعاء عليه على الدعاء عليه شهرا كما دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رعل وذكوان شهرا فبتدأ هو والخليفة سر كل واحد في موضعه يدعو سحرا من ليلة تسع وعشرين من جمادي الأولى واستمر الأمر كل ليلة فلما تكامل الشهر مات مسعود على سريره ولم يزد على الشهر يوما ولا نقص يوما

واتفق العسكر على سلطنة ملكشاة وقام بأمره خاصبك ثم أن خاصبك قبض على ملكشاة وطلب أخاه محمدا من خوزستان فجاءه فسلم إليه السلطنة وأمر الخليفة حينئذ ونهى ونفذ كلمته وعزل من كان السلطان ولاه مدرسا بالنظامية وبلغه أن في نواحي واسط تخبطا فسار بعسكره ومهد البلاد ودخل الحلة والكوفة ثم عاد إلى بغداد مؤيدا منصورا وزينت بغداد وفي سنة ثمان وأربعون خرجت الغز على السلطان سنجر وأسروه وأذاقوه الذل وملكوا بلاده وبقوا الخطبة باسمه وبقي معهم صورة بلا معنى وصار يبكي على نفسه وله اسم السلطنة وراتبه في قدر راتب سائس من ساسته وفي سنة تسع وأربعين قتل بمصر صاحبها الظافر بالله العبيدي وأقاموا ابنه الفائز عيسى صبيا صغيرا ووهى أمر المصريين فكتب المقتفى عهدا لنور الدين محمود بن زنكي وولاه مصر وأمره بالمسير إليها وكان مشغولا بحرب الفرنج وهو لايفتر من الجهاد وكان تملك دمشق في صفر من هذا العام وملك عدة قلاع وحصون بالسيف وبالأمان من بلاد الروم وعظمت ممالكه وبعد صيته فبعث إليه المقتفى تقليدا وأمره بالمسير إلى مصر ولقبه بالملك العادل وعظم سلطان المقتفى واشتدت شوكته واستظهر على المخالفين وأجمع على قصد الجهات المخالفة لأمره ولم يزل أمره في تزايد وعلوا إلى أن مات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال الذهبي كان المقتفى من سروات الخلفاء عالما أديبا شجاعا حليما دمث الأخلاق كامل السودد خليقا للإمامة قليل المثل في الأئمة لايجرى في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه وكتب في خلافته ثلاث ربعات وسمع الحديث من مؤدبه أبي البركات بن ابي الفرج بن السني قال ابن السمعاني وسمع جزء ابن عرفة مع أخيه المسترشد من ابي القاسم

ابن بيان روى عنه أبو منصور الجواليقي اللغوي إمامه والوزير أبن هبيرة وزيره وغيرهما وقد جدد المقتفى بابا للكعبة واتخذ من العقيق تابوتا لدفنه وكان محمود السيرة مشكور الدولة يرجع إلى دين وعقل وفضل ورأي وسياسة جدد معالم الإمامة ومهد رسوم الخلافة وباشر الأمور بنفسه وغزا غير مرة وامتدت أيامه وقال أبو طالب عبدالرحمن بن محمد بن عبدالسميع الهاشمي في كتاب المناقب العباسية كانت أيام المقتفى نضرة بالعدل زاهرة بفعل الخيرات وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه وكان في أول أمره متشاغلا بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته مع ماخص به من زهده وورعه وعبادته

ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت وقال ابن الجوزي من أيام المقتفى عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق له منازع وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة ومن سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خرسان والسلطان نور الدين محمود صاحب الشام وكان جوادا كريما محبا للحديث وسماعه معتنيا بالعلم مكرما لأهله قال ابن السمعاني حدثنا أبو منصور الجواليقي حدثنا المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين حدثنا أبو البركات أحمد بن عبدالوهاب حدثنا أبو محمد الصيرفيني حدثنا المخلص حدثنا إسماعيل الوراق حدثنا حفص بن عمرو الربالي حدثنا أبو سحيم حدثنا عبدالعزيز بن صهيب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزداد الأمراء إلا شدة ولا الناس إلا شحا ولاتقوم الساعة إلا على شرار الناس

ولما عاد المقتفى الإمام أبا منصور الجواليقي النحوي ليجعله إماما يصلى به دخل عليه فما زاد على أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وكان ابن التلميذ النصراني الطبيب قائما فقال ماهكذا يسلم على أمير المؤمنين ياشيخ فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي وقال يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى الحديث ثم قال يا امير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانيا او يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه لما لزمته كفارة لأن الله ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله إلا الإيمان فقال المقتفى صدقت واحسنت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع غزارة أدبه وممن مات في ايام المقتفى من الأعلام ابن الأبرش النحوي ويونس بن غيث وجمال الإسلام بن المسلم الشافعي وأبو القاسم الأصفهاني صاحب الترغيب وابن برجان والمازري المالكي صاحب كتاب المعلم [بفوائد مسلم] والزمخشري والرشاطي صاحب الأنساب والجواليقي وهو إمامه وابن عطيه صاحب التفسير وأبو السعادات ابن الشجري والإمام ابو بكر ابن العربي وناصح الدين الرجاني الشاعر والقاضي عياض والحافظ أبو الوليد بن الدباغ وأبو الأسعد هبة الرحمن القشيري وابن علام الفرس المقرئ والرفاء الشاعر والشهر ستاني صاحب الملل والنحل والقيسراني الشاعر ومحمد بن يحيى تلميذ الغزالي وابو الفضل بن ناصر الحافظ وأبو الكرم الشهرزورى المقرئ والوأواء الشاعر وابن الجلاء إمام الشافعية وخلائق آخرون المستنجد بالله ابو الظفر المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى ولد سنة ثمان عشرة وخمسائة وأمه أم ولد كرجية اسمها طاوس خطب له أبوه بولاية العهد سنة سبع وأربعين

وبويع له يوم موت أبيه وكان موصوفا بالعدل والرفق أطلق من المكوس شيئا كثيرا بحيث لم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على المفسدين سجن رجلا كان يسعى بالناس مدة فحضره رجل وبذل في عشرةآلاف دينار فقال أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ودلني على آخر مثله لأحبسه وأكف شره عن الناس قال ابن الجوزي وكان المستنج موصوفا بالفهم الثاقب والرأي الصائب والذكاء الغالب والفضل الباهر له نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والإسطرلاب وغير ذلك ومن شعره % عيرتني بالشيب وهو وقار % ليتها عيرت بما هو عار % % إن تكن شابت الذوائب مني % فالليالي تزينها الأقمار % وله في بخيل % وباخل أشعل في بيته % تكرمه منه لنا شمعة % % فما جرت من عينها دمعة % حتى جرت من عينه دمعة % وله في وزيره ابن هبيرة وقد رأى منه ما يعجبه من تدبير مصالح المسلمين % صفت نعمتان خصتاك وعمتا % بذكرهما حتى القيامة تذكر % % وجودك والدنيا إليك فقيرة % وجودك والمعروف في الناس منكر % % فلو رام يحيى مكانك جعفر % ويحيى لكفا عنه يحيى وجعفر % % ولم أر من ينوي لك السوء يا أبا % المظفر إلا كنت انت المظفر % مات في ثمان ربيع الآخر سنة ست وستين وكان في أول سنة من خلافته مات الفائز صاحب مصر وقام بعده العاضد لدين الله آخر خلفاء بني عبيد وفي سنة اثنتين وستين جهز السلطان نور الدين الأمير اسد الدين شيركوه

في ألفى فارس إلى مصر فنزل بالجيزة وحاصر مصر نحو شهرين فاستنجد صاحبها بالفرنج فدخلوا من دمياط لنجدته فرحل أسد الدين إلى الصعيد ثم وقعت بينه وبين المصريين حرب انتصر فيها على قلة عسكره وكثرة عدوه وقتل من الفرنج ألوفا ثم جبى أسد الدين خراج الصعيد وقصد الفرنج الإسكندرية وقد اخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو ابن أخ أسد الدين فحاصروها اربعة أشهر فتوجه أسد الدين إليهم فرحلوا عنها فرجع إلى الشام وفي سنة أربع وستين قصدت الفرنج الديار المصرية في جيش عظيم فملكوا بلبيس وحاصروا القاهرة فأحرقها صاحبها خوفا منهم ثم كاتب السلطان نور الدين يستنجد به فجاء أسد الدين بجيوشه فرحل الفرنج عن القاهرة لما سمعوا بوصوله ودخل أسد الدين فولاه العاضد صاحب مصر الوزارة وخلع عليه فلم يلبث اسد الدين ان مات بعد خمسة وستين يوما فولى العاضد مكانه

ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقلده الأمور ولقبه الملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام ومن اخبار المستنجد قال الذهبى ما زالت الحمرة الكثيرة تعرض في السماء منذ مرض وكان يرى ضوؤها على الحيطان وممن مات في أيامه من الأعلام الديلمى صاحب مسند الفردوس والعمرانى صاحب البيان من الشافعية وابن البزرى شافعى أهل الجزيرة والوزير ابن هبيرة والشيخ عبدالقادر الجيلى والإمام أبو سعيد السمعانى وأبو النجيب السهروردى وابو الحسن بن هذيل المقرىء وآخرون المستضىء بأمر الله الحسن المستضىء بأمر الله الحسن أبو محمد بن المستنجد بالله ولد سنة ست وثلاثين

وخمسمائة وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة بويع له بالخلافة يوم موت أبيه قال ابن الجوزى فنادى برفع المنكوس ورد المظا لم وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في اعمارنا وفاق مالا عظيما على الهاشمين والعلوين والعلماء والمدارس ولربط وكان دائم البذل للمال وليس له عنده وقع ذا حلم وأناه ورأفة ولما استخلف خلع على ارباب الدولة وغيرهم فحكى خياط المخزن أنه فصل الفا وثلثمائة قباء إبريسم وخطب له على منابر بغداد ونثرت الدنانير كما جرت العادة وولى روح بن الحديثى القضاء وامر سبعة عشر مملوكا وللحيص بيص فيه % يا أمام الهدى علوت على الجو % د بمال وفضة ونضار % % فوهبت الأعمار والأمن والبل % دان في ساعة مضت من نهار % % فماذا يثنى عليك وقد جا % وزت فضل البحور والأمطار % إنما أنت معجز مستقل % خارق للعقول والأفكار % % جمعت نفسك الشريفة بالبأ % س وبالجود بين ماء ونار %

قال ابن الجوزى واحتجب المستضىء عن أكثر الناس فلم يركب إلا مع الخدم ولا

يدخل عليه غيرهم وفي خلافته انقضت دولة بنى عبيد وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشير بذلك فعلقت الأسواق ببغداد وعملت القباب وصنفت كتابا باسميته النصر على مصر هذا كلام ابن الجوزى وقال الذهبى في أيامه ضعف الرفض ببغداد ووهى وامن الناس ورزق سعادة عظيمة في خلافته وخطب له باليمن وبرقة وتوزر ومصر إلى أسوان ودانت الملوك بطاعته وذلك سنة سبع وستين وقال العماد الكاتب استفتح السلطان صلاح الدين بن أيوب سنة سبع بجامع مصر كل طاعة وسمع وهو إقامة الخطبة في الجمعة الأولى منها بمصر لبنى

العباس وعفت البدعة وصفت الشرعة واقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية في بالقاهرة واعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء وتسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الذخائر والنفائس بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غيرما اصطفاه صلاح الدين لنفسه وسير السلطان نورالدين بهذه البشارة شهاب الدين المطهر ابن العلامة شرف الدين ابن أبى عصرون إلى بغداد وأمرنى بإنشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الإسلام فأنشأت بشارة أولها الحمد الله معلى الحق ومعلنه وموهى الباطل وموهنه ومنها ولم يبق بتلك البلاد منبر إلا وقد أقيمت عليه الخطبة لمولانا الإمام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين وتمهدت جوامع الجمع وتهدمت صوامع البدع إلى أن قال وطالما مرت عليها الحقب الخوالى وبقيت مائتين وثمان سنين ممنوة بدعوة المبطلين مملوءة بحزب الشياطين فملكنا الله تلك البلاد ومكن لنا في الأرض وأقدرنا على ما كنا نؤمله من إزالة الإلحاد والرفض وتقدمنا إلى من استنبناه أن يقيم الدعوة العباسية هنالك ويورد الأدعياء ودعاة الإلحاد بها للمهالك وللعماد قصيدة في ذلك منها % قد خطبنا للمستضىء بمصر % نائب المصطفى إمام العصر % % وخذلنا لنصره العضد العا % ضد والقاصر الذى بالقصر % % وتركنا الدعى يدعو ثبورا % وهو بالذل تحت حجر وحصر % وارسل الخليفة في جواب البشارة الخلع والتشريفات لنورالدين وصلاح الدين واعلامنا وبنودا للخطباء بمصر وسير للعماد الكاتب خلعة ومائة دينار فعمل قصيدة أخرى منها % أدالت بمصر لداعى الهدا % ة وانتقمت من دعى اليهود % وقال ابن الأثير السبب في إقامة الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه وضعف أمر العاضد كتب إليه نور الدين محمود بن زنكى يأمره بذلك فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين فلم يصغ

إلى قوله وارسل يلزمه بذلك واتفق أن العاضد مرض فاستشار صلاح الدين أمراءه فمنهم من وافق ومنهم من خاف وكان قد دخل مصر

أعجمى يعرف بالأمير العالم فلما رأى ماهم فيه من الإحجام قال أنا أبتدىء بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضىء فلم ينكر ذلك أحد فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ففعل ذلك ولم ينتطح فيها عنزان والعضد شديد المرض فتوفى في يوم عاشوراء وفي سنة تسع وستين أرسل نورالدين إلى الخليفة بتقادم وتحف منها حمار مخطط وثوب عتابى وخرج الخلق للفرجة عليه وكان فيهم رجل عتابى كثير الدعاوى وهو بليد ناقص الفضيلة فقال رجل إن كان قد بعث إلينا حمار عتابى فنحن عندنا عتابى حمار وفيها وقع برد بالسواد كالنارنج هدم الدور وقتل جماعة و كثيرا من المواشى وزادت دجلة زيادة عظيمة بحيث غرقت بغداد وصليت الجمعة خارج السور وزادت الفرات أيضا واهلكت قرى ومزارع وابتهل الخلق إلى الله تعالى ومن العجائب أن هذا الماء عل هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارع بالعطش وفيها مات السلطان نورالدين وكان صاحب دمشق وابنه الملك الصالح إسماعيل وهو صبى فتحركت الفرنج بالسواحل فصولحوا بمال وهودنوا وفيها اراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلى آل العاضد ووافقهم جماعة من إمراء صلاح الدين فاطلع صلاح الدين على ذلك فصلبهم بين القصرين وفي سنة اثنتين وسبعين أمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش قال ابن الأثير دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة ذراع بالهاشمى وفيها امر بإنشاء قلعة بجبل المقطم وهى التى صارت دار السلطنة

ولم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل بن أخى صلاح الدين وهو أول من سكنها وفيها بنى صلاح الدين تربة الإمام الشافعى وفي سنة أربع وسبعين هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل وظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء واستغاث الناس استغاثة شديدة وبقى الأمر على ذلك إلى السحر وفي خمسة وسبعين مات الخليفة المستضىء في سلخ شوال وعهد إلى أبنه أحمد وممن مات في أيام المستضىء من الأعلام ابن الخشاب النحوى وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافى والحافظ أبو العلاء الهمذانى وناصح الدين ابن الدهان النحوى والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعى والحيص بيص الشاعر والحافظ أبو بكر بن خير وآخرون الناصر لدين الله أحمد الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضىء بأمر الله ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وأمه أم ولد تركية اسمها زمرد وبويع له عند موت أبيه في مستهل ذى القعدة سنة خمس وسبعين واجاز له جماعة منهم أبو الحسن عبدالحق اليوسفى وابو الحسن على بن عساكر البطايحى وشهدة وأجازه هو لجماعة فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلك رغبة في الفخر لا في الاسناد قال الذهبي ولم يل الخلافة احد أطول مدة منه فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة ولم تزل مدة حياته في عز وجلالة وقمع الأعداء واستظهار على الملوك ولم يجد ضيما ولا خرج عليه خارجى إلا قمعه ولا مخالف إلا دفعه وكل من أضمر له سوء رماه الله بالخذلان وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من احوال رعيته كبارهم وصغارهم واصحاب أخباره

في أقطار البلاد يوصلون إليه احوال الملوك الظاهرة والباطنة وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا فطن لها أحد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل فصار يبالغ في التكتم والورقة تأتيه بذلك فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السر فصبحته الورقة بذلك وفيها كان عليكم دواج فيه صورة الفيل فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما فى بطن الحامل وما وراء الجدار وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له ارجع فقد عرفنا ما جئت به فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب قال الذهبى قيل إن الناصر كان مخدوما من الجن ولما ظهر خوارزم شاه بخراسان وما وراء النهر وتجبر وطغى واستعبد الملوك الكبار واباد اما كثيرة وقطع خطبة بنى العباس من بلاده وقصد بغداد فوصل إلى همذان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوما فغطاهم في غير أوانه فقال له بعض خواصه إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة وبلغه أن أمم الترك قد تألبوا عليه وطمعوا في البلاد لبعده عنها فكان ذلك سبب رجوعه وكفى الناصر شره بلا قتال وكان الناصر إذا أطعم أشبع وإذا ضرب أوجع وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر ووصل إليه رجل معه ببغاء تقرأ ^ قل هو الله أحد ^ تحفة للخليفة من الهند فأصبحت ميتة واصبح حيران فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال الليلة ماتت فقال قد عرفنا هاتها ميتة وقال كم كان ظنك أن يعطيك

الخليفة قال خمسمائة دينار قال هذه خمسمائة دينار خذها فقد أرسلها إليك الخليفة فإنه أعلم بحالك منذ خرجت من الهند وكان صدرجهان قد صار إلى بغداد ومعه جماعة من الفقهاء وواحد منهم لما خرج من داره من سمرقند فلى فرس جميلة فقال له أهله لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد فقال الخليفة لا يقدر أن يأخذها منى فأمر بعض القوادين انه حين يدخل بغداد يضربه ويأخذها منه ويهرب في الزحمة ففعل فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث فلما رجعوا من الحج خلع على صدرجهان واصحابه وخلع على ذلك الفقيه وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق وقيل له لم يأخذ فرسك الخليفة إنما أخذها أتونى فخر مغشيا عليه وأسجل بكرامتهم وقال المرفق عبداللطيف كان الناصر قد ملأ القلوب هيبة وخيفة فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد فأحيا بهيبته الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا اصواتهم هيبة وإجلالا وورد بغداد تاجر ومعه قناع دمياط المذهب فسألوه عنه فانكر فأعطى علامات فيه من عدده والوانه وأصنافه فازداد إنكاره فقيل له من العلامات انك نقمت على مملوكك التركي فلان فأخذته إلى سيف بحر دمياط في خلوة وقتلته ودفنته هناك ولم يشعر بذلك احد قال ابن النجار دانت السلاطين للناصر ودخل في طاعته من كان من المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض أعداؤه وكثر أنصاره وفتح البلاد العديدة وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين وكان أشد بنى العباس تنصدع لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل

الظرف فصيح اللسان بليغ البيان له التوقيعات المسددة والكلمات المؤيدة وكانت أيامه غرة في وجه الدهر وردة في تاج الفخر وقال ابن واصل كان الناصر شهما شجاعا ذا فكرة صائبة وعقل رصين ومكر ودهاء وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزيئات الأمور حتى ذكر أن رجلا ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه فطالع صاحب الخبرالناصر بذلك فكتب في جواب ذلك سوء ادب من صاحب الدار وفضول من كاتب المطالعة قال وكان مع ذلك ردىء السيرة في الرعية مائلا إلى الظلم والعسف ففارق اهل البلاد بلادهم واخذ أموالهم وأملاكهم وكان يفعل أفعالا متضادة وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه حتى إن ابن الجوزى سئل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أفضلهم بعده من كانت ابنته تحته ولم يقدر ان يصرح بتفضيل أبى بكر وقال ابن الأثير كان الناصر يسىء السيرة خربت في أيامه العراق مما أحدثه من الرسوم وأخذ أموالهم وأملاكهم وكان يفعل الشىء وضده وكان يرمى بالبندق ويغوى الحمام وقال الموفق عبداللطيف وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث واستناب نوابا في الإجازة عنه والتسميع واجرى عليهم جرايات وكتب للملوك والعلماء إجازات وجمع كتابا سبعين حديثا ووصل إلى حلب وسمعه الناس قال الذهبى اجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه منهم ابن سكينة

وابن الأخضر وابن النجار وابن الدامغانى وآخرون قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى وغيره قل بصر الناصر في آخر عمره وقيل ذهب كله ولم يشعر بذلك احد من الرعية حتى الوزير وأهل الدار وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التواقيع وقال شمس الدين الجزرى كان الماء يشربه الناصر تأتى به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام ثم يشرب منه ومع هذا ما مات حتى سقى المرقد مرات وشق ذكره وأخرج منه الحصى ومات منه يوم الأحد سلخ من رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ومن لطائفه أن خادما اسمه يمن كتب إليه ورقة فيها عتب فوقع فيها % بمن يمن يمن % بمن ثمن ثمن % ولما تولى الخليفة بعث إلى السلطان صلاح الدين بالخلع والتقليد وكتب إليه السلطان كتابا يقول فيه والخادم ولله الحمد يعدد سوابق فى الإسلام والدولة العباسية لا يعمرها أولية ابى مسلم لأنه والى ثم وارى ولا آخريه طغرلبك لأنه نصر ثم حجر والخادم خلع من كان ينازع الخلافة رداءها وأساغ الغصة التى أذخر الله للاساغة في سيفه ماءها فرجل الأسماء الكاذبة الراكبة على المنابر وأعز بتأييد إبراهيمى فكسر الأصنام الباطنة بسيفه الطاهر ومن الحوادث في أيامه منشورة في سنة سبع وسبعين وخمسمائة أرسل الملك الناصر يعاتب السلطان صلاح الدين في تسميه بالملك الناصر مع علمه أن الخليفة اختار هذه التسمية لنفسه وفي سنة ثمانين جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمنا لمن لاذ به فالتجأ إليه خلق وحصل بذلك مفاسد وفي سنة إحدى وثمانين ولد بالعلث ولد طول جبهته شبر واربع أصابع وله أذن واحدة

وفيها وردت الأخبار بأنه خطب للناصر بمعظم بلاد المغرب وفي سنة اثنتين وثمانين اجتمع الكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا إليها الماء والزاد وانتقلوا اليها وانتظروا الليلة التى وعدوا فيها بريح كريح عاد وهى الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شيء ولا هب فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها وعملت الشعراء في ذلك فمما قيل فيه قول أبي الغنائم محمد بن المعلم % قال لأبى الفضل قول معترف % مضى جمادى وجاءنا رجب % % وما جرت زعزع كما حكموا % ولا بدا كوكب له ذنب % % كلا ولا أظلمت ذكاء ولا % بدت إذن في قرونها الشهب % % يقضى عليها من ليس يعلم ما % يقضى عليه هذا هو العجب % % قد بان كذب المنجمين وفى % أي مقال قالوا فما كذبوا % وفي سنة ثلاث وثمانين اتفق ان أول يوم في السنة كان أول أيام الأسبوع وأول السنة الشمسية واول سنى الفرس والشمس والقمر في أول البروج وكان ذلك من الإتفاقات العجيبة وفيها كانت الفتوحات الكثيرة أخذ السلطان صلاح الدين كثيرا من البلاد الشامية التى كانت بيد الفرنج واعظم ذلك بيت المقدس وكان بقاؤه في يد الفرنج إحدى وتسعين سنة وازال السلطان ما أحدثه الفرنج من بلآثار وهدم ما أحدثوا من الكنائس وبنى موضع الكنيسة منها مدرسة للشافعية فجزاه الله عن الإسلام خيرا ولم يهدم القمامة اقتداء بعمر رضى الله عنه حيث لم يهدمهما لما فتح بيت المقدس وقال في ذلك محمد بن أبي اسعد النسابة % أترى مناما ما بعينى أبصر % القدس يفتح والنصارى تكسر % وقمامة قمت من الرجس الذى % بزواله وزوالها يتطهر % ومليكهم فى القيد مصفود ولم % وعد الرسول فسبحوا واستغفروا % يا يوسف الصديق أنت لفتحها % فاروقها عمر الإمام الأطهر % ومن الغرائب أن ن برجان ذكر فى التفسير ألم غلبت الروم أن بيت المقدس يبقى فى يد الروم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم يغلبون ويفتح ويصير hب] ار غسلام إلى آخر الأبد أخذا من حساب الآية فكان كذلك وقال ابن برجان قبل ذلك بدهر فإن وفاته سنة ست وثلاثين وخمسمائة وفى سنة تسع وثمانين مات السلطان صلاح الدين رحمه الله فوصل إلى بغداد الرسول وفى صحبته لأمة الحرب التى لصلاح الدين وفرسه ودينار واحد وستة وثلاثون درهما لم يخلف من المال سواها واستقرت مصر لابنه عماد الدين عثمان الملك العزيز ودمشق لابنه الملك الأفضل نور الدين على وحلب لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى وفى سنة تسعين مات السلطان طغرلبك شاه بن أرسلان بن طغربلك بن محمد بن ملك شاه وهو آخر ملوك السلجوقية قال الذهبى وكان عددهم نيفا وعشرين ملكا أولهم طغرلبك الذى أعاد القائم ى سنة خمسمائة واثنتين وتسعين هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل tإلى بغداد ومدة دولتهم مائة وستون سنة و أحمر ووقع من الركن اليمانى قطعة

ويكون الخليفة من تحت يده كماكانت الملوك السلجوقية فهدم الخليفة دار السلطنة ورد رسوله بلا جواب ثم كفى شره كما تقدم وفى سنة ثلاث وتسعين أنقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل واهتزت الدور والأماكنفاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء وظنوا ذلك من أمارات القيامة وفى سنة ست وتسعين توقف النيل بمصر بحيث كسرها ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعا وكان الغلام المفرط بحيث أكلوا الجيف والآدميين وفشا أكل بنى آدم واشتهر ورؤى من ذلك العجب العجاب وتعدوا إلى حفر القبور وأكل الموتى وتمزق أهل مصر كل ممزق وكثر الموت من الجوع بحيث كان نالماشى لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت أو من هو فى السياق وهلك أهل القرى قاطبة بحيث إن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى وقد حكى الذهبى وى ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها قال وصارت الطرق مزرعة بالموتى وصارت لحومها للطير ولاسباع وبيعت الأحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة واستمر ذلك إلى أثناء سمة ثمان وتسعين وفى سنة سبع وتسعين جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخرجت أماكن كثيرة وقلاعا وخسفت قرية من أعمال بصرى وفى سنة تسع وتسعين فى سلخ المحرم ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك إلى الفجر وانزعج الخلق وضجوا إلى الله تعالى ولم يعهد Aذلك إلا عند ظهور رسول

لفرنج غلى النيلل من رشيد ودخلوا بلد فوة فنهبوها واستباحوا ورجعوا وفى سنة إحدى وستمائة تغلبت الفرنج h وفى سنة ستمائة هجم على القسطنطينية وأخرجوا الروم منها وكانت بأيدى الروم من قبل الإسلام واستمرت بيد الفرنج غلى سنة ستين وستمائة فاستطلقها منهم

الروم وفيها أى سنة إحدى وستمائة ولدت امرأة بقطيعاء ولدا برأسين ويدين وأربعة أرجل ولم يعش وفى سنة ست وستمائة كان ابتداء أمر التتار وسيأتى شرح حالهم وفى سنة خمس عشرة أخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة قال أبو شامة وهذا البرج كان قفل الديار المصرية وهو برج عال فى وسط النيل ودمياط بحذائه من شرقية والجزيرة بحذائه من غربيه وفى ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط والأخرى على النيل غلى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من نمالبحر المالح وفى سنة ست عشر أخذت الفرنج دمياط بعد حروب ومحاصرات رق البحرين سموها المنصورة tوضعف الملك الكامل عن مقاومتهم فبدعوا فيها وجعلوا الجامع كنيسة فابتنى الملك الكامل عن مدينة عند م ليها سورا ونزلها بجيشه وفى هذه السنة كاتبه قاضى القضاة ركن الدين الظاهر وكان الملك المعظم صاحب دمشق فى نفسه منه u وبنى فأرسل له بقجة فيها قباء وكلوته وأمره بلبسها بين الناس فى مجلس حكمه فلم يمكنه الامتناع ثم قام ودخل داره ولزم بيته ومات بعد أشهر قهلرا ورمى قطعا من كبده وتأسف الناس لذلك واتفق أن الملك المعظم أرسل في عقب ذلك إلى الشرف ابن عنين حين تزهد خمرا وبردا وقال % يا أيها الملك المعظم سنة % أحدثتها تبقي على الآباد % % تجري الملوك على طريقك بعدها % خلع القضاة وتحفة الزهاد % وفي سنة ثمان عشرة استردت دمياط من الفرنج فلله الحمد وفي سنة إحدى وعشرين بنيت دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين وجعل شيخها أبا الخطاب بن دحية وكانت الكعبة تكسي الديباج الأبيض من أيام المأمون إلى الآن فكساها الناصر ديباجا أخضر ثم كساها ديباجا أسود فاستمر إلى الآن وممن ماتفى أيام الناصر من الأعلام الحافظ أبو طاهر السلفى وأبو وأبو الحسن ابن القصار اللغوي والكمال أبو البركات بن الأنبارى والشيخ أحمد بن الرفاعى الزاهد وابن بشكوال ويونس والد يونس الشافعى وأبو بكر بن طاهر الأحدب النحوى وأبو الفضل والد الرافعى وابن ملكون النحوى وعبد الحق الإشبيلى صاحب الأحكام وأبو زيد السهيلى صاحب الروض الأنف والحافظ أبو موسى المدينى وابن برى اللغوى والحافظ والعتابى والحافظ أبو بكر الحازمي والشرف ابن ابى عصرون وأبو القاسم البخارى والعتابى صاحب الجامع الكبير من كبار الحنفية والنجم الحبوشانى المشهور بالصلاح وأبو القاسم بن فيرة الشاطبى صاحب القصيدة وفخر الدين أبو شجاع محمد بن على بن شعيب بن الدهان الفرضى أول من وضع الفرائض على شكل المنبر والبرهان المرغينانى صاحب الهداية من الحنفية وقاضيخان صاحب الفتاوى منهم وعبد الرحيم بن حجزن الزاهد بالصعيد وأبو الوليد ابن رشد صاحب العلوم الفلسفية وأبو بكر بن زهر الطبيب والجمال بن فضلان من الشافعية والقضى الفاضل صاحب الإنشاء والترسل والشهاب الطوسى وأبو الفرج بن الجوزى والعماد الكاتب وابن عظيمة المقرى والحافظ عبد الغنى المقدسى صاحب العمدة والبركى الطاوسى صاحب الخلاف وتميم

الحلى وأبو ذر الخشنى النحوى والإمام فخر الدين الرازى وأبو السعادات ابن الأثير صاحب جامع الأصول ونهاية الغريب والعماد بن يونس صاحب شرح الجيز والشرف صاحب التنبيه والحافظ أبو الحسن بن المفضل وأبو محمد بن حوط الله وأخوه أبو سليمان والحافظ عبد القادر الرهاوى والزاهد أبو الحسن بن الصباغ بقنا والوجيه ابن الدهان النحوى وتقى الدين بن المقترح وأبو اليمن الكندى النحوى والمعين ة فى لاخلاف وأبو البقاء العكبرى صاحب الإعراب وابن أبى rالحاجرى صاحب الكفاية من الشافعية والركن العميدى صاحب الطري أصيبعة الطبيب وعبد الرحيم بن سيالسمعانى ونجم الدين الكبرى وابن أبى الصيف اليمنى وموفق الدين بن قدامة الحنبلى وفخر الدين بن عساكر وخلائق آخرون الظاهر بأمر الله أبو نصر الطاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وبايع له أبوه بولاية العهد واستخلف عند الموت والده وهو ابن اثنين وخمسون سنة فقيل له ألا تتفسح قال لقد يبس الزرع فقيل يبارك الله أحسن إلى الرعية وأبطل المكوس وأزال المظالم وفرق الأموال ذكر ذلك أبو iفى عمرك قال من فتح دكانا بعد العصر إيش يكسب ثم إن شامة وقال ابن الاثير فى الكامل لما ولى الظاهر الخلافة اظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين فلو قيل إنه ما ولى الخلافة بعد عمر ابن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فإنه أعاد الأموال المغصوبة

والأملاك المأخوذة فى أيام أبيه وقبلها شيئا كثيرا وأبطل المكوس فى البلاد جميعها وأمر بإعادة الخراج القديم فى جميع العراق وبإسقاط جميع ما جدده أبوه وكان ذلك كثيرا لا يحصى فمن ذلك أن قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما عشرة آلاف دينار فلما استخلف الناصر كان يؤخذ منها فى السنة ثمانون ألف دينار فاستغاث أهلها فأعادها الظاهر غلى الخراج الأول ولما أعاد الخراج الأصلى على البلاد حضر خلق

وذكروا أن أملاكهم قد يبست أكثر أشجارها وخربت فأمر أن لا يؤخذ إلا من كل شجرة سالمة ومن عدله أن صنجة الخزانة كانت راجحة نصف قيراط فى المثقال يقبضون بها ويعطون بصنجة البلد فخرج خطه إلى الوزير وأوله ^ ويل للمطففين ^ الآيات وفيه قد بلغنا أن الأمر كذا وكذا فتعاد صنجة الخزانة إلى ما يتعامل به الناس فكتبوا إليه أن هذا فيه تفاوتا كثيرا وقد حسبنا فى العام الماضى فكان خمسة وثلاثين ألف دينار فأعاد الجواب ينكر على القائل ويقول يبطل ولو أنه ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار ومن عدله أن صاحب الديوان قدم من واسط ومعه أزيد من مائة ألف دينار من ظلم فردها على أربابها وأخرج أهل الحبوس وأرسل إلى القاضى عشرة آلاف دينار ليفيها عمن أعسر وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مائة ألف دينار وقيل له هذا الذى تخرجه من الأموال لا تسمح نفس ببعضه فقال أنا فتحت الدكان بعد العصر فاتركونى أفعل الخير فكم بقيت أعيش ووجد فى بيت من داره ألوف رقاع كلها مختومة فقيل له لم لا تفتحها قال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات وهذا كله كلام ابن الأثير

وقال سبط ابن الجوزى لما دخل إلى الخزائن قال له خادم كانت فى أيام آبائك تمتلىء فقال ما جعلت الخزائن لتمتلىء بل تفرغ وتنفق في سبيل الله فإن الجمع شغل التجارة وقال ابن واصل أظهر العدل وأزال المكس وظهر للناس وكان أبوه لايظهر إلا نادرا توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته تسعة أشهر وأياما وقد روي الحديث عن والده بالإجازة وروي عنه أبو صالح نصر ابن عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر الجيلي ولما توفي اتفق خسوف القمر مرتين في السنة فجاء ابن الأثير نصر الله رسولا من صاحب الموصل برسالة في التعزية أولها مالليل والنهار لايعتذران وقد عظم حدثها وما للشمس والقمر لاينكشفان وقد فقد ثالثهما % فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة % ووحدة من فيها لمصرع واحد % وهو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر أمير المؤمنين الذي جعلت ولايته رحمه للعالمين إلى آخر الرسالة المستنصر بالله أبو جعفر المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وامه جارية تركية قال ابن النجار وبويع بعد موت أبيه في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة فنشر العدل في الرعايا وبذل الإنصاف في القضايا وقرب أهل العلم والدين وبني المساجد والربط والمدارس والمارستانات وقام منار الدين

وقمع المتمردة ونشر السنن وكف الفتن وحمل الناس على أقوم سنن وقام بأمر الجهاد أحسن قيام وجمع الجيوش لنصرة الإسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون وقال الموفق عبداللطيف بويع أبو جعفر فسار السيرة الجميلة وعمر طرق المعروف الدائرة وأقام شعار الدين ومنار الإسلام واجتمعت القلوب على محبته والألسن على مدحه ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معابا وكان جده الناصر يقربه ويسميه القاضي لهداه وعقله وإنكار مايجده من المنكر وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى كان المستنصر راغبا في فعل الخير مجتهدا في تكثير البر وله في ذلك آثار جميلة وأنشأ المدرسة المستنصرية ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم وقال ابن واصل بني المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة مابنى على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر منها وقوفا وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة وعمل فيها مارستانا ورتب فيها مطبخا للفقهاء ومزملة للماء البارد ورتب لبيوت الفقهاء الحصر والبسط والزيت والورق والحبر وغير ذلك وللفقيه بعد ذلك في الشهر دينارا ورتب لهم حماما وهو أمر لم يسبق إلى مثله واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها ابوه ولاجده وكان ذا همة عالية وشجاعة وإقدام عظيم وقصدت التتار البلد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة وكان له أخ يقال له الخفاجي فيه شهامة زائدة وكان يقول لئن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون وآخذ البلاد من أيدي التتار وأستأصلهم فلما مات المستنصر لم يرد الدويدار ولا الشرابي تقليد الخفاجي خوفا منه وأقاما ابنه أبا أحمد للينه وضعف رأيه ليكون لهما الأمر ليقضي الله

أمرا كان مفعولا من هلاك المسلمين في مدته وتغلب التتار فإنا لله وإنا إليه راجعون قال الذهبي وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في العام نيفا وسبعين ألف مثقال وكان ابتداء عمارتها في سنة خمس وعشرين وتمت في سنة إحدى وثلاثين ونقل إليها الكتب وهي مائة وستون حملا من الكتب النفيسة وعدد فقهائها مائتان وثمانية أربعون فقيها من المذاهب الأربعة واربعة مدرسون وشيخ حديث وشيخ نحو وشيخ طب وشيخ فرائض ورتب في الخبز والطبيخ والحلاوة والفاكهة وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف عليها مالا يعبر عنه كثرة ثم سرد الذهبي القرى والرباع الموقفة عليها وقال وفتحت يوم الخميس في رجب وحضر القضاة والمدرسون والأعيان وسائر الدولة وكان يوما مشهودا ومن

الحوادث في أيام المستنصر في سنة ثمان وعشرين أمر الملك الأشرف صاحب دمشق ببناء دار الحديث الأشرفية وفرغت في سنة ثلاثين وفي سنة اثنتين وثلاثين أمر المستنصر بضرب الدراهم الفضية ليتعامل بها بدلا عن قراضة الذهب فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصيارفة وفرشت الأنطاع وأفرغ عليها الدراهم وقال الوزير قد رسم مولانا أمير المؤمنين لمعاملتكم بهذا الدارهم عوضا عن قراضة الذهب رفقا بكم وإنقاذا لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي فأعلنوا بالدعاء ثم أديرت بالعراق وسعرت كل عشرة بدينار فقال الموفق أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد % لاعدمنا جميل رأيك فينا % أنت باعدتنا عن التطفيف % % ورسمت اللجين حتى ألفنا % ه وما كان قبل بالمألوف % % ليس للجمع كان منعك للصر % ف ولكن للعدل والتعريف % وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ولى قضاء دمشق شمس الدين أحمد الجوني وهو أول قاض رتب مراكز الشهود بالبلد وكان قبل ذلك يذهب الناس إلى بيوت العدول يشهدونهم

وفيها مات الإخوان السلطان الأشرف صاحب دمشق والكامل صاحب دمشق والكامل صاحب مصر بعده بشهرين وتسلطن بمصر ولد الكامل قلامة ولقب العادل ثم خلع وتملك أخوه الصالح أيوب نجم الدين وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام فخطب خطبة عرية من البدع وأزال الأعلام المذهبة وأقام هو عوضها سودا بأبيض ولم يؤذن قدامة سوى مؤذن واحد وفيا قدم رسول الأمين الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني إلى الخليفة يطلب تقليد السلطنة باليمن بعد موت الملك المسعود ابن الملك الكامل وبقي الملك في بيته إلى سنة خمس وستين وثمانمائة وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة بنى الصالح صاحب مصر المدرسة التي بين القصرين والقلعة التي بالروضة ثم أخرب غلمانه القلعة المذكورة سنة إحدى وخمسين وستمائة وفي سنة أربعين وستمائة توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة ورثاه الشعراء فمن ذلك قول صفي الدين عبدالله بن جميل ومن مناقب المستنصر أن الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها % لو كنت في يوم السقيفة حاضرا % كنت المقدم والإمام الأورعا % فقال له قائل بحضرته أخطأت قد كان حاضر العباس جد أمير المؤمنين ولم يكن المقدم إلا أبو بكر فأقر ذلك المستنصر وخلع على قائل ذلك خلعة وأمر بنفي الوجيه فخرج إلى مصر حكاها الذهبي وممن مات في أيام المستنصر من الأعلام الإمام أبو القاسم الرافعي والجمال المصري وابن معزوز النحوي وياقوت الحموي والسكاكي صاحب المفتاح والحافظ أبو الحسن بن القطان ويحيى بن معطي صاحب الألفية في النحو والموفق عبداللطيف البغدادي والحافظ أبو بكر بن نقطة

والحافظ عز الدين علي بن الآثير صاحب التاريخ والأنساب وأسد الغابة وابن عتبي الشاعر والسيف الآمدي وابن فضلان وعمر بن الفارض صاحب التائية والشهاب السهرودي صاحب عوارف المعارف والبهاء بن شداد وأبو العباس العوفي صاحب المولد النبوي والعلامة أبو الخطاب بن دحية وأخوه أبو عمرو والحافظ أبو الربيع بن سالم صاحب الإكتفاء في المغازي وابن الشواء الشاعر والحافظ زكي الدين البرزالي والجمال الحصري شيخ الحنفية والشمس الجوبي والحراني وأبو عبد الله الزبيني وأبو البركات بن المستوفي والضياء بن الأثير صاحب المثل السائر وابن عربي صاحب الفصوص والكمال ابن يونس شارح التنبيه وخلائق آخرون المستعصم بالله أبو أحمد المستعصم بالله أبو أحمد المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العراقيين ولد سنة تسع وستمائة وأمة أم ولد اسمها هاجر وبويع له بالخلافة عند موت أبيه وأجاز له على يد ابن النجار المؤيد الطوسي وابو روح الهروي وجماعة وروي عنه بالإجازة جماعة منهم النجم البادرائي والشرف الدمياطي وخرج له الدمياطي أربعين حديثا رأيتها بخطة وكان كريما حليما سليم الباطن حسن الديانة قال الشيخ قطب الدين كان متدينا متمسكا بالسنة كأبيه وجده ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة وكان يقول إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر وخافوا منه وآثروا المستعصم للينه والقيادة ليكون لهم الأمر فأقاموه

ثم ركن المستعصم إلى زيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي فأهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيف اراد وباطن التتار وناصحهم وأطعمهم في المجئ إلى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي وصار إذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ويطالع بأخبار

الخليفة التتار إلى أن حصل ما حصل وفي سنة سبع وأربعين من أيامه أخذت الفرنج دمياط والسلطان الملك الصالح مريض فمات ليلة نصف شعبان فأخفت جاريته أم خليل المسماة شجرة الدر موته وأرسلت إلى ولده توران شاه الملك المعظم فحضر ثم لم يلبث أن قتل في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وثبت عليه غلمان أبيه فقتلوه وأمروا عليهم جارية أبيهم شجرة الدر وحلف لها الأتراك ولنائبها عز الدين ايبك التركماني فشرعت شجرة الدر في الخلع للأمراء والأعطيات ثم استقل عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر ولقب الملك المعز ثم تنصل منها وحلف العسكر للملك الأشرف بن صلاح الدين يوسف بن المسعود ابن الكامل وله ثمان سنين وبقي عز الدين أتابكه وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وفي هذه السنة أعني سنة ثمان استردت دمياط من الفرنج وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة ظهرت نار في أرض عدن وكان يطير شررها في الليل إلى البحر ويصعد منها دخان عظيم في النهار وفيها أبطل المعز أسم الملك الأشرف واستقل بالسلطنة وفي سنة أربع وخمسين ظهرت النار بالمدينة النبوية قال أبو شامة جاءنا كتب من المدينة فيها لما كانت ليلة الأربعاء

ثالث جمادى الآخرة ظهر بالمدينة دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر فظهرت نار عظيمة في الحرة قريبا من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا وسألت أودية منها إلى وادى شطا سيل الماء وطلعنا نبصرها فإذا الجبال تسيل نارا وسارت هكذا وهكذا بين نارين كأنها الجبال وطار منها شرر كالقصر إلى أن أبصر ضوؤها من مكة ومن الفلاة جميعهما واجتمع الناس كلهم إلى قبر الشريف مستغفرين تائبين واستمرت هكذا أكثر من شهر قال الذهبي أمر هذه النار متواتر وهى مما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها اعناق الإبل ببصرى وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها وفي سنة خمس وخمسين وستمائة مات المعز أيبك سلطان مصر قتلته زوجته شجرة الدر وسلطنوا بعده ولده الملك المنصور على هذا والتتار جائلون في البلاد وشرهم متزايد ونارهم تستعرة والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم والوزير العلقمى حريص على إزالة الدولة العباسية ونقلها إلى العلوية والرسل في السر بينه وبين التتار والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الأمور ولا له غرض في المصلحة وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جدا وكان مع ذلك يصانع التتار ويهادنهم ويرضيهم فلما استخلف المستعصم كان خليا من الرأى والتدبير فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود ففعل ذلك

ثم إن الوزير كاتب التتار واطعمهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد شرح حال التتار ملخصا قال الموفق عبداللطيف في خبر التتار هو حديث يأكل الأحاديث وخبر يطوى الأخبار وتاريخ ينسى التواريخ ونازلة تصغر كل نازلة وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض وهذه الأمة لغتهم مشوبة بلغة الهند لأنهم في جوارهم وبينهم وبين مكة أربعة أشهر وهم بالنسبة إلى الترك عراض الوجوه واسعو الصدور خفاف الأعجاز صغار الأطراف سمر الألوان وسريعو الحركة في الجسم والرأى تصل إليهم اخبار الأمم ولا تصل أخبارهم إلى الأمم ولا تصل أخبارهم إلى الأمم وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم لأن الغريب لا يتشبه بهم وإذا أرادوا جهة كتموا أمرهم ونهضوا دفعة واحدة فلا يعلم بهم أهل بلد حتى يدخلوه ولا عسكر حتى يخالطوه فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل وتضيق طرق الهرب ونساؤهم يقاتلن كرجالهم والغالب على سلاحهم النشاب وأكلهم أي لحم وجد وليس في قتلهم استثناء ولا إبقاء ويقاتلون الرجال والنساء والأطفال وكان قصدهم إفناء النوع وإبادة العالم لا قصد الملك والمال وقال غيره أرض التتار بأطراف بلاد الصين وهم سكان برارى ومشهورون بالشر والغدر وسبب ظهورهم أن أقليم الصين متسع دوره ستة أشهر وهو ست ممالك ولهم حاكم على الممالك الست وهو القان الأكبر المقيم بطمغاج وهو كالخليفة للمسلمين

وكان سلطان إحدى الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكزخان فحضر زائرا لعمته وقد مات زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان فأعلمتهما أن الملك لم يخلف ولدا وأشارت على ابن اخيها أن يقوم مقامه فقام وانضم إليه خلق المغول ثم سير التقادم إلى القان الأكبر فاستشاط غيظا وأمر بقطع أذناب الخيل التى أهديت وطردها وقتل الرسل لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك إنما هم بادية الصين فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان تحالفا على التعاضد وأظهرا الخلاف للقان وأتتهما أمم كثيرة من التتار وعلم

لقان قوتهم وشرهم فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك أنه ينذرهم ويهددهم فلم يغن ذلك شيئا ثم قصدهم وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة فكسروا القان الأعظم وملكوا بلاده واستفحل شرهم واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة ثم سار إلى بلاد شاقون من نواحى الصين فملكاها فمات كشلوخان فقام مقامه ولده فاستضعفه جنكزخان فوثب عليه وظفر به واستقل جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له واعتقدوا فيه الإلهية وبالغوا في طاعته ثم كان أول خروجهم في سنة ست وستمائة من بلادهم إلى نواحى الترك وفرغانة فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان الذى اباد الملوك وأخذ الممالك وعزم على قصد الخليفة فلم بتهيأ له كما تقدم فأمر اهل فرغانة والشاش وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجلاء والجفلى إلى سمرقند وغيرها ثم خربها جميعا خوفا من التتار أن يملكوها لعلمه أنه لا طاقة له بهم

ثم صارت التتار يتخطفون ويتنقلون إلى سنة خمس عشرة فأرسل فيها جنكزخان إلى السلطان خوارزم شاه رسلا وهدايا وقال الرسول إن القان الأعظم يسلم عليك ويقول لك ليس يخفى على عظم شأنك وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الأقاليم وانا أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندى مثل أعز أولادى وغير خاف عنك أننى تملكت الصين وأنت أخبر الناس ببلادى وأنها مثارات العساكر والخيول ومعادن الذهب والفضة وفيها كفاية عن غيرها فإن رأيت أن تعقد بيننا المودة وتأمر التجار بالسفر لتعلم المصلحتين فعلت فأجابه خوارزم شاه إلى ملتمسه وبشر جنكزخان بذلك واستمر الحال على المهادنة إلى أن وصل من بلاده تجار وكان خال خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ومعه عشرون ألف فارس فشرهت نفسه إلى أموال التجار وكاتب السلطان يقول إن هؤلاء القوم قد جاءوا بزى التجار وما قصدهم إلا التجسس فإن اذنت لي فيهم فأذن له بالاحتياط عليهم فقبض عليهم واخذ أموالهم فوردت رسل جنكزخان إلى خوارزم شاه تقول إنك أعطيت أمانك التجار فغدرت والغدر قبيح وهو من سلطان الإسلام أقبح فإن زعمت أن الذي فعله خالك بغير أمرك فسلمه إلينا وإلا سوف تشاهد منى ما تعرفنى به فحصل عند خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله فتجلد وأمر بقتل الرسل فقتلوا فيالها من حركة لما أهدرت من دماء المسلمين واجرت بكل نقطة سيلا من الدم ثم سار جنكزخان إلبه فانجفل خوارزم شاه عن جيحون إلى نيسابور ثم ساق إلى برج همذان رعبا من التتار فأحدق به العدو فقتلوا كل

من معه ونجا هو بنفسه فخاض الماء إلى جزيرة ولحقته علة ذات الجنب فمات بها وحيدا فريدا وكفن في شاش فراش كان معه وذلك في سنة سبع عشرة وملكوا جميع مملكة خوارزشاه قال سبط ابن الجوزى كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة فأخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر وكان خوارزم شاه قد اباد الملوك من مدن خراسان فلم تجد التتار احدا في وجههم فطاروا في البلاد قتلا وسبيا وساقوا إلى ان وصلوا همذان وقزوين في هذه السنة وقال ابن الأثير في كامله حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التى عقمت الدهور عن مثلها وعمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل إن العلم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ومن أعظم ما يذكرون فعل بختنصر ببنى إسرائيل بالبيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من مدن الإسلام وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى ما قتلوا فهذه الحادثة التى استطار شرها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فإن قوما خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاد شاغرق ثم منها إلى بخارى وسمرقند فيملكونها ويبيدون أهلها ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها هلكا وتخريبا وقتلا وإبادة وإلى الري وهمذان إلى حد العراق ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ويخربونها ويستبيحونها في أقل من سنة امر لم يسمع بمثله ثم ساروا من آذربيجان إلى دار بند شروان فملكوا مدنها

وعبروا من عندها إلى بلاد اللان واللكز فقتلوا واسروا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم أكثر من الترك عددا فقتلوا من وقف وهرب الباقون واستولى التتار عليها ومضت طائفة اخرى غير هؤلاء إلى غزة وأعمالها وسجستان وكرمان ففعلوا مثل هؤلاء بل أشد هذا لم يطرق الأسماع مثله فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة وإنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا وإنما رضى بالطاعة وهؤلاء

قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض واحسنه وأعمره في نحو سنة ولم يبق أحد في البلاد التى لم يطرقها إلا وهو خائف يترقب وصولهم إليه ثم أنهم لم يحتاجوا إلى ميرة ومددهم يأتيهم فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها ولا غير وأما خيلهم فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا ويأكلون جميع الدواب وبنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وصل التتار إلى بغداد وهم مائتا ألف ويقدمهم هلاكو فخرج إليهم عسكر الخليفة فهزم العسكر ودخلوا بغداد يوم عاشوراء فأشار الوزير لعنة الله عليه على المعتصم بمصانعتهم وقال أخرج اليهم أنا في تقرير الصلح فخرج وتوثق بنفسه منهم وورد إلى الخليفة وقال إن الملك قد رغب في أن يزوج أبنته بابنك الأمير أبى بكر

ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ولا يريد إلا أن تكون الطاعة كما كان أجدادك مع سلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه فليجيب مولانا إلا هذا فإن فيه حقن دماء المسلمين ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد والرأى أن تخرج إليه فخرج إليه في جمع من الأعيان فأنزل في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك تخرج طائفة بعد ظائفة فتضرب أعناقهم حتى قتل جميع من هناك من العلماء الأمراء والحجاب والكبار ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد واستمر القتال فيها نحو أربعين يوما فبلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة ولم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قناة وقتل الخليفة رفسا قال الذهبى وما أظنه دفن وقتل معه جماعة من أولاده وأعمامه وأسر بعضهم وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها ولم يتم للوزير ما أراد وذاق من التتار الذل والهوان ولم تطل ايامه بعد ذلك وعملت الشعراء قصائد في مراثى بغداد وأهلها وتمثل بقول سبط التعاويذى % بادت واهلوها معا فبيوتهم % ببقاء مولانا الوزير خراب % وقال بعضهم % يا عصبة الإسلام نوحى واندبى % حزنا على ماتم للمستعصم % % دست الوزارة كان قبل زمانه % لابن الفرات فصار لابن العلقمى % وكان آخر خطبة ببغداد قال الخطيب في أولها الحمد لله الذى هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار هذا والسيف قائم بها

والتقى الدين بن أبى اليسر قصيدة مشهورة في بغداد وهى هذه % لسائل الدمع عن بغداد أخبار % فما فوقك والأحباب قد ساروا % % يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا % فما بذاك الحمى والدار ديار % % تاج الخلافة والربع الذي شرفت % به المعالم قد عفاه إقفار % % أضحى لعصف البلى في ربعه أثر % وللدموع على الآثار آثار % % يا نار قلبى من نار لحرب وغى % شبت عليه ووافى الربع إعصار % % علا الصليب على أعلى منابرها % وقام بالأمر من يحويه زنار % % وكم حريم سبته الترك غاصبة % وكان من دون ذاك الستر أستار % % وكم بدور على البدرية انخسفت % ولم يعد لبدور منه إبدار % % وكم ذخائر اضحت وهى شائعة % من النهاب وقد حازته كفار % % وكم حدود أقيمت من سيوفهم % على الرقاب وحطت فيه أوزار % % ناديت والسبى مهتوك تجرهم % إلى السفاح من الأعداد دعار % ولما فرغ هلاكو من قتل الخليفة واهل بغداد واقام على العراق نوابه وكان ابن العلقمى حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه واطرحوه وصار معهم في صورة بعض الغلمان ومات كمدا لا رحمه الله ولا عفا عنه ثم أرسل هلاكو إلى الناصر صاحب دمشق كتابا صورته يعلم السلطان الملك الناصر طال بقاؤه أنه لما توجهنا إلى العراق وخرج إلينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الإهلاك وأما ما كان من صاحب البلدة فإنه خرج إلى خدمتنا ودخل تحت عبوديتنا فسألناه عن أشياء كذبنا فيها فاستحق الإعدام وكان كذبه ظاهرا ووجدوا ما عملوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا تقولن قلاعى المانعات ورجالى المقاتلات وقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت إليك هاربة وإلى جنابك لائذة

% أين المفر ولا مفر لهارب % ولنا البسيطان الثرى والماء % فساعة وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماءها أرضا وطولها عرضا والسلام ثم أرسل له كتابا ثانيا يقول فيه خدمة ملك ناصر طال عمره أما بعد فإنا فتحنا بغداد واستأصلنا ملكها وملكها وكان قد ظن وقد فتن الأموال ولم ينافس الرجال أن ملكه يبقى على ذلك الحال وقد علا ذكره ونمى قدره فخسف في الكمال بدره % إذا تم أمر بدا نقصه % توقع زوالا إذا قيل تم % ونحن في طلب الازدياد على ممر الآباد فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم وأبد ما في نفسك إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أجب دعوة ملك البسيطة تأمن شره وتنل بره واسع اليه بأموالك ورجالك ولا تعوق رسلنا والسلام

ثم ارسل إليه كتابا ثالثا يقول فيه اما بعد فنحن جنود الله بنا ينتقم ممن عتا وتجبر وطغى وتكبر وبأمر الله ما ائتمر وإن عوتب تنمر وان روجع استمر ونحن قد أهلكنا البلاد وأبدنا العباد وقتلنا النسوان والأولاد فيها أيها الباقون أنتم بمن مضى لا حقون ويا أيها الغافلون أنتم إليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا في ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا أين المفر % أين المفر ولا مفر لهارب % ولنا البسيطان الثرى والماء % % ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت % في قبضتى الأمراء والخلفاء % ونحن إليكم صائرون ولكم الهرب وعلينا الطلب % ستعلم ليلى أي دين كداينتم وأى غريم بالتقاضى غريمها % دمرنا البلاد وأيتمنا الأولاد واهلكنا العباد واذقناهم العذاب

وجعلنا عظيمهم صغيرا وأميرهم أسيرا وتحسبون انكم منا ناجون أو متخلصون وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون وقد أعذر من أنذر ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة وفيها نزل التتار على آمد وكان صاحب مصر المنصور على بن المعز صبيا وأتابكه الأمير سيف الدين قطز المعزى مملوك أبيه وقدم الصاحب كمال الدين ابن العديم إليهم رسولا يطلب النجدة على التتار فجمع قطز الأمراء والأعيان فحضرالشيخ عز الدين بن عبدالسلام وكان المشار إليه في الكلام فقال الشيخ عز الدين إذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتالهم وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهازهم بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيء وان تبيعوا ما لكم من الحوائص والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه وتتساووا في ذلك أنتم والعامة وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا ثم بعد أيام يسيرة قبض قطز على ابن أستاذه المنصور وقال هذا صبى والوقت صعب ولا بد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد وتسلطن قطز ولقب بالملك المظفر ثم دخلت سنة ثمان وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة وفيها قطع التتار الفرات ووصلوا إلى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا إلى دمشق وخرج المصريون في شعبان متوجهين إلى الشام لقتال التتار فأقبل المظفر بالجيوش وشاليشه ركن الدين بيبرس الندقدارى فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف وذلك يوم الجمعة خامس عشر رمضان فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الأدبار وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم وجاء كتب المظفر إلى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ثم دخل المظفر إلى دمشق مؤيدا منصورا وأحبه الخلق غاية المحبة وساق بيبرس وراء التتار إلى بلاد حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان

بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك مبدأ الوحشة وكان المظفر عزم على التوجه إلى حلب لينظف آثار البلاد من التتار فبلغه أن بيبرس تنكر له وعمل عليه فصرف وجهه عن ذلك ورجع إلى مصر وقد أضمر الشر لبيبرس وأسر ذلك إلى بعض خواصه فأطلع على ذلك بيبرس فساروا إلى مصر وكل منهما محترس من صاحبه فاتفق بيبرس وجماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في ثالث عشر شهر ذى القعدة وتسلطن بيبرس ولقب بملك القاهرة ودخل مصر وأزال عن أهلها ما كان المظفر قد أحدثه عليهم من المظالم وأشار عليه الوزير زين الملة والدين ابن الزبير بأن يغير هذا اللقب وقال ما لقب به أحد فأفلح لقب به القاهر بن المعتضد فخلع بعد قليل وسمل ولقب به القاهر ابن صاحب الموصل فسم فأبطل السلطان هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر ثم دخلت سنة تسع وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة إلى رجب فأقيمت بمصر الخلافة وبويع المستنصر كما سنذكره وكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصف وممن مات في أيام المستعصم من الأعلام الحافظ تقى الدين الصريفينى والحافظ أبو القاسم بن الطيلسان وشمس الأئمة الكردى من كبار الحنفية والشيخ تقى الدين ابن الصلاح والعلم السخاوى والحافظ محب الدين بن النجار مؤرخ بغداد ومنتخب الدين شارح المفصل وابن يعيش النحوى وأبو الحجاب الأقصري الزاهد وأبو على الشلوبينى النحوى وابن البيطار صاحب المفردات والعلامة جمال الدين بن الحاجب إمام المالكية وابو الحسن بن الدبياج النحوى والقفطى صاحب تاريخ النحاة وأفضل الدين الخوانجى صاحب المنطق والأزدى والحافظ يوسف بن خليل والبهاء ابن بنت الحميرى والجمال ابن عمرون النحوى والرضى الصغانى اللغوى صاحب العباب وغيره والكمال عبدالواحد الزملكانى صاحب المعانى والبيان وإعجاز القرآن والشمس الخسروشاهى

والمجد ابن تيمية ويوسف سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان وابن باطيش من كبار الشافعية والنجم البادرائى وابن أبى الفضل المرسى صاحب التفسير وخلائق آخرون فصل ومات في مدة انقطاع الخلافة من الأعلام الزكي عبد العظيم المنذري والشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية وشعبة المقرىء والفاسي شارح الشاطبية وسعد الدين بن العزى الشاعر والصرصرى الشاعر وابن الأبار مؤرخ الأندلس وآخرون المستنصر بالله أحمد المستنصر بالله أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد قال الشيخ قطب الدين كان محبوسا ببغداد فلما أخذت التتار بغداد أطلق فهرب وصار إلى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بنى مهارش فركب السلطان لقائه ومعه القضاة والدولة فشق القاهرة ثم أثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ثم بويع له بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضى القضاة تاج الدين ثم الشيخ عزالدين بن عبدالسلام ثم الكبار على مراتبهم وذلك في الثالث عشر رجب ونقش اسمه على السكة وخطب له ولقب بلقب اخيه وفرح الناس وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلى جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ودعا فيها للسلطان والمسلمين ثم صلى بالناس ثم رسم بعمل خلعة خليفة السلطان وبكتابة تقليد له ثم نصب خيمة بظاهر القاهرة وركب المستنصر بالله والسلطان يوم الاثنين رابع شعبان إلى الخيمة وحضر القضاة والأمراء والوزير فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه

ونصب منبر فصعد عليه فخر الدين ابن لقمان فقرأ التقليد ثم ركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر وزينت القاهرة وحمل الصاحب التقليد على رأسه راكبا والأمراء مشاة ورتب السلطان للخليفة أتابكا واستادارا وشرابيا وخازندارا وحاجبا وكاتبا وعين له خزانة وجملة من مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلا وعشرة قطارات جمال إلى أمثال ذلك قال الذهبي ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هذا والمقتفى وأما صاحب حلب الأمير شمس الدين أقوش فأنه أقام بحلب خليفة ولقبه الحاكم بأمر الله وخطب له ونقش إسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان يشيعه إلى أن دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستين ألف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب سنجار فاجتمع به الخليفة الحلبى الحاكم ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة المستنصر فقيل قتل وهو والظاهر وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين فكانت خلافته دون ستة أشهر وتولى بعد بسنة الحاكم الذي كان بويع بحلب في حياته الحاكم بأمر الله أبو العباس الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن على القبى بضم القاف وتشديد الباء الموحدة بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ثم خرج منها في صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح أمير بنى خفاجة فأقام عنده مدة ثم توصل مع

العربى إلى دمشق وأقام عند الأمير عيسى بن مهنأ مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتار فلما جاء الملك المظفر دمشق سير فى طلبه الأمير قلج البغدادى فاجتمع به وبايعه بالخلافة وتوجه في خدمته جماعة من أمراء العرب فافتتح الحاكم غانة بهم والحديثة وهيت والأنبار وصاف التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طيبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة ايام إلى القاهرة فما رأى أن يدخل إليها خوفا من أن يمسك فرجع إلى حلب فبايعه صاحبها ورؤساؤها منهم عبدالحليم بن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد غانة فلما رجع المستنصر وافاه بغانة فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته فلما عدم المستنصر في الوقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرحبة وجاء إلى عيسى بن مهنأ فكاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعة فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت أيامه وكانت خلافته نيفا وأربعين سنة وأنزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وخطب بجامع القلعة مرات قال الشيخ قطب الدين في يوم الخميس ثامن المحرم سنة إحدى وستين جلس السلطان مجلسا عاما وحضر الحاكم بأمر الله راكبا إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه فأقبل عليه السلطان وبايعه بإمارة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور ثم بايعه الناس على طبقاتهم فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والإمامة وتعرض إلى ما جرى من هتك حرمة الخلافة ثم قال وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصر

الإمامة عند قلة الأنصار وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار وأول الخطبة الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركنا وظهيرا ثم كتب بدعوته إلى الآفاق

وفي هذه السنة وبعدها تواتر مجيء جماعة من التتار مسلمين مستأمنين فأعطوا أخبازا وأرزاقا فكان ذلك مبدأ كفاية شرهم وفي سنة اثنتين وستين فرغت مدرسة الظاهرية بين القصرين وولى بها تدريس الشافعية التقى ابن رزين وتدريس الحديث الشرف الدمياطى وفيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة وفي سنة ثلاث وستين انتصر سلطان المسلمين بالأندلس أبو عبدالله ابن الأحمر على الفرنج واسترجع من أيديهم اثنتين وثلاثين بلدا من جملتها إشبيلية ومرسية وفيها كثر الحريق بالقاهرة في عدة مواضع ووجد لفائف فيها النار والكبريت على الأسطح وفيها حفر السلطان بحر أشمون وعمل بنفسه والأمراء وفيها مات طاغية التتار هلاكو وملك بعده ابنه أبغا وفيها سلطن السلطان ولده الملك السعيد وعمره أربع سنين وركبه بأبهة الملك في قلعة الجبل وحمل الغاشية بنفسه بين يدي ولده من باب السر إلى باب السلسلة ثم عاد وركب إلى القاهرة والأمراء مشاة بين يديه وفيها جدد بالديار المصرية القضاة الأربعة من كل مذهب قاض وسبب ذلك توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز عن تنفيذ كثير من الأحكام وتعطلت الأمور وأبقى للشافعى النظر في أموال الأيتام وأمور بيت المال ثم فعل ذلك بدمشق وفي رمضان منها حجب السلطان الخليفة ومنعه الناس لكون أصحابه كانوا يخرجون إلى البلد ويتكلمون في أمر الدولة وفي سنة خمس وستين وستمائة أمر السلطان بعمل الجامع بالحسنية وتم ذلك في سنة سبع وستين وقرر له خطيب حنفى

وفي سنة أربع وسبعين وجه السلطان جيشا إلى النوبة ودنقلة فانتصروا وأسر ملك النوبة وارسل به إلى الملك الظاهر ووضعت الجزية على أهل دنقلة ولله الحمد قال الذهبي وأول ما غزيت النوبة في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة غزاها عبدالله بن أبى سرح في خمسة ألآف فارس ولم يفتحها فهادنهم ورجع ثم غزيت في زمن هشام ولم تفتح ثم في زمن المنصور ثم غزاها هاتكن الزنكى ثم كافور الأخشيدى ثم ناصر الدولة ابن حمدان ثم توران شاه أخوه السلطان صلاح الدين في سنة ثمانين وستين وخمسمائة ولم تفتح إلا في هذا العام وقال في ذلك ابن عبد الظاهر % هذا هو الفتح لا شيء سمعت به % في شاهد العين لا ما في الأسانيد % وفي سنة ست وسبعين مات الملك الظاهر بدمشق في محرم واستقل ابنه الملك السعيد محمد بالسلطنة وله ثمان عشرة سنة وفيها جمع التقى بن رزين بين قضاء مصر والقاهرة وكان قضاء مصر قبل ذلك مفردا عن قضاء القاهرة ثم لم يفرد بعد ذلك قضاء مصر عن قضاء القاهرة وفي سنة ثمان وسبعين خلع الملك السعيد من السلطنة وسير إلى الكرك سلطانا بها فمات من عامه وولوا مكانه بمصر أخاه بدرالدين سلامش وله سبع سنين ولقبوه بالملك العادل وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون وضرب السكة باسمه على وجه ودعى لهما في الخطبة ثم في رجب نزع سلامش من السلطنة بغير نزاع وتسلطن قلاوون ولقب بالملك المنصور وفي سنة تسع وسبعين يوم عرفة وقع بديار مصر برد كبار وصواعق وفي سنة ثمانين وصل عسكر التتار إلى الشام وحصل الرجيف

فخرج السلطان لقتالهم ووقع المصاف وحصل مقتلة عظيمة ثم حصل النصر للمسلمين ولله الحمد وفي سنة ثمان وثمانين أخذ السلطان طرابلس بالسيف وكانت في أيدى النصارى من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن وكان أول فتحها في زمن معاوية وأنشأ التاج ابن الأثير كتابا بالبشارة بذلك إلى صاحب اليمن يقول فيه كانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه مكب على مجلس أنسه يرى السلامة غنيمة وإذا عن له وصف الحرب لم يسأل إلا عن طرق الهزيمة قد بلغ أمله من الرتبة وقنع بالسكة والخطبة أموال تنهب وممالك تذهب لا ينالون بما سلبوا وهم كما قيل % إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا % أو حاربوا حربوا أو غالبوا غلبوا % إلى أن أوجد الله من نصر دينه وأذل الكفر وشياطينه وذكر بعضهم أن معنى طرابلسس باللسان الرومى ثلاثة حصون مجتمعة وفي سنة تسع وثمانين مات السلطان قلاوون في ذى القعدة وتسلطن ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل فأظهر أمر الخليفة وكان خاملا في أيام أبيه حتى أن أباه لم يطلب منه تقليدا بالملك فخطب الخليفة بالناس يوم الجمعة وذكر في خطبته توليته للملك الأشرف أمر الإسلام ولما فرغ من الخطبة صلى بالناس قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ثم خطب الخليفة مرة خطبة أخرى جهادية وذكر بغداد وحرض على أخذها وفي سنة

إحدى وتسعين سافر السلطان فحاصر قلعة الروم وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة قتل السلطان بتروجه وسلطنوا اخاه محمد بن المنصور ولقب الملك الناصر وله يومئذ تسع سنين ثم خلع في المحرم سنة أربع وتسعين وتسلطن كتبغا المنصورى وتسمى بالملك العادل

وفي هذه السنة دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو ملك التتار وفرح الناس بذلك وفشا الإسلام في جيشه وفي سنة ست وتسعين وستمائة كان السلطان بدمشق فوثب لاجين على السلطنة وحلف له الأمراء ولم يختلف عليه اثنان ولقب الملك المنصور وذلك في صفر وخلع عليه الخليفة الخلعة السوداء وكتب له تقليدا وسير العادل إلى صرخد نائبا بها ثم قتل لاجين في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وأعيد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون وكان منفيا بالكرك فقلده الخليفة فسير العادل إلى حماة نائبا بها فاستمر إلى أن مات سنة اثنتين وسبعمائة وفي سنة إحدى وسبعمائة توفي الخليفة الحاكم إلى رحمة الله ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى وصلى عليه العصر بسوق الخيل تحت القلعة وحضر جنازته رجال الدولة والأعيان كلهم مشاة ودفن بقرب السيدة نفيسة وهو أول من دفن منهم هناك واستمر مدفنهم إلى الآن وكان عهده بالخلافة لولده أبي الربيع سليمان وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام الشيخ عز الدين بن عبدالسلام والعلم اللورقي وأبو القاسم القبارى الزاهد والزين خالد النابلسي والحافظ ابو بكر بن سدى والإمام أبو شامة والتاج ابن بنت الأعز وأبو الحسن ابن عدلان ومجدالدين بن دقيق العيد وأبو الحسن بن عصفور النحوى والكمال سلار الإربلى وعبدالرحيم بن يونس صاحب التعجيز والقرطبي صاحب التفسير والتذكرة والشيخ جمال الدين بن مالك وولده بدر الردين والنصير الطوسي رأس الفلاسفة وخاصة التتار والتاج ابن السباعي خازن المستنصرية والبرهان ابن جماعة والنجم الكاتبي المنطقي والشيخ محي الدين النووى والصدر سليمان إمام الحنفية والتاج ابن ميسر المؤرخ والكواشي

المفسر والتقى بن رزين وابن خلكان صاحب ويات الأعيان وابن إياز النحوى وعبدالحليم بن تيمية وابن جعوان وناصر الدين بن المنير والنجم ابن البارزى والبرهان النسفى صاحب التصانيف في الخلاف والكلام والرضى الشاطبي اللغوى والجمال الشريشى والنفيسي شيخ الأطباء وابو الحسين ابن أبي الربيع النحوى والأصبهانى شارح المحصول والعفيف التلمسانى الشاعر المنسوب إلى الإلحاد والتاج وابن الفركاح والزين ابن المرحل والشمس الجوبي والعز الفاروقي والمحب الطبرى والتقى ابن بنت الأعز والرضى القسطنطنى والبهاء ابن النحاس النحوى وياقوت المستعصمى صاحب الخط المنسوب وخلائق آخرون المستكفى بالله أبو الربيع المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد في نصف المحرم سنة اربع وثمانين وستمائة واشتغل بالعلم قليلا وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة وخطب له على المنابر في البلاد المصرية والشامية وسارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية وكانوا يكنون بالكبش فنقلهم السلطان إلى القلعة وأفرد لهم دارا وفي سنة اثنتين هجم التتار على الشام فخرج السلطان ومعه الخليفة لقتالهم فكان النصر عليهم وقتل من التتار مقتلة عظيمة وهرب الباقون وفيها زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة هلك فيها خلق تحت الهدم وفي سنة أربع انشأ الأمير بيبرس الجاشنكير المنصورى الوظائف والدروس بجامع الحاكم وجدده بعد خرابه من الزلزلة وجعل القضاة الأربعة مدرسي الفقه وشيخ الحديث سعد الدين الحارثى وشيخ النحو أبا حيان

وفي سنة ثمان خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قاصدا للحج فخرج من مصر في شهر رمضان المعظم وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردهم فلما اجتاز بالكرك عدل إليها فنصب له الجسر فلما توسطه انكسر به فسلم من قدامه وقفز به الفرس فنجا وسقط من وراءه فكانوا خمسين فمات أربعة وتهشم أكثرهم في الوادى تحته وأقام السلطان بالكرك ثم كتب كتابا إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة فأثبت ذلك القضاة بمصر ثم نفذ على القضاة الشام وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة في الثالث والعشرين من شهر شوال ولقب الملك المظفر وقلده الخليفة وألبسه الخلعة السوداء والعمامة المدورة ونفذ التقليد إلى الشام في كيس أطلس أسود فقرىء هناك وأوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ثم عاد الملك الناصر في رجب سنة تسع يطلب عوده إلى الملك ومالأه على ذلك جماعة من الأمراء فدخل دمشق في شعبان ثم دخل مصر يوم عيد الفطر وصعد القلعة وكان المظفر بيبرس فر في جماعة من أصحابه قبل قدومه بأيام ثم أمسك وقتل من عامه وقال العلاء الوداعى في عود الناصر إلى الملك % الملك الناصر قد أقبلت % دولته

مشرقة الشمس % % عاد إلى كرسيه مثل ما % عاد سليمان إلى كرسيه % وفي هذه السنة تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض وانهم قد التزموا للديون بسبعمائة ألف دينار كل سنة زيادة على الجالية فقام الشيخ تقى الدين بن تيمية في إبطال ذلك قياما عظيما وبطل ولله الحمد وفيها اظهر ملك التتار خوبند الرفض في بلاده وامر الخطباء أن لا يذكروا في الخطبة إلا على بن أبى طالب وولديه وأهل البيت واستمر ذلك إلى أن مات سنة ست عشرة وولى ابنه أبو سعيد فأمر بالعدل واقام السنة والترضى عن الشيخين ثم عثمان ثم على في الخطبة وسكن كثير من الفتن ولله الحمد وكان

هذا من خير ملوك التتار وأحسنهم طريقة واستمر إلى أن مات سنة ست وثلاثين ولم يقم لهم بعده قائمة بل تفرقوا شذر مذر وفي سنة عشرة زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع مثلها وغرق منها بلاد كثيرة وناس كثيرون وفي سنة اربع وعشرين زاد النيل أيضا كذلك ومكث على أرض ثلاثة اشهر ونصفا وكان ضرره أكثر من نفعه وفي سنة ثمان وعشرين عمرت سقوف المسجد الحرام بمكة والأبواب وظاهره مما يلي باب بنى شيبة وفي سنة ثلاثين أقيمت الجمعة بإيوان الشافعية من المدرسة الصالحية بين القصرين وذلك أول ما أقيمت بها وفيها فرغ من الجامع الذى أنشأه قوصون خارج باب زويلة وخطب به وحضره السلطان والأعيان وباشر الخطابة يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى ثم استقر في خطابته فخر الدين بن شكر وفي سنة ثلاث وثلاثين أمر السلطان بالمنع من رمى البندق وان لا تباع قسية ومنع المنجمين وفيها عمل السلطان للكعبة باب من الأبنوس عليه صفائح فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وكسر وقلع الباب العتيق فأخذه بنو شيبة بصفائحه وكان عليه اسم صاحب اليمن وفي سنة ست وثلاثين وقع بين الخليفة والسلطان أمر فقبض على الخليفة واعتقله بالبرج ومنعه من الاجتماع بالناس ثم نفاه في ذى الحجة سنة سبع إلى قوص هو وأولاده وأهله ورتب لهم ما يكفيهم وهم قريب من مائة نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون واستمر المستكفى بقوص إلى أن مات بها في شعبان سنة اربعين وسبعمائة ودفن بها وله بضع وخمسون سنة

قال ابن حجر في الدار الكامنة كان فاضلا جوادا حسن الخط جدا شجاعا يعرف بلعب الأكرة ورمى البندق وكان يجالس العلماء والأدباء وله عليهم إفضال ومعهم مشاركة وكان بطول مدته يخطب له على المنابر حتى في زمن حبسه ومدة أقامته بقوص وكان بينه وبين السلطان أولا محبة زائدة وكان يخرج مع السلطان إلى السرحات ويلعب معه الكرة وكانا كالأخوين والسبب في الوقيعة بينهما أنه رفع إليه قصة عليه خط الخليفة بأن يحضر السلطان بمجلس الشرع الشريف فغضب من ذلك وآل الأمر إلى أن نفاه إلى قوص ورتب له على واصل المكارم أكثره مما كان له بمصر وقال ابن فضل الله في ترجمته من المسالك كان حسن الجملة لين الحملة وممن مات في ايام المستكفى من الأعلام قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد والشيخ زين الدين الفارقى شيخ الشافعية وشيخ دار الحديث وليها بعد وفاة النووى إلى الآن ووليها بعده صدر الدين بن الوكيل والشرف الفزارى والصدر بن الزرير بن الحاسب والحافظ شرف الدين الدمياطى والضياء الطوسى شارح الحاوى والشمس السروجى شارح الهداية من الحنفية والإمام نجم الدين بن الرفعة إمام الشافعية في زمانه والحافظ سعد الدين الحارثى والفخر التوزى محدث مكة والرشيد بن المعلم من كبار الحنفية والأربوى والصدر ابن الوكيل شيخ الشافعية والكمال ابن الشريشى والتاج التبريزى والفخر بن بنت أبى سعد والشمس بن أبى العز شيخ الحنفية والرضى الطبرى إمام مكة والصفى أبو الثناء ومحمود الأرموى والشيخ نور الدين البكرى والعلاء ابن العطار تلميذ الإمام النووى والشمس الأصبهانى صاحب التفسير وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح التجريد وغير ذلك والتقى الصائغ المقرىء خاتمة مشايخ القراء والشهاب محمود شيخ صناعة الإنشاء والجمال بن مطهر شيخ

الشيعة والكمال بن قاضى شهبة والنجم القمولى صاحب الجواهر والبحر والكمال بن الزملكانى والشيخ تقى الدين بن تيمية وابن جبارة شارح الشاطبية والنجم البالسى شارح التنبيه والبرهان الفزارى شيخ الشافعية والعلاء القونوى شارح الحاوى والفخر التركمانى من الحنفية شارح الجامع الكبير والملك المؤيد صاحب حماة الذي له تصانيف كثيرة منها نظم الحاوى والشيخ ياقوت العرشى تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى والبرهان الجعبرى والبدر بن جماعة والتاج ابن الفاكهانى والفتح بن سيد الناس والقطب الحلبى والزين الكنانى والقاضى محى الدين بن فضل الله والركن بن القويع والزين بن المرحل والشرف بن البارزى والجلال القزوينى وآخرون الواثق بالله ابراهيم الواثق بالله إبراهيم بن ولى

العهد المستمسك بالله أبى عبدالله محمد بن الحاكم يأمر الله أبى العباس أحمد كان جده الحاكم عهد إلى أبنه محمد ولقبه المستمسك فمات في حياته فعهد إلى ابنه إبراهيم هذا ظنا أنه يصلح للخلافة فرآه غير صالح لها لما هو فيه من الانهماك في اللعب ومعاشرة الأرذال فعدل عنه وعهد إلى المستكفى ابنه أعنى ابن الحاكم وهو عم إبراهيم فكان إبراهيم هو السبب في الوقيعة بين الخليفة المستكفى والسلطان بعد أن كانا كالأخوين لما كان يحمله إليه من النميمة به حتى جرى ما جرى فلما مات المستكفى بقوص عهد إلى ابنه أحمد فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وبايع إبراهيم هذا ولقب بالواثق إلى أن حضرت السلطان الوفاة فندم على ما صدر منه وعزل إبراهيم هذا وبايع ولى العهد أحمد ولقب الحاكم وذلك في أول المحرم سنة اثنتين واربعين قال ابن حجر راجع الناس السلطان في أمر إبراهيم هذا ووسموه بسوء السيرة

فلم يلتفت لذلك ولم يزل بالناس حتى بايعوه وكان العامة يلقبونه المستعصى بالله وقال ابن فضل الله في المسالك في ترجمة الواثق عهد إليه جده ظنا أن يكون صالحا أويجيب لداعى الخلافة صائحا فما نشأ إلا في تهتك ولا دان إلا بعد تنسك أغرى بالقاذورات وفعل ما لم تدع إليه الضرورات وعاشر السفلة والأرذال وهان عليه من عرضه ماهو باذل وزين له سوء عمله فرآه حسنا وعمى عليه فلم ير مسيئا إلا محسنا وغواه اللعب بالحمام وشرى الكباش للنطاح والديوك للنقار والمنافسة في المعز الزرائبية الطوال الآذان وأشياء من هذا ومثله مما يسقط المروءة ويثلم الوقار وانضم هذا إلى سوء معاملة ومشترى سلع لا يوفى أثمانها واستئجار دور لا يقوم بأجرها وتحيل على درهم يملأ به كفه وسحت يجمع به فمه وحرام يطعم منه ويطعم حرمه حتى كان عرضه للهوان وأكلة لأهل الهوان فلما توفى المستكفى والسلطان عليه في حدة غضبه وتياره المتحامل عليه في شدة غلبه طلب هذا الواثق المغتر والمائق إلا أنه غير المضطر وكان ممن يمشى إلى السلطان في عمه بالنميمة ويعقد مكائده على رأسه عقدة التميمة فحضر إليه وأحضر معه عهد جده فتمسك السلطان بمبايعته بشبهته وصرف وجه الخلافة إلى جهته وكان قد تقدم نقض ذلك العهد ونسخ ذلك العقد وقام قاضى القضاة أبو عمر بن جماعة في صرف رأى السلطان عن إقامة الخطبة باسم الواثق فلم يفعل واتفق الرأيان على ترك الخطبة للاثنين واكتفى فيها بمجرد اسم السلطان فرحل بموت المستكفى اسم الخلافة عن المنابر كأنه ما علا ذروتها وخلا الدعاء للخلافاء من المحاريب كأنه ما قرع بابها ومروتها فكأنما كان آخر للخلفاء بنى العباس وشعارها عليه لباس الحداد واغمدوا تلك السيوف الحداد ثم لم يزل الأمر على هذا حتى حضرت السلطان الوفاة وقرع الموت

صفاه فكان مما أوصى به الأمر إلى أهله وإمضاء عهد المستكفى لأبنه قال الآن حصحص الحق وحنا على مخالفيه ورق وعزل إبراهيم وهزل وكان قد رعى البهم وستر اللؤم بثياب أهل الكرم وتسمن وشحمة ورم وتسمى بالواثق واين هو من صاحب هذا الاسم الذى طال ما سرى رعبه في القلوب وأقضت هيبته مضاجع الجنوب وهيهات لا تعد من النسر التماثيل ولا الناموسة وإن طال خرطومها كالفيل وإنما سوق الزمان قد ينفق ما كسد والهر يحكى انتفاخا صورة الأسد وقد عاد الآن يعض يديه ومن يهن يسهل الهوان عليه هذا آخر كلام ابن فضل الله الحاكم بأمر الله أبو العباس الحاكم بأمر الله أبو العباس احمد بن المستكفى كان أبوه لما مات بقوص عهد إليه بالخلافة فقدم الملك الناصر عليه إبراهيم ابن عمه لما كان في نفسه من المستكفى وكانت سيرة إبراهيم قبيحة وكان القاضى عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم يفعل فلما حضرته الوفاة أوصى الأمراء برد الأمر إلى ولى عهد المستكفى ولده أحمد فلما تسلطن المنصور أبو بكر ابن الناصر عقد مجلسا يوم الخميس حادى عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وطلب الخليفة إبراهيم وولى العهد أحمد والقضاة وقال من يستحق الخلافة شرعا فقال ابن جماعة إن الخليفة المستكفىالمتوفى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد وأشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص وثبت ذلك عندى بعد ثبوته عند نائبى بمدينة قوص فخلع السلطان حينئذ إبراهيم وبايع أحمد وبايعه القضاة ولقب الحاكم بأمر الله لقب جده وقال ابن فضل الله في المسالك في ترجمته هو إمام عصرنا وغمام مصرنا قام على غيظ العدى وغرق بفيض الندى وصارت له الأمور إلى مصائرها

وسيقت إليه بصائرها فأحيا رسوم الخلافة ورسم بما لا يستطيع أحد خلافه وسلك مناهج آبائه وقد طمست واحياها بمباهج أبنائه وقد درست وجمع شمل بنى ابيه وقد طال بهم الشتات وأطال عذرهم وقد اختلف السبات ورفع اسمه على ذرى المنابر وقد عبر مدة لا يطلع إلا فى آفاقه تلك النجوم ولا يسبح إلا في سبحة تلك الغيوم والسجوم طلب بعد موت السلطان وأنفذ حكم وصيته في تمام مبايعته وكان أبوه

قد أحكم له بالعقد المتقدم عقدها وحفظ له عنده ذوى الأمانة عهدها ثم تسلطن الملك المنصور أبو بكر بن السلطان وعمر له من تحت الملك الأوطان قال ابن فضل الله وقد كتبت له صورة المبايعة وهى بسم الله الرحمن الرحيم ^ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ^ إلى قوله ^ عظيما ^ هذه بيعة رضوان وبيعة احسان وجمعية رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن بيعة يلزم طائرها العنق ويحوم بسائرها ويحمل أنباءها البرارى والبحار مشحونة الطرق بيعة يصلح الله بها الأمة ويمنح بسببها النعمة ويتجارى الرفاق ويسرى الهناء فى الآفاق وتتزاحم لزهر الكواكب على حوض المجرة الدقاق بيعة سعيدة ميمونة شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة بيعة صحيحة شرعية ملحوظة مرعية بيعة تسابق إليها كل نية وتطاوع كل طوية ويجتمع عليها اشتات البرية بيعة يستهل بها الغمام ويتهلل بها البدر التمام بيعة متفق عليها الإجماع والإجتماع ولبسط الأيدى إليها انعقد عليها الإجماع فاعتقد صحتها من سمع لله وأطاع وبذل في تمامها كل امرىء ما استطاع حصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ووصل بها الحق إلى مستحقيه وأقره الخصم وانقطع النزاع يضمنها كتاب مرقوم يشهده المقربون وتلقاه الأئمة الأقربون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وإلينا ولله الحمد وإلى بنى العباس أجمع على هذه البيعة

أرباب العقد والحل وأصحاب الكلام فيما قل وجل وولاة الأمور والحكام وأرباب المناصب والأحكام حملة العلم والأعلام وحماة السيوف والأقلام وأكابر بنى عبد مناف ومن انخفض قدره وأناف وسروات قريش ووجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس وخاصة الأئمة وعامة الناس بيعة ترى بالحرمين خيامها وتخفق بالمأزمين أعلامها وتتعرف بعرفات بركاتها وتعرف بمنى ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر وتؤم ما بين الركن والمقام والحجر ولا يبتغى به إلا وجه الله الكريم بيعة لا يحل عقدها ولا ينبذ عهدها ولازمة جازمة دائبة دائمة تامة عامة شاملة كاملة صحيحة صريحة متعبة مريحة ولا من يوصف حلم ولا قضاء ولا من يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ولا إمام مسجد ولا خطيب ولا ذو الفتوى يسأل فيجيب ولا من لزم المساجد ولا من تضمهم أجنحة المحاريب ولا من يجتهد في رأى فيخطىء أو يصيب ولا محدث بحديث ولا متكلم في قديم حديث ولا معروف بدين وصلاح ولا فرسان حرب وكفاح ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ولا ضارب بصفاح ولا ساع بقدم ولا ظائر بجناح ولا مخالط للناس ولا قاعدة فى عزلة ولا جمع كثرة ولا قلة ولا من يستقل بالجوزاء لؤلؤه ولا من يعلو فوق الفرقدين ثواؤه ولا باد ولا حاضر ولا مقيم ولا سائر ولا أول ولا آخر ولا مسر في باطن ولا معلن ظاهر ولا عرب ولا عجم ولا راعى إبل ولا غنم ولا صاحب أناة ولا بدار ولا ساكن في حضر وبادية بدار ولا صاحب عمد ولا جدار ولا ملجج في البحارة الذاخرة والبرارى والقفار ولا من يعتلى صهوات الخيل ولا من يسبل على العجاجة الذيل ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل ولا من تظله السماء وتقله الأرض ولا من تدل عليه الأسماء على اختلافها وترفع درجات بعضها على بعض حتى آمن بهذه البيعة وأمن عليها وأمن بها ومن الله عليه وهداه إليها وأقر بها وصدق وغض لها بصره خاشعا لها وأطرق ومد إليها يده بالمبايعة

ومعتقده بالمتابعة ورضى بها وارتضاها واجاز حكمها على نفسه وامضاها ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وإنه لما استأثر الله بعبده سليمان أبى الربيع الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار السلام بدار السلام ونقله مزكى يديه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام حيث آثره بقربه ومهد لجنبه وأقدمه على ما قدمه من مرجو عمله وكسبه وخار له في جواره فريقا وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاه الله أكبر ليومه لولا مخلفة كانت تضيق الأرض بما رحبت وتجزى كل نفس بما كسبت وتنبأ كل سريرة ما ادخرت وما جنت لقد اضطرم سعير إلا أنه في الجوانح لقد اضطرب منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطر مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة الصالح ولم يكن النسب العباسى ولا في البيت المسترشدى ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء وجدود ولا من تلده أخرى الليالى وهى عاقر غير ولود من تسلم إليه امه محمد عقد نياتها وسرطوياتها إلا واحد وأين ذاك الواحد هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأطهار وتراث أجداده الأخيار ولا شيء هو إلا ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار وهو ولد المنتقل إلى ربه وولد الإمام الذاهب لصلبه المجمع على أنه في الأيام فرد هذا الأنام وهكذا في الوجود الإمام وأنه الحائز لما زرت عليه جيوب المشارق والمغارب والفائز بملك ما بين المشارق والمغارب الراقى في صفح

السماء هذه الذروة المنيفة الباقى بعد الأئمة الماضين ونعم الخليفة المجتمع فيه شروط الإمامة المتضع لله وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة الذي يفضح السحاب نائله والذي لا يعزه عادله ولا يغره عاذله والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال بأمره وقام قائمه ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف انه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه نائب الله في أرضه والقائم

مقام رسوله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه وتابع عمله الصالح ووارث علمه سيدنا ومولانا عبدالله ووليه أبو العباس الإمام الحاكم بأمر الله وأمير المؤمنين أيد الله ببقائه الدين وطوق بسيفه الملحدين وكبت تحت لوائه المعتدين وكتب له النصر إلى يوم الدين وكب بجهاده على الأذقان طوائف المفسدين وأعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين واعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وعليه كانوا يعملون ونصر أنصاره وقدر اقتداره وأسكن في القلوب سكينته ووقاره ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره ولما انتقل إلى الله ذلك السيد ولقى أسلافه ونقل إلى سرير الجنة عن سرير الخلافة وخلا العصر من إمام يمسك ما بقى من نهاره وخليفة يغالب مزيد الليل بأنواره ووارث نبى بمثله ومثل آبائه استغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء عن النبي يقتفى على آثاره ومضى ولم يعهد فلم يبق إذ لم يوجد النص إلا الإجماع وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف به معقود وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فحضر من لم يعبأ بعده بمن تخلف ولم ير بائعه وقد مد يده طامعا لمزيدها وقد تكلف واجمعوا على رأي واحد استخاروا الله فيه فخار وأخذ يمين يمد لها الأيمان ويشهد بها الإيمان ويعطى عليها المواثيق وتعرض أمانتها على كل فريق حتى تقلد كل من حضر فى عنقه هذه الأمانة وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله واتم أيمانه ولم يقطع ولا استثنى ولا تردد ومن قطع عن غير قصد اعاد وجدد وقد نوى كل من حلف أن النية في يمينه نية من عقدت له هذه البيعة ونية من حلف له وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكلفه على عادة أيمان البيعة وشروطها وأحكامها المرددة وأقسامها المؤكدة بأن يبذل لهذا الإمام المفترض الطاعة الطاعة ولا يفارق الجمهور ولا يفر عن الجماعة الجماعة

وغير ذلك مما تضمنته نسخ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من كتب منهم وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا وأذنوا أن يكتب عنهم حسبما يشهد به بعضهم على بعض ويتصادق عليه أهل السماء والأرض بيعة تم بمشيئة الله تمامها وعم بالصوب المغدق غمامها وقالوا الحمد لله أذهب عنا الحزن ووهب لنا الحسن ثم الحمد لله الكافى عبده الوافى لمن يضعف على كل موهبة حمده ثم الحمد لله على نعمه يرغب أمير المؤمنين في ازديادها ويرهب إلا أن يقاتل أعداء الله بإمدادها ويدأب بها من ارتقى منابر ممالكه بما بان من مبانيه أضدادها ونحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من ترددها ولا يحل بما تفوق السهام من سدادها ولا يبطل إلا على ما يوجب تكثير أعدادها وتكبير أقدار أهل ودادها وتصغير التحقير لا التحبيب لأندادها ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقايس دماء الشهداء وإمداد مدادها وتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها وتتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها والليالى من دثارها والأعداء من حدادها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جماعة أهله ومن خلف من ابنائها وسلف من أجدادها ورضى الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فإن أمير المؤمنين لما أكسبه الله ميراث النبوةما كان لجده ووهبه من الملك السليمانى ما لا ينبغى لأحد من بعده وعلمه منطق الطير مما يتحمله حمائم البطائق من بدائع البيان وسخر له من البريد على متن الخيل ما سخره من الريح لسليمان وآتاه الله من خاتم الأنبياء ما امتد به أبوه سليمان وتصرف واعطاه من الفخار به ما أطاعه كل مخلوق ولم يتخلف وجعل له من لباس

بنى العباس ما يقضى له سواده بسودد الأجداد وينفض على ظل الهدب ما فضل به عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ويمد ظله على الأرض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد وهو في ليلة السجود وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد يديم الابتهال إلى الله تعالى في توفيقه والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه ويبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأهم من مصالح الإسلام ومصالح الأعمال فيما تتحلى به الأيام ويقدم التقوى امامه ويقرر عليها احكامه ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ومن لا يحمل أمره طائعا على العين يحمله غصبا على الرأس ويعجل أمير المؤمنين بما استقر به النفوس ويرد به كيد الشيطان وإنه يؤس ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غنى عن

هذا ولكنه يسوس وأمير المؤمنين يشهد الله عليه وخلقه بأنه أقر ولى كل أمر من ولاة أمور الإسلام على حاله واستمر به في مقيله تحت كنف ظلاله على اختلاف طبقات ولاة الأمور وطرقات الممالك والثغور برا وبحرا وسهلا ووعرا شرقا وغربا بعدا وقربا وكل جليل وحقير وقليل وكثير وصغير وكبير ومالك ومملوك وأمير وجندى يبرق له سيف شهير ورمح ظهير ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب ومن له تدقيق في انشاء وتحقيق في حساب ومن يتحدث في بريد وخراج ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج ومن في التدريس والمدارس والربط والزوايا والخوانق ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق وسائر أرباب المراتب واصحاب الرواتب ومن له من مال الله رزق مقسوم وحق مجهول أو معلوم واستمر كل امرىء على ما هو عليه حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه ومن ازداد تأهيله زاد تفضيله وإلا فأمير المؤمنين لا يريد إلا وجه الله ولا يحابى احدا في دين الله ولا يحابى في حق فإن المحاباة في الحق مداجاة على المسلمين وكل ما هو مستمر إلى الآن مستقر على حكم الله مما فهمه الله له وفهمه سليمان لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا فى بعضه تغيرا شكرا لله على نعمه وهكذا

يجازى من شكر ولا يكدر على احد موردا نزه الله نعمه الصافية به عن الكدر ولا يتأول في ذلك متؤول إلا من جحد النعمة وكفر ولا يتعلل متعلل فإن أمير المؤمنين نعوذ بالله ونعيذ ايامه الغرر من الغير وامر أمير المؤمنين أعلى الله أمره أن يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الافاق وان يضرب باسمهما النقود وتسير الطلاق ويوشح بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ويتداوله كل بعيد وقريب ومختصره أن الله امر بأوامر ونهى عن نواه وهو رقيب وسيفرغ الألباء لها السجايا ويفرغ الخطباء لها شعوب الوصايا وتتكلم بها المزايا ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا ويسمر بها السمار ويترنم بها الحادى والملاح ويرق شجوها بالليل المقمر ويرقم على جبين الصباح وتعظ بها مكة بطحاءها ويحيا بحدائها قفاه ولقنها كل أب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب أباه وهو لكم أياهاالناس من أمير المؤمنين من سدد عليكم بينه وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل الله من الحكمة والموعظة الحسنة ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا ما قبل الله أعمالها ولا أمسك بها البحر ودحا الأرض وارسى جبالها ولا اتفقت الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها وأخذها دون بنى ابيه ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح الله لكم من أبواب الأرزاق وأسباب الارتزاق واجراكم على وفاقكم وعلمكم مكارم الأخلاق واجرأكم على عوائدكم ولم يمسك خشية انفاق ولم يبق لكم على أمير المؤمنين إلا ان يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل بما يسعد به من يحيى اطال الله بقاء أمير المؤمنين من بعده ويزيد على ما تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد وينيم الرعايا بعدله الشامل

في مهاد وأمير المؤمنين يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام ويشمل بره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ويجهر السبيل على ضالة ويرجو ان يعود على حاله الأول في سالف الأيام ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام ويقيم بعدله قبور الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أينما كانوا واكثرهم في الشام والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سننها وقديم سننها وستزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم إليه وفيما يتسلم من بلاد الكفار ويسلم منهم على يديه واما الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بمأموره المقلد عنه جميع ما وراء سريره وامير المؤمنين قد وكل منه خلد الله ملكه وسلطانه عينا لا تنام وقلد سيفا لو اغفت بوارقه ليلة واحدة عن الأعداء سلت خياله عليهم الأحلام وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدى وقد قدم الوصية بأن يوالى غزو العدو المخذول برا وبحرا ولا يكف عمن ظفر به منهم قتلا ولا أسرا ولا يفك إغلالا ولا إصرا ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقبانا وفي البحر غربانا تحمل كل منهما من كل فارس صقرا ويحمى الممالك ممن يتخرق اطرافها بإقدام ويتحول أكنافها بأقدام وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج إليه من آلات القتال وأمهات الممالك التى هى مرابط البنود ومرابط الأسود والأمراء والعساكر والجنود وترتيبهم في الميمنة والميسر والجناح الممدود ويتفقد احوالهم بالعرض بما لهم من خيل تعقد ما بين السماء والأرض وما لهم من زرد موضون وبيض مسها ذهب ذائب فكانت كأنها بيض مكنون وسيوف وقوابض ورماح بسبب دوامها من الدماء خواضب وسهام تواصل القسى وتفارقها فتحن حنين مفارق وتزمجر القوس زمجرة مغاضب وهذه جملة أراد امير المؤمنين بها إطابة قلوبكم وإطالة ذيل

التطويل على مطلوبكم ودماءكم واموالكم واعراضكم في حماية إلا ما اباح الشرع المطهر

ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر واما جؤيئات الأمور فقد علمتم ان من بعد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكرى وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة وإبداء الطاعة بسريره صحيحة فقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رقه ولزمه حكم بيعته وألزم طائره في عنقه وسيعلم كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليما ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤته أجرا عظيما هذا قول أمير المؤمنين وقال وهو يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الأعمال وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد وما سوى هذا فجور لا يشهد به عليه ولا يشهد وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ويستعذ به من الإهمال ويسأل أن يمده لما يحب من الآمال ولا يمد له حبل الإهمال ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان والحمد لله وهو من خلق احمد وقد آتاه الله ملك سليمان والله يمتع أمير المؤمنين بما وهبه ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه ولا يزال على سدة العلياء قعوده ولدست الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أودى مهديه ولا رشيده وقال ابن حجر في الدرر كان أولا لقب المستنصر ثم لقب الحاكم وذكر الشيخ زين الدين العراقى انه سمع الحديث على بعض المتأخرين وانه حدث مات في الطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين ومن الحوادث في أيامه في عام ولايته خلع السلطان المنصور لفساده وشربه الخمور حتى قيل أنه جامع زوجات أبيه ونفى إلى قوص وقتل بها فكان ذلك من الله مجازاة لما فعله والده مع الخليفة وهذه عادة الله مع من يتعرض لأحد من آل العباس بأذى وتسلطن اخوه الملك الأشرف كجك ثم خلع من عامه وولى اخوه أحمد ولقب بالناصر وعقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ

تقى الدين السبكى قاضى الشام وكان قد حضر معه مصر وفي سنة ثلاث وأربعين خلع الناصر أحمد وولى اخوه إسماعيل ولقب بالصالح وفي سنة ست واربعين مات الصالح فقلد الخليفة أخاه شعبان ولقب بالكامل وفي سنة سبع واربعين قتل الكامل وولى اخوه أمير حاج ولقب بالمظفر وفي سنة ثمان وأربعين خلع المظفر وولى اخوه حسن ولقب بالناصر وفي سنه تسع واربعين كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله وفي سنة اثنتين وخمسين خلع الناصر وولى اخوه صالح ولقب الملك الصالح وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون وجعل شيخو أتابكه قال في ذيل المسالك هو اول من سمى بمصر الأمير الكبير وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام الحافظ أبو الحجاج المزى والتاج عبدالباقى اليمنى والشمس ابن عبدالهادى وابو حيان وابن الوردى وابن اللبان وابن عدلان والذهبي وابن فضل الله وابن قيم الجوزية والفخر المصري شيخ الشافعية بالشام والتاج المراكشى وآخرون المعتضد بالله أبو الفتح المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله بويع بالخلافة بعد موت أخيه في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعهد منه وكان خيرا متواضعا محبا لأهل العلم مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة

ومن الحوادث في أيامه في سنة اربع وخمسين قال ابن كثير وغيره كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاث أزواج ولا يقدرون عليها يظنون أن بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلا قليلا إلى ان برز منه ذكر قدر اصبع وأنثيان وكتب بذلك في محاضر وفي سنة خمس وخمسين خلع الملك الصالح واعيد الناصر حسن وفي سنة ست وخمسين رسم بضرب فلوس جدد على قدر الدينار ووزنه وجعل كل أربعة وعشرين فلسا بدرهم وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم ومن هنا يعرف مقدار الدراهم النقرة التى جعلها شيخو وصرغتمش لأرباب الوظائف في مدرستيهما فمرادهما بالدرهم ثلثا رطل من الفلوس وفي سنة اثنتين وستين قتل الناصر حسن وولى محمد بن أخيه المظفر ولقب بالمنصور وممن مات في أيام المعتضد من الأعلام الشيخ تقى الدين السبكى والسمين صاحب الإعراب والقوام الإتقانى والبهاء ابن عقيل والصلاح العلائى والجمال ابن هشام والحافظ مغلطاى وابو أمامة ابن النقاش وآخرون المتوكل على الله أبو عبدالله المتوكل على الله أبو عبدالله محمد بن المعتضد والد خلفاء العصر ولى الخلافة بعهد أبيه بعد موته في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة وامتدت أيامه خمسا واربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس كما سنذكره وأعقب أولادا كثيرة يقال إنه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة

ذكورا وإناث وولى الخلافة منهم خمسة ولا نظير لذلك المستعين العباس والمعتضد داود والمستكفى سليمان والقائم حمزة والمستنجد يوسف وبقى من أولاده الآن واحد يسمى موسى وما أشبهه بإبراهيم بن المستكفى والموجود الان من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا أكثر الله عددهم وزاد مددهم ومن الحوادث في أيامه في سنة اربع وستين خلع المنصور محمد وولى شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولقب الأشرف وفي سنة ثلاث وسبعين احدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بأمر السلطان وهذا أول ما أحدث وقال في ذلك ابو عبدالله بن جابر الأعمى النحوى صاحب شرح الألفية المشهورة بالأعمى والبصير % جعلوا لأبناء الرسول علامة % إن العلامة شأن من لم يشهر % % نور البنوة في كريم وجوههم % يغنى الشريف عن الطراز الأخضر % وفي هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية تمرلنك الذي اخرب البلاد وأباد العباد واستمر يعثو في الأرض بالفساد إلى ان هلك إلى لعنة الله في سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وفيه قيل شعر % لقد فعلوا فعل التتار ولو رأوا % فعال تمرلنك إذا كان أعظما % % وطائره في جلق كان أشأما % وكان اصله من ابناء الفلاحين ونشا يسرق ويقطع الطريق ثم انضم إلى خدمة صاحب خيل السلطان ثم قرر مكانه بعد موته وما زال يترقى إلى أن وصل إلى ما وصل قيل لبعضهم في أي سنة كان ابتداء خروج تمرلنك قال في سنة عذاب يعنى بحساب الجمل ثلاث وسبعين وسبعمائة وفي سنة خمس وسبعين ابتدئت قراءة البخارى في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ورتب الحافظ زين الدين العراقى قارئا ثم اشرك معه الشهاب العريانى يوما بيوم

وفي سنة سبع وسبعين غلا البيض بدمشق فبيعت الواحدة بثلاث دراهم من حساب ستين دينار وفي سنة ثمان وسبعين قتل الأشرف شعبان وتسلطن ابنه على لقب المنصور وذلك أن الأشرف سافر إلى الحج ومعه الخليفة والقضاة والأمراء فخامر عليه الأمراء وفر راجعا إلى القاهرة ورجع الخليفة ومن رجع وأرادوا أن يسلطنوا الخليفة فامتنع فسلطنوا ابن الأشرف واختفى الأشرف إلى أن ظفروا به فخنقوه في ذى القعدة وفيها خسف الشمس والقمر جميعا وطلع القمر خاسفا في شعبان في ليلة أربع عشرة وكسفت الشمس يوم الثامن والعشرين منه وفي سنة تسع وسبعين في رابع ربيع الأول طلب أبيك البدرى أتابك العساكر زكرياء بن إبراهيم بن المستمسك الخليفة الحاكم فخلع عليه واستقر خليفة بغير مبايعة ولاإجماع ولقب المستعصم بالله ورسم بخروج المتوكل إلى قوص لأمور حقدها عليه وقعت منه عند قتل الأشرف فخرج وعاد من الغد إلى بيته ثم عاد إلى الخلافة في العشرين من الشهر وعزل المستعصم فكانت مدة خلافته خمسة عشر يوما والمتوكل هو سادس الخلفاء الذين سكنوا مصر واقيموا بعد انقطاع الخلافة مدة فحصل له هذا الخلع توفية بالقاعدة وفي سنة اثنتين وثمانين ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماما قام يصلى وان شخصا عبث به في صلاته فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هناك فعجب الناس من هذا الأمر وكتب بذلك محضر وفي صفر سنة ثلاث وثمانين مات المنصور وتسلطن أخوه حاجى بن الأشرف ولقب الصالح

وفي رمضان سنة اربع وثمانين خلع الصالح وتسلطن برقوق ولقب الظاهر وهو أول من تسلطن من الجراكسة وفي رجب سنة خمس وثمانين قبض برقوق على الخليفة المتوكل وخلعه وحبسه بقلعة الجبل وبويع بالخلافة محمد بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم ولقب الواثق بالله فاستمر في الخلافة إلى أن مات يوم الأربعاء سابع عشرى شوال سنة ثمان وثمانين فكلم الناس برقوقا فى إعادة المتوكل إلى الخلافة فلم يقبل واحضر اخا محمد زكرياء الذي كان ولى تلك الأيام اليسيرة فبايعه ولقب المستعصم بالله واستمر إلى سنة إحدى وتسعين فندم برقوق على ما فعل بالمتوكل واخرج المتوكل من الحبس واعاده إلى الخلافة وخلع زكرياء واستمر زكرياء بداره إلى أن مات مخلوعا واستمر المتوكل في الخلافة إلى أن مات وفي جمادى الآخرة من السنة أعيد الصالح حاجى إلى السلطنة وغير لقبه المنصور وحبس برقوق بالكرك وفي هذه السنة في شعبان احدث المؤذنون عقب الأذان الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم قف على مبدأ الزيادة في الأذان وهذا أول ما أحدث وكان الآمر به المحتسب نجم الدين الطنبذى وفي صفر سنة اثنتين وتسعين اخرج برقوق من الحبس وعاد إلى ملكه فاستمر إلى أن مات في شوال سنة إحدى وثمانمائة فإقيم مكانه في السلطنة ابنه فرج ولقب الناصر فاستمر إلى سادس ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة فخلع

من الملك واقيم اخوه عبدالعزيز ولقب المنصور ثم خلع في رابع جمادى الآخر من السنة واعيد الناصر فرج وفى هذه السنة مات الخليفة المتوكل ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة وممن مات في أيام المتوكل من الأعلام الشمس ابن مفلح عالم الحنابلة

والصلاح الصفدى والشهاب ابن النقيب والمحب ناظر الجيش والشريف الحسينى الحافظ والقطب التختانى وقاضى القضاة عز الدين بن جماعة والتاج ابن السبكى واخوه الشيخ بهاء الدين والجمال الأسنوى وابن الصائغ الحنفى والجمال ابن نبانه والعفيف اليافعى والجمال الشريشى والشرف ابن قاضى الجبل والسراج الهندى وابن ابى حجلة والحافظ تقى الدين بن رافع والحافظ عماد الدين بن كثير والعتابى النحوى والبهاء أبو البقاء السبكى والشمس بن خطيب بيرود والعماد الحسبانى والبدر بن حبيب والضياء القرمى والشهاب الأذرعى والشيخ أكمل الدين والشيخ سعد الدين التفتازانى والبدر الزركشى والسراج ابن الملقن والسراج البلقينى والحافظ زين الدين العراقى الواثق بالله عمر الواثق بالله عمر بن إبراهيم بن ولى العهد المستمسك بن الحاكم بويع بالخلافة بعد خلع المتوكل في شهر رجب سنة خمس وثمانين واستمر إلى أن مات يوم الأربعاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وثمانين المستعصم بالله زكرياء المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن المستمسك بويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ثم خلع منها سنة إحدى وتسعين وثمانمائة واستمر بداره مخلوعا إلى أن مات وأعيد المتوكل كما تقدم المستعين بالله أبو الفضل المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل امه أم ولد تركية اسمها باى خاتون وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في رجب سنة ثمان وثمانمائة والسلطان يومئذ الملك

الناصر فرج فلما خرج الناصر لقتال شيخ المحمودى فلما انكسر وهزم وقتل بويع الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة وذلك في المحرم سنة خمس عشرة ولم يفعل ذلك إلا بعد شدة وتصميم وتوثق من الأمراء بالأيمان وعاد إلى مصر والأمراء في خدمته وتصرف بالولاية والعزل وضربت السكة باسمه ولم يغير لقبه وعمل شيخ الاسلام ابن حجر فيه قصيدته المشهورة وهى هذه % الملك فينا ثابت الأساس % بالمستعين العادل العباسى % % رجعت مكانة آل عم المصطفى % محلها من بعد طول تناس % % ثانى ربيع الآخر الميمون في % يوم الثلاثا حف بالأعراس % % بقدوم مهدى الأنام أمينهم % مأمون غيب طاهر الأنفاس % % ذو البيت طاف به الرجال فهل يرى % من قاصد متردد في الياس % % فرع نما من هاشم في روضة % زاكى المنابت طيب الأغراس % % بالمرتضى والمجتبى والمشترى % للحمد والحالى به والكاسى % % من أسرة أسروا الخطوب وطهروا % مما يغيرهم من الأدناس % % أسد إذا حضروا الوغى وإذا خلوا % كانوا بمجلسهم كظى كناس % % مثل الكواكب نوره ما بينهم % كالبدر أشرق في دجى الأغلاس % % وبكفه عند العلامة آية % قلم يضيء إضاءة المقباس % % فلبشره للوافدين مباسم % تدعى وللأجلال بالعباس % % فالحمد لله لمعز لدينه % من بعد ما قد كان في إبلاس % % بالسادة الأمراء أركان العلى % من بين مدرك ثأره ومواس % % نهضوا بأعباء المناقب وارتقوا % في منصب العليا الأشم الراسى % % تركوا العدى صرعى بمعترك الردى % فالله يحرسهم من الوسواس % % وإمامهم بجلاله متقدم % تقديم بسم الله في القرطاس % % لولا نظام الملك في تدبيره % لم يستقم في الملك حال الناس %

% كم من أمير قبله خطب العلى % وبجهده رجعته بإفلاس % % حتى إذا جاء المعالى كفؤها % خضعت له من بعد فرط شماس % % طاعت له أيدى الملوك وأذعنت % من نيل مصر أصابع المقياس % % فهو الذي قد رد عنا البؤس فى % دهر به لولاه كل الباس % % وأزال ظلما عم كل معمم % من سائر الأنواع والأجناس % % بالخاذل المدعو ضد فعاله % بالناصر المتناقص الآساس % % كم نعمة لله كانت عنده % فكأنها في غربة وتناس % % ما زال سر الشر بين ضلوعه % كالنار أو صحبته للأرماس % % كم سن سيئة عليه أثامها % حتى القيامة ماله من آس % % منكرا بنى أركانه لكنها % للغدر قد بنيت بغير أساس % % كل امرىء ينسى ويذكر تارة % لكنه للشر ليس بناس % % أملى له رب الورى حتى إذا % أخذوه لم يفلته مر الكاس % % وادالنا منه المليك بمالك % أيامه صدرت بغير قياس % % فاستبشرت أم القرى والأرض من % شرق وغرب كالعذيب وفاس % % آيات مجد لا يحاول حجدها % في الناس غير الجاهل الخناس % % ومناقب العباس لم تجمع سوى % لحفيده ملك الورى العباس % % لا تنكروا للمستعين رئاسة % في الملك من بعد الجحود الناسى % % فبنو أمية قد أتى من بعدهم % في سالف الدنيا بنى العباس % % وأتى

أشج بنى أمية ناشرا % للعدل من بعد المبير الخاسى % % مولاى عبدك قد أتى لك راجيا % منك القبول فلا يرى من باس % % لولا المهابة طولت أمداحه % لكنها جاءته بالقسطاس % % فأدم رب الناس عزك دائما % بالحق محروسا برب الناس % % وبقيت تستمع المديح لخادم % لولاك كان من الهموم يقاسى %

% عبدصفا ودا وزمزم حاديا % وسعى على العينين قبل الراس % % أمداحه في آل بيت محمد % بين الورى مسكية الأنفاس % ولما وصل المستعين إلى مصر سكن القلعة وسكن شيخ الاصطبل وفوض إليه المستعين تدبير المملكة بالديار المصرية ولقب نظام الملك فكانت الأمراء إذا فرغوا من الخدمة بالقصر نزلوا في خدمة الشيخ إلى الاصطبل فأعيدت الخدمة عنده ويقع عنده الإبرام والنقض ثم يتوجه داوداره إلى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ثم إنه تقدم إليه بأن لا يمكن الخليفةمن كتابة العلامة إلا بعد عرضها عليه فاستوحش الخليفة وضاق صدره وكثر قلقه فلما كان في شعبان سأل شيخ الخليفة أن يفوض إليه السلطنة على العادة فأجاب بشرط ان ينزل من القلعة إلى بيته فلم يوافق شيخ على ذلك وتغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد وصرح بخلع المستعين وبايع الخليفة وبايع بالخلافة اخاه داود ونقل المستعين من القصر إلى دار من دور القلعة ومعه أهله ووكل به من يمنعه من الاجتماع بالناس فبلغ ذلك نوروز نائب الشام فجمع القضاة والعلماء واستفتاهم عما صنعه المؤيد من خلع الخليفة وحصره فأفتوا بأن ذلك لا يجوز فأجمع على قتال المؤيد فخرج إليه المؤيد في سنة سبع عشرة وثمانمائة وسير المستعين إلى الإسكندرية فاعتقل بها إلى ان تولى ططر فأطلقه واذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار سكنى الإسكندرية لأنه استطابها وحصل له مال كثير من التجارة فاستمر إلى أن مات بها شهيدا بالطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومن الحوادث الغريبة في أيامه في سنة اثنتى عشرة كثر النيل في أول يوم من مسرى وبلغت الزيادة اثنتين وعشرين ذراعا وفي سنة أربع عشرة أرسل غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه ملك الهند يطلب التقليد من الخليفة وارسل إليه مالا وللسلطان هدية

وممن مات في خلافته من الأعلام الموفق الناشرى شاعر اليمن ونصر الله البغدادى عالم الحنابلة والشمس المعيد نحوى مكة والشهاب الحسبانى والشهاب الناشرى فقيه اليمن وابن الهائم صاحب الفرائض والحساب وابن العفيف شاعر اليمن والمحب ابن الشحنة عالم الحنفية والدفاضى العسكر المعتضد بالله أبو الفتح المعتضد بالله ابو الفتح داود بن المتوكل أمه أم ولد تركية أسمها كزل بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة والسلطان حينئذ المؤيد فاستمر إلى أن مات في محرم سنة أربع وعشرين فقلد السلطنة ابنه أحمد ولقب المظفر وجعل نظامه ططر ثم قبض عليه ططر في شعبان فيلده الخليفة السلطنة ولقب الظاهر ثم مات ططر من عامه في ذى الحجة فقلد ابنه محمدا ولقب الصالح وجعل نظامه برسباى ثم وثب برسباى على الصالح فخلعه وقلده الخليفة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين فاستمر إلى أن مات في ذى الحجة سنة إحدى واربعين فقلد ابنه يوسف ولقب العزيز وجعل جقمق نظامه فوثب جقمق على العزيز وقبض عليه في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين فقلده الخليفة ولقب الظاهر فمات الخليفة في أيامه وكان المعتضد من سروات الخلفاء نبيلا ذكيا فطنا يجالس العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه جوادا سمحا إلى الغاية مات في يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس واربعين وقد قارب السبعين قال ابن حجر واخبرتنى ابنة أخيه أنه عاش ثلاث وستين ومن الحوادث الغريبة في أيامه سنة ست عشرة تولى الحبسة صدر الدين ابن الادمى مضافة للقضاة وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة

وفي سنة تسع عشرة وليها منكلى بغا وهو أول من ولى الحسبة من الأتراك في الدنيا وفيها ظهر بمصر شخص يدعى انه يصعد إلى السماء ويشاهد البارى تعالى ويكلمه واعتقده جمع العوام فعقدله مجلس واستتيب فلم يتب فعلق المالكى الحكم بقتله على شهادة اثنين بأنه حاضر العقل فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختل العقل فقيد في البيمارستان وفي سنة إحدى وعشرين ولدت ببلبيس جاموسة مولودا برأسين وعنقين واربعة أيدى وسلسلتى ظهر ودبر واحد ورجلين اثنين لا غير وفرج واحد أنثى والذنب المفروق باثنين فكانت من بديع صنع الله وفي سنة اثنتين وعشرين وقع زلزلة عظيمة بارزنكان وهلك بسببها عالم كثير وفيها تمت المدرسة المؤيدية وجعل شيخها الشمس ابن المديري وحضر السلطان درسه وباشر ولد السلطان إبراهيم فرش سجادة الشيخ بيده وفي سنة ثلاث وعشرين ذبح جمل بغزة فأضاء لحمه كما

يضيء الشمع ورمى منه قطعة لكلب فلم يأكلها وفي سنة اربع وعشرين استمرت زيادة النيل إلى آخر هاتور وغرق بذلك زرع كثير وفي سنة خمس وعشرين ولدت فاطمة بنت القاضى جلال الدين البلقينى ولدا خنثى له ذكر وفرج وله يدان زائدتان في كفه وفي رأسه قرنان كقرنى الثور ومات بعد ساعة وفيها زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة وفيها كثر النيل في ثامن عشرى أبيب وممن مات في ايامه من الأعلام الشهاب ابن حجة فقيه الشام والبرهان

ابن رفاعة الأديب والزين أبو بكر المراغى فقيه المدينة ومحدثها والحسام الأبيوردى والجمال ابن ظهيرة حافظ مكة والمجد الشيرازى صاحب القاموس وخلف النحريرى من كبار المالكية والشمس ابن القبانى من كبار الحنفية وابو هريرة بن النقاش والوانوغى والأستاذ عز الدين بن جماعة وابن هشام العجمى والصلاح الأقفهسى والشهاب العزى أحد أئمة الشافعية والجلال البلقينى والبرهان البيجورى والولى العراقي والشمس ابن المديرى والشرف القبانى والعلاء بن المعلى والبدر ابن الدماميني والتقى الحصنى شارح أبى شجاع والهروى والسراج قارىء الهداية والنجم ابن حجى والبدر البشكتى والشمس البرماوى والشمس الشطنوفى والتقى الفاسى والزين القمنى والنظام يحيى السيرافى وقراء يعقوب الرومى والشرف ابن مفلح الحنبلى والشمس ابن القشيرى وابن الجزرى شيخ القراءات وابن خطيب الدهشة والشهاب الإبشيطى والزين التفهنى والبدر القدسي والشرف بن المقرى عالم اليمن صاحب عنوان الشرف والتقى ابن حجة الشاعر والجلال المرشدى نحوى مكة والهمام الشيرازى تلميذ الشريف والجمال ابن الخياط عالم اليمن والبوصيرى المحدث والشهاب ابن الحمرة والعلاء البخارى والشمس البساطى والجمال الكازرونى عالم طيبة والمحب البغدادى الحنبلى والشمس ابن عمار وآخرون المستكفى بالله أبو الربيع المستكفى بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل ولى الخلافة بعهد من أخيه وهو شقيقه وكتب له والدى رحمه الله نسخة العهد هذه صورتها هذا ما أشهد به على نفس الشريفة حرسها الله تعالى وحماها وصانها من الأكدار ورعاها سيدنا ومولانا المواقف الشريفة الطاهرة الزكية الإمامية الأعظمية العباسية النبوية المعتضدية أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ووارث

الخلفاء الراشدين المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود أعز الله به الدين وامتع ببقائه الإسلام والمسلمين إنه عهد إلى شقيقه المقر العالى المولوى الأصيلى العريقى الحسيبى النسيبى الملكى سيدى ابى الربيع سليمان المستكفى بالله عظم الله شأنه بالخلافة المعظمة وجعله خليفة بعده ونصبه إمام على المسلمين عهدا شرعيا ومعتبرا مرضيا نصيحة للمسلمين ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته وكفايته واهليته واستحقاقه بحكم أنه اختبر حاله وعلم طويته وأن الذى يدين الله به أنه أتقى ثقة ممن رآه وانه لا يعلم صدر منه ما ينافى استحقاقه لذلك وأنه إن ترك الأمر هملا من غير تفويض للمشار إليه أدخل إذ ذاك المشقة على أهل الحل والعقد في اختيار من ينصبونه للأمامة ويرتضونه لهذا الشأن فبادر إلى هذا العهد شفقة عليهم وقصدا لبراءة ذمتهم ووصول الأمر إلى من هو أهله لعلمه أن العهد كان غير محوج إلى رضا سائر أهله وواجب على من سمعه وتحمل ذلك منه أن يعمل به ويأمربطاعته عن الحاجة إليه ويدعو الناس إلى الانقياد له فسجل ذلك عليه من حضره حسب إذنه الشريف وسطر عن أمره قبل ذلك سيدى المستكفى أبو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شأنه قبولا شرعيا وكان من صلحاء الخلفاء صالحا دينا عابدا كثير التعبد والصلاة والتلاوة كثير الصمت منعزلا عن الناس وحسن السيرة وقال في حقه أخوه المعتضد لم أر على أخى سليمان منذ نشأ كبيرة وكان الملك الظاهر يعتقده ويعرف له حقه وكان والدى إمام له وكان عنده بمكان رفيع خصيصا به محترما عنده جدا وأما نحن فلم ننشأ إلا في بيته وفضله وآله خير آل دينا وعبادة وخيرا وما أظن أنه وجد على ظهر الأرض خليفة بعد آل عمر

ابن عبدالعزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة مات في يوم الجمعة سلخ ذى الحجة سنة اربع وخمسين وله ثلاث وستون سنة ولم يعش والدى بعده إلا أربعين يوما ومشى السلطان في جنازته إلى تربته وحمل نعشه بنفسه مات في ايامه من الأعلام التقى المقريزى والشيخ عبادة وابن كميل الشاعر والوفائى والقاياتى وشيخ الإسلام ابن حجر القائم بأمر الله أبو البقاء القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل بويع بالخلافة بعد أخيه ولم يكن عهد إليه ولا إلى غيرة وكان شهما صارما أقام أبهة الخلافة قليلا وعنده جبروت بخلاف سائر إخوته ومات في أيامه الملك الظاهر جقمق في أول سنة سبع وخمسين فقلد ابنه عثمان ولقب المنصور فمكث شهرا ونصفا ثم وثب إينال على المنصور

فقبض عليه فقلده الخليفة في ربيع الأول ولقب الأشرف ثم وقع بين الخليفة والأشرف بسبب ركوب الجند عليه فخلعه من الخلافة في جمادى سنة تسع وخمسين وسيره إلى الاسكندرية واعتقله بها إلى أن مات بها في سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقه المستعين والعجب أن هذين الأخوين الشقيقين خلعا من الخلافة واعتقل كل منهما بالإسكندرية ودفنا معا مات في أيام القائم من الأعلام والدى والعلاء القلقشندى المستنجد بالله خليفة العصر أبو المحاسن المستنجد بالله خليفة العصر أبو المحاسن يوسف بن المتوكل على الله ولى الخلافة بعد خلع أخيه والسلطان يومئذ الأشرف إينال فمات في سنة خمس وستين فقلد ابنه أحمد ولقب المؤيد ثم وثب خشقدم على المؤيد فقبضه في رمضان من عامه فقلده ولقب الظاهر واستمر إلى أن مات في ربيع

الأول سنة اثنتين وسبعين فقلد بلباى ولقب الظاهر فوثب عليه الجند بعد شهرين وقبضوه فقلد تمربغا ولقب الظاهر فوثبوا عليه ايضا بعد شهرين فقلد سلطان العصر قايتباى ولقب الأشرف فاستقر له الملك وسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سار بها قبله ملك من عهد الناصر محمد بن قلاوون بحيث أنه سافر من مصر إلى الفرات في طائفة يسيرة جدا من الجند ليس فيهم احد من المقدمين الألوف ومن سيرته الجميلة أنه لم يول بمصر صاحب وظيفة دينية كالقضاة والمشايخ والمدرسين إلا أصلح الموجودين لها بعد طول تروية وتمهلة بحيث تستمر الوظيفة الشاغرة الأشهر العديدة ولم يول قاضيا ولا شيخا بمال قط وكان الظاهر خشقد أول من قلد قدم النائب الشام حاتم لموافقة كانت بينه وبين العسكر في سلطنته فأمر الظاهر حين بلغه قدومه بطلوع الخليفة والقضاة الأربعة والعسكر إلى القلعة وارسل إلى نائب الشام يأمره بالانصراف فانصرف بعد شروط شرطها وعاد القضاة والعسكر إلى منازلهم واستمر الخليفة ساكنا بالقلعة ولم يمكنه الظاهر من عوده إلى سكنه المعتاد فاستمر بها إلى أن مات يوم السبت رابع عشرى المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بعد تمرضه نحو عامين بالفالج وصلى عليه بالقلعة ثم أنزل مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي وقد بلغ التسعين أو جاوزها المتوكل على الله أبو العز المتوكل على الله أبو العز عبدالعزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله ولد سنة تسع عشرة وثمانمائة وأمه بنت جندى اسمها حاج ملك ولم يل والده بالخلافة ونشأ معظما مشارا إليه محبوبا للخاصة والعامة بخصاله الجميلة ومناقبه الحميدة وتواضعه وحسن سمعته وبشاشته لكل أحد وكثرة أدبه

وله اشتغال بالعلم قرأ على والدى وغيره وزوجه عمه المستكفى بابنته فأولدها ولدا صالحا فهو ابن هاشمى بين هاشميين ولما طال مرض عمه المستنجد عهد إليه بالخلافة فلما مات بويع بها بيوم الاثنين سادس عشر المحرم بحضرة السلطان والقضاة والأعيان وكان اراد أولا التلقيب بالمستعين بالله ثم وقع التردد بين المستعين والمتوكل واستقر الأمر على المتوكل ثم ركب من القلعة إلى منزله المعتاد والقضاة والمباشرون والأعيان بين يديه وكان يوما مشهودا ثم عاد من آخر يومه إلى القلعة حيث كان المستنجد ساكنا بها ففى هذه السنة سافر السلطان الملك الأشرف قاتيباى إلى الحجاز برسم الحج وذلك امر لم يعهد الملك أكثر من مائة سنة فبدأ بزيارة المدينة الشريفة وفرق بها ستة آلآف دينار ثم قدم مكة وفرق بها خمسة آلآف دينار وقرر بمدرسته التى أنشأها بمكة شيخا وصوفية وحج وعاد وزينت البلد لقدومه أياما وفي سنة خمس وثمانين خرج عسكر من مصر عليهم الدوادار يشبك إلى جهة العراق فالتقوا مع عسكر يعقوب شاه بن حسن بقرب الرها فكسر المصريون وقتل منهم من قتل وأسر الباقون وأسر الدوادار وضرب عنقه وذلك في النصف الثانى من رمضان والعجب ان الدوادار هذا بينه وبين قاضى الحنفية شمس الدين الأمشاطى بمصر وقعة كبيرة وكل منهما يود زوال الآخر فكان قتل الدوادار بشاطىء الفرات وموت الأمشاطي بمصر في يوم واحد وفي سنة ست وثمانين زلزلت الأرض يوم الأحد بعد العصر سابع عشر المحرم زلزلة صعبة ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجا ودامت لحظة لطيفة ثم سكنت فالحمد لله على سكونها وسقط بسببها شرافة من المدارس الصالحية على قاضى القضاة الحنفى شرف الدين بن عيد فمات فإنا لله وإنا إليه راجعون

وفي هذه السنة في ربيع الأول قدم إلى مصر من الهند رجل يسمى خاكى زعم أن عمره مائتان وخمسون سنة فاجتمعت به فإذا هو رجل قوى لحيته كلها سوداء ولا يجوز العقل أن عمره سبعون سنة فضلا عن أكثر من ذلك ولم يأت بحجة على ما يدعيه والذى اقطع به أنه كاذب ومما سمعته منه أنه قال إنه حج وعمره ثمان عشرة سنة ثم رجع إلى الهند فسمع بذهاب التتار إلى بغداد ليأخذوها وإنه قدم إلى مصر

زمن السلطان حسن قبل أن يبنى مدرسته ولم يذكر شيئا يستوضح به على قوله وفيها ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان ملك الروم وأن ولديه اقتتلا على الملك فغلب أحدهما واستقر في المملكة وقدم الآخر إلى مصر فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأنزله ثم توجه من الشام إلى الحجاز برسم الحج وفي شوال قدمت كتب من المدينة الشريفة تتضمن أن في ليلة الثالث عشر رمضان نزلت صاعقة من السماء على المئذنة فأحرقتها وأحرقت سقوف المسجد الشريف وما فيه من خزائن وكتب ولم يبق سوى الجدران وكان أمرا مهولا مات يوم الأربعاء سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة وعهد بالخلافة لابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله وفي آخر ما تيسر في هذا التاريخ وقد اعتمدت في الحوادث على تاريخ الذهبي وانتهى إلى سنة سبعمائة ثم على المسالك وذيله إلى سنة ثلاث وسبعين ثم على أنباء الغمر لابن حجر إلى سنة خمسين وثمانمائة وأما غير الحوادث فطالعت عليه تاريخ بغداد للخطيب عشر مجلدات وتاريخ دمشق لابن عساكر سبعة وخمسين مجلدا والأوراق للصولى سبع مجلدات والطيوريات ثلاث مجلدات والحلية لأبى نعيم تسع مجلدات والمجالسة

الدينورى والكامل للمبرد مجلدين وامالى ثعلب مجلد وغير ذلك وقد عمل بعض الأقدمين أرجوزة في اسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها لى ايام المعتمد وقد عملت قصيدة أحسن منها ورأيت ان أختم بها هذا الكتاب وهى هذه % الحمد لله حمدا لا نفاد له % وإنما الحمد حقا رأس من شكرا % % ثم الصلاة على الهادى النبى ومن % سادت بنسبته الأشراف والكبرا % % إن الأمين رسول الله مبعثه % لأربعين مضت فيما رووا عمرا % وكان هجرته فيها لطيبتة % بعد الثلاثة أعواما تلى عشرا % % ومات في إحدى بعد عشرتها % فيا مصيبة أهل الأرض حين سرى % % وقام من بعده الصديق مجتهدا % وفي ثلاثة عشر بعده قبرا % % وهو الذي جمع القرآن في صحف % وأول الناس من سمى المصحف الزبرا % % وقام من بعده الفاروق ثمت فى % عشرين بعد ثلاث غيبوا عمرا % % وهو الذي اتخذ الديوان واقترض العطاء % قيل وبيت المال والدررا % % سن التراويح والتاريخ وافتتح الفتوح % جما وزاد الحد من سكرا % % وهو المسمى أمير المؤمنين ولم % يدعى من قبله شخص من الأمرا % % وقام عثمان حتى جاء مقتله % بعد الثلاثين في ست وقد حصرا % % وهو الذي زاد في التأذين أوله % في جمعة وبه رزق الآذان جرى % % وأول الناس ولى صحب شرطته % حمى الحمى أقطع الإقطاع إذ كثرا % % وبعد قام على ثم مقتله % لأربعين فمن أرداه قد خسرا % % ثم ابنه السبط نصف العام ثم أتى % بنو أمية يبغون الوغى زمرا % % فسلم الأمر في إحدى لرغبته % عن دار دنيا بلا ضير ولا ضررا % % وكان أول ذى ملك معاوية % في النصف من عام ستين الحمام عرا % % وهو الذى اتخذ الخصيان من خدم % كذا البريد ولم يسبقه من أمرا %

% واستحلف الناس لما أن يبايعهم % والعهد قبل وفاة لابنه ابتكرا % % ثم اليزيد ابنه أخبث به ولدا % في اربع بعدها ستون قد قبرا % % وابن الزبير وفي سبعين مقتله % بعد الثلاث وكم بالبيت قد حصرا % % وفي ثمانين مع ست تليه قضى % عبد المليك له الأمر الذى اشتهرا % % ضرب الدينار في الإسلام معلمة % وكسوة الكعبة الديباج مؤتجرا % % وهو الذي أول منع الناس التراجع في % وجه الخليفة مهما قال أو أمرا % اول الناس هذا الاسم سميه % وأول الناس في الإسلام قد غدرا % % ثم الوليد ابنه قبل ما رجب % في الست من بعد تسعين انقضى عمرا % % وهو الذى منع الناس النداء له % باسم وكانت تنادى باسمها الأمرا % % وقام بعد سليمان الخيار وفى % تسع وتسعين جاء الموت فى صفرا % % وبعده عمر ذاك النجيب وفى % إحدى تلى مائة قد ألحدوا عمرا % % وهو الذى أمر الزهرى خوف ذها % ب العلم أن يجمع الأخبار والأثرا % % ثم اليزيد وفي خمس قضى وتلا % هشام في الخمس والعشرين قد سطرا % % ثم الوليد وبعد العام مقتله % من بعده ما جاء بالفسق الذى اشتهرا % % ثم اليزيد وفي ذا العام مات وقد % أقام ست شهور مثل ما أثرا % % وبعده قام إبراهيم ثم مضى % بالخلع سبعين يوما قد أقام ترى % % وبعده قام مروان الحمار وفى % ثنتين بعد ثلاثين الدماء جرى % % وقام بعده السفاح ثم قضى % بعد الثلاثين في ست وقد جدرا % % وقام من بعده المنصور ثمت في % خمسين بعد ثمان محرما قبرا % % وهو الذي خص أعمالا مواليه % وأهمل العرب حتى أمرهم دثرا % % ثم ابنه وهو المهدى مات لدى % تسع وستين مسموما كما ذكرا % ثم ابنه وهو الهادى وموتته % في عام سبعين لما هم أن غدرا % % ثم الرشيد وفي تسعين تالية % ثلاثة مات في الغزو الرفيع ذرا %

% ثم الأمين وفي تسعين تالية % ثمانيا جاءه قتل كما قدرا % % وقام من بعده المأمون ثمت في % ثمان عشرة كان الموت فاعتبرا % % وقام المعتصم من بعده وقضى % في عام سبع وعشرين الدى أثرا % % وهو الذى أدخل الأتراك منفردا % ديوانه واقتناهم جالبا وشرا % % ثم أبنه الواثق المالى الورى رعبا % وفي الثلاثين مع اثنتين قد غبرا % % وذو المتوكل ما أزكاه من خلف % ومظهر السنة الغراء إذ نصرا % % في عام سبع يليها أربعون قضى % قتلا حباه ابنه المدعو منتصرا % % فلم يقم بعده إلا اليسيركما % قد سنه الله فيمن بعضه غدرا % % ولمستعين وفي عام اثنتين تلى % خمسين خلع وقتل جاءه زمرا % وهو الذى أحدث الأكمام واسعة % وفى القلانس عن طول أتى قصرا % % وقام من بعده المعتز ثمت في % خمس وخمسين حقا قتله أثرا % % والمهتدى الصالح الميمون مقتله % من بعد عام وقفى قبله عمرا % % وقام من بعده بالأمر معتمد % في عام تسع وسبعين الحمام عرا % % وذاك أول ذى أمر له حجروا % وأول الناس موكولا به قهرا % % وقام من بعده بالأمر معتضد % وفي ثمانين مع تسع مضت قبرا % % ثم ابنه المكتفى بالله أحمد فى % خمس وتسعين سبحان الذى قدرا % % في عام عشرين في شوال بعدمئى % ثلاث مقتل المدعو مقتدرا % % وبعده القاهر الجبار نخلعه % في اثنتين وعشرين وقد سمرا % % وقام بعده الراضى ومات لدى % تسع وعشرين وانسب عنده أجرا % % والمتقى ومضى بالخلع منسملا % من بعد اربعة الأعوام في صفرا % % وقام بالأمر مستكفيهم وقفا % من بعد عام لأمر المتقى أثرا % % ثم المطيع وفى ستين يتبعها % ثلاث في أخير العام قد عبرا % % ثم ابنه الطائع المقهور مخلعه % عام الثمانين مع إحدى كما أثرا %

% ثم الإمام أبو العباس قادرهم % في اثنين بعد عشرين مضت قبرا % % ثم ابنه قائم بالله مات لدى % سبع وستين من شعبان قد سطرا % % والمقتدى مات في سبع بأولها % بعد الثمانين جد الملك واقتدرا % % وقام من بعده مستظهر وقضى % في سادس القرن ثنتين تلى عشرا % % وقام من بعده مسترشد ولدى % تسع وعشرين فيه القتل حل عرا % % ثم ابنه الراشد المقهور مخلعه % من بعد عام فلا عين ولا أثرا % % والمقتفى مات من بعد التمكن في % خمس وخمسين واتقادت له النصرا % % وقام من بعده المستنجد وقضى % من بعد ستين في ست وقد شعرا % % والمستضيء بأمر الله مات لدى % خمس وسبعين بالإحسان قد بهرا % % وقام من بعده بالأمر ناصرهم % ومات ثنتين مع عشرين إذ كبرا % % وقام من بعده بالأمر ظاهرهم % تسعا شهورا فأقلل مدة قصرا % % وقام من بعده مستنصر وقضى % لأربعين وكم يرثيه من شعرا % % وقام من بعده مستعصم ولدى % ست وخمسين كان الفتنة الكبرا % % جاء التتار فأردوه وبلدته % فيلعن الله والمخلوقة التترا % % مرت ثلاث سنين بعده ويلى % نصف ودهر الورى من قائم شغرا % % وقام من بعد ذا مستنصر وثوى % فى آخر العام قتلا منهم وسرى % % أقام ست شهور ثم راح لدى % مهل ستين لم يبلغ به وطرا % % وقام من بعده في مصر حاكمهم % على وهى لا كمن من قبله غيرا % % ومات في عام إحدى بعد سبع مئى % وقام من بعده مستكفيهم وجرى % % في اربعين قضى إذ قام واثقهم % ففى اثنتين مضى خلعا من الأمرا % % وقام حاكمهم من بعده وقضى % عام الثلاث مع الخمسين معتبرا % % وقام من بعده بالأمر معتضد % وفى الثلاثة والستين قد عبرا %

% وذو المتوكل يتلوه اقام إلى % بعد الثمانين في خمس وقد حصرا % % وبايعوا واثقا بالله ثمت في % عام الثمان قضى وسمه عمرا % % وبايعوا بعده بالله معتصما % لعام إحدى وتسعين أزيل ورا % % وذو التوكل ردوه أقام إلى % ذا القرن عام ثمان منه قد قبرا % % في عهده زيد من بعد الأذان على % خير النبيين تسليم كما أمرا % % احدث السمة الخضراء للشرفا % يا حسنها من سمات بوركت خضرا % % أولاده منهم خمس مبجلة % جاءوا الخلافة إذ كانت لهم قدرا % % فالمستعين وآل الأمر ان خلعوا % في شهر شعبان في خمس تلى عشرا % % وقام من بعده بالأمر معتضد % لأربعين تليها الخمسة احتضرا % وقام بالأمر مستكفيهم وقضى % في عام الأربع والخمسين مضطبرا % % وقام قائمهم من بعد ثمت فى % تسع وخمسين بعد الخلع قد حصرا % % وقام من بعده مستنجد دهرا % خليفة العصر رقاه الإله ذرى % % وليس يعرف في الأعصار قبلهم % خمس ولو إخوة بل أربع أمرا % % ولا شقيقان إلا غير خامسهم % كذا الرشيد مع الهادى كما ذكرا % % كذا سليمان من بعد الوليد كذا % نجلا الوليد يزيد والذى أثرا % % وما تكرر في بغداد من لقب % ولا تلا ابن أخ عم خلا نفر % % اثنان المقتفى عن راشد وكذا % مستنصر بعد مقتول التتار عرا % % أولئك

القوم أرباب الخلافة خذ % سبعين من غير نقص عدها حصرا % % من الصحابة سبع كالنجوم ومن % بنى امية إثنان تلى عشرا % % ولم أعد أبا عبد المليك فذا % باغ كما قاله من أرخ السيرا % % وعدة من بنى العباس شامخة % إحدى وخمسون لا قلت لهم نصرا % % تبقى الخلافة فيهم كى يسلمها المهدى % منهم إلى عيسى كما أثرا % % وبعد نظمى هذا النظم فى مدد % قضى خليفتنا المذكور مصطبرا %

% في عام الأربع في شهر المحرم من % بعد الثمانين يوم السبت قد قبرا % % وبويع ابن أخيه بعده ودعى % بذي التوكل كا الجد الذي شهرا % % ولم يسم إمام في الأولى سبقوا % عبد العزيز سواه فاسمه ابتكرا % % فالله يبقيه ذاعر ويحفظه % ويجعل الملك في اعقابه زمرا % % ومات عام ثلاث بعد تسع مئي % سلخ المحرم عن عهد لمن سطرا % % لنجله البر يعقوب الشريف وقد % لقب مستمسكا بالله في صفرا % فصل % في الدولة الأموية القائمة بالأندلس أولهم عبدالرحمن بن معاوية بن هشام به عبد الملك بن مروان بويع بالخلافة لما دخل الأندلس هاربا وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومائة وكان من أهل العلم والعدل مات سنة سبعين ومائة في ربيع الآخر وقام بعده أبنه هشام أبو الوليد ومات في شهر صفر سنة ثمانين ومائة وقام بعده ابنه الحكم أبو المظفر الملقب بالمرتضى ومات في ذي الحجة سنة ست ومائتين وقام بعده ابنه عبدالرحمن وهو أول من فخم الملك بالأندلس من الأموية وكساه أبهة الخلافة والجلالة وفي ايامه أحدث بالأندلس لبس المطرز وضرب الدراهم ولم يكن بها دار ضرب منذ فتحهاالعرب وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق وكان شبيها بالوليد بن عبدالملك في جبروتيته بالمأمون العباسي في طلب الكتب الفلسفية وهو أول من أدخل الفلسفة الأندلس ومات سنة تسع وثلاثين ومائتين وقام بعده ابنه محمد مات في صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين وقام ابنه المنذر ومات في صفر سنة خمس وسبعين وقام أخوه عبدالله وهو أصلح خلفاء الأندلس علما ودينا مات في ربيع الأول سنة ثلاثمائة

وقام حفيده عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر وهو أول من تسمى بالأندلس بالخلافة وبأمير المؤمنين وذلك لما وهت الدولة العباسية في أيام المقتدر وكان الذين قبله إنما يتسمون بالأمير فقط مات في رمضان سنة خمسين وثلثمائة وقام ابنه الحكم المستنصر ومات في صفر سنة ست وستين وقام ابنه هشام المؤيد ثم خلع وحبس سنة تسع وتسعين وقام محمد بن هشام بن عبدالجبار بن الناصر عبدالرحمن ولقب المهدي سنة عشر شهرا ثم خرج عليه ابن اخيه هشام بن سليمان بن الناصر عبدالرحمن وبويع وتلقب بالرشيد فحاربه عمه وقتله واتفق الناس على خلع عمه فاختفى ثم قتل وبايعوا ابن أخي هشام المقتول سليمان بن الحكم المستنصر ولقب بالمستعين ثم قاتلوه وأسر سنة ست واربعمائة وقام عبدالرحمن بن عبدالملك بن الناصر ولقب المرتضى وقتل في آخر العام ثم وهت الدولة الأموية وقامت الدولة العلوية الحسنية فولى الناصر على بن حمود في المحرم سنة سبع وأربعمائة ثم قتل في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة وقام أخوه المأمون القاسم وخلع سنة إحدى عشرة وقام ابن أخيه يحيى بن الناصر على بن حمود ولقب المستعلى وقتل بعد سنة وسبعة أشهر ثم عادت الدولة الأموية فولى المستظهر عبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار ثم قتل بعد خمسين يوما وقام محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبدالرحمن ولقب المستكفي وخلع بعد سنة وأربعة أشهر وقام هشام بن محمد بن عبدالملك بن الناصر عبدالرحمن ولقب المعتمد فأقام مدة ثم خلع وسجن إلى أن مات في صفر سنة [ثمان وعشرين] وأربعمائة

وماتت بموته الدولة الأموية بالأندلس فصل في الدولة الخبيثة العبيدية أول من قام منهم بالمغرب المهدي عبيد الله سنة ست وتسعين ومائتين ومات في سنة أثنتين وعشرين وثلثمائة وقام ابنه القائم بأمر الله محمد ومات سنة ثلاث وثلاثين وقام ابنه المنصور إسماعيل ومات سنة إحدى وأربعين وقام ابنه المعز لدين الله معد ودخل القاهرة سنة أثنتين وستين ومات سنة خمس وستين وقام ابنه العزيز نزار ومات سنة ست وثمانين وقام ابنه الحاكم بأمر الله منصور وقتل في سنة إحدى عشرة وأربعمائة وقام ابنه الظاهر لإعزاز دين الله على ومات سنة ثمان وعشرين وقام ابنه المستنصر معد ومات سنة سبع وثمانين فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر قال الذهبي ولا اعلم أحدا في الإسلام لا خليفة ولا سلطانا أقام هذه المدة وقام بعده ابنه المستعلى بالله أحمد ومات سنة خمس وتسعين وأقيم بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور طفل له خمس سنين وقتل في سنة اربع وعشرين وخمسمائة عن غير عقب وقام بعده ابن عمه الحافظ لدين الله عبدالمجيد بن محمد بن

المستنصر ومات سنة أربع واربعين وقام ابنه الظافر بالله إسماعيل وقتل سنة تسع وأربعين وقام ابنه الفائز بنصر الله عيسى ومات سنة خمس وخمسين

وقام العاضد لدين الله عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله وخلع سنة سبع وستين ومات بها وأقيمت الدعوة العباسية بمصر وانقرضت الدولة العبيدية قال الذهبي فكانوا اربعة عشر متخلفا لامستخلفا فصل في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية قام منهم بالخلافة ابو عبدالله محمد بن ابراهيم طباطبا في جمادي الأولى سنة تسع وتسعين ومائة وقام باليمن في هذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا ودعى له بإمرة المؤمنين ومات في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين وقام ابنه المرتضى محمد ومات سنة عشر وثلثمائة وقام أخوه الناصر أحمد ومات في صفر سنة ثلاث وعشرين وقام ابنه المنتخب الحسين ومات سنة تسع وعشرين وقام أخوه المختار القاسم وقتل في شهر شوال سنة اربع وأربعين وقام أخوه الهادي محمد ثم الرشيد العباس ثم انقرضت دولتهم فصل في دولة الطبرستانية تداولها ستة رجال ثلاثة من بني الحسن ثم ثلاثة من بني الحسين هشام الداعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد الجواد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمسين ومائتين بالري والديلم ثم قام اخوه القائم بالحق محمد وقتل سنة ثمان وثمانين فقام حفيده المهدي الحسن بن زيد بن القائم بالحق وقام بعده [الناصر الأطروش وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ولم يزل قائما بالأمر إلى أن قبض سنة 304 ثم قام بعده بالأمر ابنه الإمام محمد الهادي ثم اعتزل الأمر فقام به أخوه الناصر أحمد ثم قام من بعده الثائر لدين الله جعفر بن محمد بن الحسن بن عمر الأشرف وهو الذي

ملك طبرستان بأسرها ومات بها سنة 345 وانقرضت دولته

فائدة قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا

خلف بن الوليد حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن يزيد عن عبدالرحمن بن ابي بكر عن العرباض بن الهيثم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر قلت كان عند رأس المائة الأولى من هذه الملة فتنة الحجاج وما ادراك ما الحجاج وفي المائة الثانية فتنة المأمون وحروبه مع أخيه حتى درست محاسن بغداد وباد أهلها ثم قتله إياه شر قتلة ثم امتحانه الناس بخلق القرآن وهي اعظم الفتن في هذه الامة وأولها بالنسبة إلى الدعوة البدعة ولم يدع خليفة قبله إلى شئ من البدع وفي المائة الثالثة خروج القرمطي وناهيك به ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويع ابن المعتز وأعيد المقتدر ثاني يوم وذبح القاضي وخلقا من العلماء ولم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام ثم فتنه تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد واستمر ذلك إلى الآن ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم إفسادا وكفرا وقتلا للعلماء والصلحاء وفي المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله وناهيك بما فعل وفي المائة الخامسة أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس وفي المائة السادسة كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمر التتار وفي المائة السابعة كانت فتنة التتار العظمى التي لم يسمع بمثلها أسالت من دماء أهل الإسلام بحرا

وفي المائة الثامنة كانت فتنة تمر لنك التي استصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين آمين